



سلسلة
ثقافية
فهرية

من أسرار السياسة والسياسة

١٩٨٨ محمد عبد المتابعي



كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال .

رئيس مجلس الإدارة: أحمد بهاء الدين

رئيس التحرير: بهاء النقاش

العدد ٢٢٨ - ذو القعدة ١٣٨٩ - فبراير ١٩٧٠

No. 228 - Février 1970

مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب
التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى الجمهورية
العربية المتحدة وبلاد اتحادى البريد العربى والافرنى
١٠٠ قرش صاغ - فى سائر أنحاء العالم ٥٥ دولارات
أمريكية أو ٤٠ شلنا - والقيمة تسدد مقدما تقسيم
الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة
والسودان بحوالة بريدية - فى الخارج بتحويل أو
بشيك مصرفى قابل للصرف فى (ج . ع . م) - والاسعار
الموضحة أعلاه بالبريد العادى - وتضاف رسوم البريد
الجوى والمسجل عند الطلب على الاسعار المحددة .

كتاب الهدى



مكتبة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

**الفلاف بريشة
الفنان جمال قطب**

محمد المتابعي

من أسرار
السياسة والسياسة
مصر ما قبل الثورة

الأمانة الصحفية وسير المسهنية

اقترح على كثيرين من الاصدقاء أن اكتب مذكراتي عن السياسة والزعماء والنساء والرجال الذين عرفتهم في حياتي وعن الحوادث والازمات .. الى آخره .. ورفضت .. وكانت حجتي اني لم أدون مذكراتي الا في فترات متقطعة .. متباعدة .. فالتسلسل مفقود والسياق مضطرب والدقة في الرواية غير مأمونة أو مضمونة .

ثم شيء آخر وهو الأهم عندي .. من الذي يستطيع دائما أن يقول الحق .. كل الحق ولا شيء غير الحق . واذا نشرت مذكراتي فهل أقول فيها كل ما أعرف ، وكل ما سمعت ، وكل ما رأيت .. وبين الذين سوف تتناولهم هذه المذكرات أشخاص قد انتقلوا الى رحمة الله ، ونحن اليوم نحيطهم بهالة من الاجلال والاكبار . وبينهم من لا يزال على قيد الحياة ومن هو معدود من الأعلام والصفوة الممتازة في هذا البلد .. هل أقول كل ما أعرف عن هؤلاء وهؤلاء ؟ ..

هل أروي مثلا حديث الزعيم فلان عن الزعيم فلان ؟ وهو حديث مملوء غيرة وحقدا .. ؟ وهل أروي مثلا وأصف صور الضعف والابستهار .. صور الخنوع والدل والاستمساك بالحكم باى ثمن ؟ .. وصور الطمع

والجشع والنفاق وعدم الوفاء؟ . . وقصص الخلاعة
والمجون وإبطالها زعماء وساسة مبرزون . . ؟

ثم مسألة أخرى . . ما هو الحد الفاصل بين ما يجوز
نشره وما لايجوز نشره؟ . . والامانة الصحفية وسر
المهنة؟ . . ما هي حدود هذه الامانة وهذه السرية؟

لقد اشتغلت بالصحافة ثلاثين عاما ، وعرفت فيها
عشرات وعشرات من الزعماء والساسة وربطتني
بعضهم أوامر الصداقة والثقة ، وبوحى هذه الصداقة
والثقة أفضى الى بعضهم بأسرار كثيرة . . وكشف أمامي
بعضهم عن مكنون صدره بل وعن خفايا ضعفه . . فهل
أروى اليوم كل ما سمعت أو بعض ما سمعت . . ؟
ورواية الكل قد تنفع المجموع ، وتؤدي الفرد ،
ورواية البعض قد لا تفيد المجموع ولا تؤدي الفرد أي
الزعيم المروى عنه . . واذن ما الفائدة وما الغاية من
نشر رواية ناقصة أو مبتورة . . ؟

وفي نشر الرواية كلها فضيحة أو خيانة للأمانة .
وفي خلال هذه الثلاثين عاما التي اشتغلت فيها
بالصحافة قابلت كثيرين من الساسة وقادة الرأي العام
في مصر وفي بلاد غير مصر ، بل وقابلت رؤساء دول
ورؤساء حكومات ، وكثيرا ما تحدث الى الواحد منهم
وأطال الحديث ثم قال :

- تستطيع أن تنشر كذا وكذا . . ولكن لا تنشر
كيت وكيت .

وبعض هذه الأحاديث قد مر عليها عشر سنوات أو
عشرون سنة . . وأتساءل اليوم : هل «حظر النشر»
لا يزال قائما ؟

هل «سرية المهنة» سرية مطلقة مؤبدة . . أو موقوتة
بفترة من الزمن . . وما طول هذه الفترة ؟ هل تكفى

مثلا العشرة أعوام أو العشرون عاما لكي تحل الصحفي من وعده بعدم النشر ، أى هل أستطيع أن أنشر اليوم ما وعدت منذ عشرين عاما بعدم نشره ؟

هل أستطيع أن أنشره دون أن يتهمنى أحد بخيانة الأمانة والخروج عن مبدأ سرية المهنة وهو المبدأ الذى تقدسه الصحافة ويحترمه الصحفيون ؟

ثم اعتراض رابع أو خامس . . هل يستطيع الصحفي أن يقدم دائما واجب المهنة على كل اعتبار ؟ هل يستطيع أن يذكر دائما انه صحفي . . وينسى دائما انه انسان ؟

لقد قابلت مثلا ملك الافغان الاسبق الملك امان الله ، قابلته مرتين . . فى سويسرا فى مدينتى مونترية وزيوريخ . . وكان امان الله فى المقابلتين رجلا كسير الخاطر محطم الآمال . . كان يمشى تحت وابل المطر . . يتسكع - كما قال هو نفسه - ليقتل الوقت .

وكتبت عنه فى المرتين ورويت الحديث الذى دار بيننا . . الا جزءا منه . . الا جزءا خاصا بزواجه السابقة الملكة ثريا . . لقد ابقيته حتى اليوم فى صدرى . هذا الجزء من حديث الرجل الكسير الخاطر المحطم الآمال . . كتتمته ولم أنشره لانى لم أستطع أن أنسى انى - قبل أن اكون صحفيا - اننى انسان .

وفاروق الطاقية . . فاروق هذا نفسه لا أستطيع أن اكتب واروى عنه كل ما أعرف لانى . . انسان . . لقد قاومت طغيانه وحاربته قدر ما استطعت . . وهو ملك وحاكم بأمره فكتبت مثلا مقالا عنوانه : « يحيا الظلم » فى مجلة « آخر ساعة » عدد ١ اكتوبر سنة ١٩٥٠ ، قلت فيه بين ما قلت :

نعم . . « يحيا الظلم » . . ظلم كل جبار عاتية معتر
بسلطانه وسطوته يدوس القوانين ولا يبالي ، وظلم كل
كبير فاسق وكل عظيم فاجر يسرق ولا يبالي ويختلس
ولا يبالي . . ويثلم الأعراض ولا يبالي . . ويهدر الكرامات
ودم الوطن ويجعل من مصر أمثلة السوء وبصقة كريهة
في فم الزمن .

نعم . . « يحيا الظلم » . . ظلم كل مطالب باحترام
القانون ولا يحترمه . . وكل قادر على حماية القانون
ولا يحميه . . وظلم كل عايب ماجن اباحى مستهتر
يضرب للناس أسوأ الأمثال .

نعم . . « يحيا الظلم » . . لأنه خير مرب للنفوس . .
ونفوس المصريين تجيش اليوم بمعنى واحد : لقد صبرنا
طويلا ولن نصبر بعد اليوم . . وتحملنا كثيرا ولن نتحمل
بعد اليوم .

وقرأ فاروق المقال ، وأشر بالقلم على هذه العبارات
ثم سأل بعض رجال ديوانه « الملكى » - ولا داعى للذكر
أسمائهم - سألهم : « من العظيم الفاجر الذى يسرق
ويعتدى على الأعراض ؟ »

وسكتوا عن الرد . . وعاد يسألهم : « من الذى
يعنيه التابعى ؟ » ولم يجب أحد منهم . . وابتسم
فاروق ابتسامة صفراء لأنه عرف بكل تأكيد من سكوت
رجال حاشيته . . انه هو المقصود .

وكتبت عن فاروق بعد خلعه وطرده . . كتبت ولم
أرحمه ، وأسهببت فى سرد قصص مخازيه وفضائحه ،
ومع ذلك فأننى لم أفس فى كل ما كتبت أننى انسان . .
فلم أذكر مثلا لماذا بكى ذات يوم فى دار صغيرة فى حى

جناكليس برمل الاسكندرية في صيف عام ١٩٣٧ ؟
وكان فاروق يومئذ لا يزال الملك المأمول .. لم تفسده
الدنيا ، ولم ينس ربه ودينه .. بكى كالطفل الصغير
حتى بلل الدمع خديه .
لم اكتب ولم اذكر التفاصيل ، لأن فاروق بكى
ساعتئذ كأنسان .. لا كملك .. ولأننى لا أستطيع أن
أنسى دائما اننى انسان .

الذكريات كثيرة .. وما اعرفه كثير .. وما وقع لى
في حياتى مختلف الألوان .. والصعوبة في الاختيار ..
أيها يصلح للنشر .. وأيها لا يصلح ؟

أيها يجوز نشره ؟ وأيها لا يجوز؟ وأيها يرضى أصحابه
وأشخاصه وأبطاله .. أو يسكتون عن نشره .. وأيها
الذى لا يرضيهم نشره ؟ هل أروى مثلا ما سمعته من
الدكتور محمد صلاح الدين أيام اشتداد الخلاف بين
رئيس الوفد مصطفى النحاس وسكرتير الوفد مكرم
عبيد ؟

ومن هم الذين سسعوا مخلصين لتسوية أسباب
الخلاف والابقاء على وحدة الوفد .. ومن هم الذين
سسعوا وعملوا على توسيع شقة الخلاف بين مصطفى
النحاس ومكرم عبيد ؟ ..

وهؤلاء وهؤلاء من أعضاء الوفد أو من كبار الوفديين
وهل أستطيع مثلا أن أروى تفاصيل حديث دار في
مسكنى ذات مساء في شهر مايو أو يونية عام ١٩٤٢ ،
بين فؤاد سراج الدين وبينى عن مكرم عبيد ؟ وهل من
الصواب فصله الآن من الوفد أو الانتظار .. والأسباب
« الوجيهة » التى أبدأها الاستاذ فؤاد سراج الدين
للتعجيل بفصل الاستاذ مكرم عبيد ؟

وهل أذكر الحديث الذي دار بالتليفون بين مصطفى
النحاس وكان في فندق مينا هاوس ، ومكرم عبيد وكان
في المنيا ذات مساء إبان الاستعداد للانتخابات التي جرت
بعد قيام وزارة ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ؟

وهل أروى ما سمعته من فم رئيس الوفد ورئيس
الوزارة مصطفى النحاس عن « الملك فاروق » وموقف
الوزارة منه ومن الانجليز ؟

وهل من الامانة الصحفية ان أروى حديثا أو كلاما
لم يقله مصطفى النحاس امامى الا وهو مطمئن الى
وواقع منى ! ؟

وهل أستطيع ان أروى كل ما أعرف وكل ما سمعته
من صديق راحل كريم هو أحمد محمد حسنين ،
وللصداقة حقوق ، وعليها واجبات ؟

وهل مما يستقيم مع حقوق الصديق ولا يتنافى مع
واجبات الصداقة ان أروى وأذكر كل ما عرفت وكل
ما سمعت ؟

هذه هي الصعوبة ، بل هذا هو الصراع بين الصحفى
والامانة الصحفية .. وبينه وبين سرية المهنة .. ثم
الصراع بين الصحفى والانسان .

الكتاب الاول

أحمد محمد حسنين
في الحياة الخاصة

هذا الرجل الخامض ..
هل هو بطل؟ .. هل هو خائن؟

قلت في المقدمة اننى لا اكتب هنا « مذكرات » بالمعنى المعروف ، بل هى صور وقصص من حياتى وحيياة الآخرين .. صور وقصص بلا تسلسل أو ترتيب .

وقد اخترت أن أبدا بصورة للمرحوم أحمد حسنين باشا ، لا لسبب إلا الآن شخصيته كانت موضوع خلاف بين الدين عرفوه .

هل هو بطل؟ ومصرى وطنى مخلص يقدم مصلحة بلاده على كل ما عداها؟ أم هو خائن وصنيعة للانجليز؟ ولا بأس من أن يضحى بمصلحة مصر فى سبيل مصلحة ذاتية يحققها له الاستعمار؟ هل هو السبب المباشر فى فساد الحكم وفساد فاروق؟ وفساد الأسرة المالكة؟ والفضائح التى وقعت فى السنوات القليلة السابقة على قيام الثورة؟

تباينت الآراء واختلفت فى هذا الرجل .. أحمد محمد حسنين .

وأحمد محمد حسنين ابن الشيخ الأزهرى محمد حسنين .. ومع ذلك ! ومع ذلك فهو خريج جامعة اكسفورد .. وصهر الأسرة المالكة !

ولقبه عدوها أعجوبة من عجائب العصر يوم تزوج سعد زغلول الأزهرى النشأة وابن الفلاح المصرى من ابنة مصطفى فهمى باشا التركى الأصل ، ورئيس

الوزارة المصرية .

وها هو ذا مصرى آخر وابن فلاح وشيخ ازهرى
يتزوج من ابنة الاميرة شويكار مطلقة الملك فؤاد وحفيده
محمد على مؤسس الأسرة المالكة !

انها اذن أعجوبة العجائب ! وكانت أعجوبة أخرى ان
هذا المصرى - ابن الفلاح - يطلق فيما بعد طواعية
واختيارا زوجته هذه لطيفة ابنة الاميرة شويكار التى
كان مقدرها لها ان ترث الملايين .. وهو الفقير المصدوم
الفارق فى الديون !

كيف كان هذا ؟ ولماذا ؟

هل طلق حسنين زوجته كرها فيها ؟ وحبا فى نازلى
ملكة مصر ؟ أم انه طلقها وهو يبكى وقلبه يقطر دما ؟
ولماذا طلقها اذن ؟

أحمد محمد حسنين خريج جامعات انجلترا ،
والفتش بوزارة الداخلية ابان الحرب العالمية الاولى ،
والسكرتير بسفارة مصر فى واشنطنجتون ، والامين الثانى
للملك فؤاد .

ورائد صاحب السمو الملكى الامير فاروق ولى
العهد وأمير الصعيد .

والامين الاول لجلالة الملك ، ثم رئيس ديوان جلالة
الملك فاروق .

والرجل الذى كان يمسك بخطوط السياسة المصرية
فى فترة حرجة حالكة فى تاريخ مصر ما بين عام ١٩٤٠ ،
وعام ١٩٤٦ .

الرجل الذى كان يقيم الوزارات ويسقط الوزارات ،
وهو فى نفس الوقت حريص على أن يبدو فى تصرفاته
واقواله كرجل لا يعرف شيئا مما يقع فى البلد ! ولا

يد له في أى أمر يقع . بل ويؤكد لمعارفه انه لا يفهم شيئا في السياسة !

كان في وقت ما بطل مصر في « الشيش » أو المبارزة بالسيف ، ونازل أبطال هذه اللعبة في أوروبا وانتصر على كثيرين منهم .

وحاول في يوم ما أن يكون أول مصرى يقود طائرته الخاصة بمفرده من أوروبا الى مصر . . وسقطت به الطائرة مرتين في فرنسا ، وفي ايطاليا . . ونجا من الموت مرتين ، وأصلح عطب الطائرة واستأنف طيرانه . . لولا ان الملك فؤاد أرسل اليه برقية يأمره فيها بالعدول عن الطيران الى مصر والعودة بأول باخرة .

وجاب مجاهل الصحراء الغربية مع الرحالة الانجليزية السيدة روزيتافوربس ، وكان حسنين صاحب الفكرة ومنظم الرحلة وعقلها المدير وقائدها . . وقد تستر على زميلته الانجليزية فزعم أنها مسلمة وأنها زوجته ، وألبسها ثيابا عربية وأسدل على وجهها حجابا كثيفا . . والا لما سمح زعماء القبائل لهذه المسيحية الاجنبية بالتوغل في مجال سلطانهم والتعرف على أسرار الصحراء .

وعاش أحمد حسنين مع روزيتافوربس اسابيع عديدة في مجاهل الصحراء . وكانا ينامان في خيمة واحدة . . ولكنه لم يحاول أن ينال منها . . أما هي فقد حاولت . . ولكنه أبى وأعرض . . وسألته مرة :

— وهل قدت قميصك من دبر !

وضحك رحمه الله وقال :

— كلا . . فان المسألة لم تصل الى هذا الحد . قلت : لكننى لا أفهم ! . . لقد كنت يومئذ في عنفوان

شبابك .. وروزيتا امرأة جميلة تشتهى .. وكنتما في الصحراء أسابيع عديدة .. ووحدهما عشرات الليالي في خيمة واحدة .. وكان مرافقوك من البدو يعتقدون أنها زوجتك .. وما أنت دائما بولى الله أو قديس .. ماذا اذن ؟

وضحك مرة أخرى وقال :

- لأن الازهر انتصر في هذه المرة على اكسفورد ..!

وكان أبوه الشيخ محمد حسنين من علماء الازهر الأجلاء .. والمعنى الذى أرادته حسنين هو أن النشأة الدينية في دار أبيه وما ورثه في دمه عن أبيه العالم الازهرى المتمسك بأحكام دينه الحنيف .. كل هذا انتصر على عوامل التحرر أو التحلل التى تركتها في نفسه دراسته في جامعة اكسفورد .

سألته :

- وهل انتصر الازهر دائما في جميع المعارك الشبيهة التى نازلت فيها امرأة أو تحدثك فيها امرأة ؟

قال : كلا .. ولكننى في هذه المرة كنت حريصا على رضا ربي ورحمته ، فقد كنا في صحراء مجهولة .. وأسباب الهلاك تحيط بنا من كل جانب .. وكنت أهدى نفسى مسئولا عن سلامة القافلة ونجاة أفرادها .

وضحكت بدورى وقلت :

- اذن فقد تأبيت وأعرضت لا زهدا في روزيتا .. وانما خوفا من ان يحل بك غضب الله وأنت في جوف الصحراء ؟

قال : نعم ..

قلت : ولولا هذا ؟

قال : لا تكن لحوحا !

وعادت روزيتا الى انجلترا ووضعت كتابا عن الرحلة ،
وأشارت فيه اشارة عابرة - في سطور - الى أحمد
حسني وكيف انه كان أجيرها ومترجما لها أثناء الرحلة
المذكورة . . وانه لم يكن يعنى الا ببيجسامات نومه
الحريرية وزجاجات الكولونيا التي حملها معه في رحلته
عبر الصحراء !

وانها هي كانت كل شيء وصاحبة الفضل في كل شيء
وهو لا شيء ! وأخذت بروايتها صحف عديدة في انجلترا
وأوروبا وأمريكا . . وهكذا غلب كبرياء المرأة . . فضيلة
الصدق !

وألح بعض كبراء الانجليز من أصدقاء حسني الذين
كانوا يعرفون حقائق الرحلة وان حسني هو صاحب
الدور الرئيسي وصاحب الفضل الاول والاخير فيها . .
ألحوا عليه أن يرد على روزيتا فوربس ويفند مزاعمها
ولكنه رفض .

رفض أن ينازل امرأة . . او «يقدم قميصها من قبل !»
سكت اذن ونفسه مملوءة الما وحزنا ومرارة .

ولكنه قام في العام التالي - وبمفرده - برحلة ثانية
في جوف الصحراء واكتشف واحة الكفرة . . وكان
لاكتشافه الخطير دوى كبير في جميع أنحاء العالم . .
واجتمعت الجمعية الجغرافية الملكية في لندن ومنحته
ميداليتها الذهبية وهي أسمى وسام يمكن للجمعية أن
تقدمه لكبار المكتشفين . .

وانهالت عليه الأوسمة والنياشين من مختلف الدول
تقديرا لهذا الاكتشاف . ومنها وسام سان لازار الذي
أنعمت به عليه حكومة ايطاليا وهو من أرفع الأوسمة
شأنا في ايطاليا .

وفي حفلة ساهرة أقيمت في روما التقى أحمد محمد

حسنين مع روزيتا فوربس . . وكان يعلق على صدر
سترته وسام سان لازار الرفيع الشأن .
واقتربت منه روزيتا وحيته ثم سألتها ساخرة :
- هذا وسام سان لازار؟ . ترى أى عمل استحققت
عليه هذا الوسام ؟
واجابها حسنين ، بالانجليزية طبعاً :

For my Chastity Rosita

أى استحققتة بفضل طهارتى يا روزيتا !
وامتقع لون روزيتا فوربس . . وولته ظهرها ! فقد
كانت الغمزة صريحة مكشوفة مفهومة !
وقال لى حسنين :

- نعم . . لقد تأرت لنفسى ، ولكنه كان انتقاساً
خسيساً ندمت عليه فيما بعد . . بل ان العبارة لم تكذب
تخرج من بين شفتى حتى أدركت اننى تصرفت بخسة
وفظاظة . . وندمت وفكرت فى أن أعتذر اليها ولكنى
أشفقت من ان اعتذارى قد يزيد فى جروحها وألمها .

وسافرت الى واشنطن ليأتى منصبه فى سفارة مصر
وعرضت عليه احدى الهيئات أن يقوم برحلة يطوف
فيها بعض المدن الامريكية الكبيرة ويلقى فيها محاضرات
عن رحلته فى الصحراء .

وعرضوا عليه مبلغ خمسة وعشرين ألف دولار وكانت
تساوى وقتئذ خمسة آلاف جنيه مصرى ، وفى مقابل
اثنى عشرة محاضرة .

واشترطوا عليه أن يلقى هذه المحاضرات وهو يرتدى
الثياب البدوية التى كان يرتديها فى الصحراء أثناء رحلة
الاستكشاف .

ورفض أحمد حسنين هذا العرض .
وكان يومئذ - كما كان دائماً - فقيراً ومديناً لأحد

زملائه في السفارة بمبلغ خمسين دولارا !
ولكنه رفض أن يكون « أراجوز » كما قال لي . . لكي
يرضى فضول الأمريكان ويكسب خمسة آلاف جنيه .
وارتداء ثياب البدو في الصحراء شيء . . والظهور
بها على مسرح في مدن أمريكا شيء آخر .

هذه لمحات خاطفة - وتافهة ربما - من حياة حسنين
وإذا كنت قد وقفت عندها بعض الوقت فما ذلك إلا
لأنها - في رأيي - تلقي شيئا من الضوء على خلق حسنين
وعقليته ونفسيته ومذهبه في الحياة .
يرفض امرأة ويتأبى عليها . . لأنه يخاف غضب الله
في وقت كان فيه أحوج ما يكون إلى استرضاء الله ،
واستجلاب عطفه ورحمته . . والا . . !

ويرفض أن ينازل امرأة أو يهاجمها أو يكذبها علنا . .
ولكنه - فيما بينها وبينه - يجرحها - كما يقول هو
نفسه - بخسة وفضاظة لأنه ذكرها بأنها عرضت جسدها
عليه ولكنه رفض وظل طاهرا .
ويرفض - وهو الفقير المدين - يرفض خمسة آلاف
جنيه لأنه يأبى أن يظهر على المسرح في ثياب قد تثير
ضحك الأمريكان .

لمحات خاطفة ، وربما تافهة ، ولكنها تساعد على
رسم صورة لأحمد حسنين الذي اختلفت فيه آراء
الناس وتعددت الصور التي يرسمونها له .

الذين عرفوه وأحبوه . . رسموا له صورة بطل !
وبعض الذين لم يعرفوه رسموا له صورة كريهة قائمة . .
صورة صنيعة الأنجليز . . الخائن الذي يخدم مصلحة
خصوم بلاده من المستعمرين !

وبعض الذين عرفوه وكرهوه . . أو لم يحبوه جعلوا
منه شيطانا رجيمًا . . ومناققا لثيما . . ونفعيا وصوليا
نهازا للفرص !

وغير هؤلاء وهؤلاء . . فريق من الساسة والصحفيين
رسموا لأحمد محمد حسنين صورة الرجل المدين بكل
شيء للصدفة . . الرجل العادي . . الكسول . . الذي
يحب العيش الهنيء . . والذي لم يؤت من الذكاء والعلم
إلا قليلا ، ولا يفهم في السياسة شيئا . . بل سار في
دروبها ليخبط خبط عشواء .

وهذه الصورة هي الصورة التي كان حسنين باشا
نفسه يحرص على أن يطبعها في نفوس جميع الذين كان
يلقاهم من الساسة والزعماء !

كان رحمه الله يحب أن يعتقد الناس فيه الغباء بل
« الهبل » . . وأنه رجل لا يخشى شره ! . . أوطرطورا!
أو ساعى يريد ينقل اليهم « الأوامر السامية » من جلاله
الملك . . أو « يرفع » آراءهم ونصائحهم الى « السدة
العلية الكريمة » . . ومن غير أن يكون له هو رأى أو

مشورة في الموضوع .
وصدقه بعضهم في أول الأمر . ثم اكتشفوا الحقيقة
وعرفوه . . وكرهوه !

وآخرون عرفوا الحقيقة عندما عرفوه . . فأحبوه !
وغير هؤلاء فريق من الساسة الذين « كشفهم » حسنين
باشا أمام فاروق . . وكشف عن الأعيابهم ومناوراتهم
وأطماعهم وأكاذيبهم .

كشفهم وأضاع عليهم نفوذهم عند فاروق . . وفوت
عليهم فرص الفوز بمقاعد الحكم وجاه السلطان .

ويبقى السؤال قائما . . هل كان أحمد محمد حسنين
بطلا ومصريا وطنيا وخادما أمينًا لبلاده ؟

أم كان خائنا وصنيعة أو ذنبا من أذئاب الاستعمار؟
الرأى عندى انه - رحمه الله - لم يكن هذا ولا ذلك .

لم يكن بطلا . . ولم يكن خائنا لبلاده . . وانما كان
رجلا ذا مطامع واسعة كثيرا ما أفلح في اخفائها وراء
قناع من الزهد في المناصب . . والجهل بالسياسة
وأسرارها .

كان يطمع في أن يكون رئيس الوزارة والرجل الاول في
الدولة .

ولكنه لم يمض الى هذا الهدف مباشرة وفي خط
مستقيم . . كلا . . فان هذه لم تكن سياسة أحمد
محمد حسنين الذى كتب عنه مرة زميله في الدراسة
وصديقه حفى محمود فقال : « انه فاجأ مرة وهو
يقرا كتابا ما . . »

وحاول حسنين أن يخفى الكتاب عن صديقه حفى
محمود . ولكن حفى استطاع أن يقرأ عنوان الكتاب .

وكان الكتاب هو « الأمير » لمؤلفه السياسى الداهية
«ماكيافيللى» ! الذى وضع كتابه على أساس ان الغاية
تبرر اتخاذ كل وسيلة ! وهكذا فضح حفى محمود
سياسة صديقه حسنين « السياسة الماكيافيللية ! »
سياسة الخبث واللف والدوران . . وكل وسيلة مشروعة
في سبيل تحقيق الغرض والوصول الى الهدف !

وكل غرض شريف ما دام في خدمة الأمير . . أى
الحاكم .

وكان الأمير يومئذ هو الدولة . . والدولة هى الأمير .

قصصة بنارخب
ملككة مصر سسابهتا
واحمد محمد حسنين

قلت ان حسنين باشا لم يكن بطلا معدودا من أبطال
الوطنية المصرية .. ولم يكن خائنا لبلاده أو صنيعة
للاستعمار كما اتهمه بعض خصومه ، وبعض الذين لم
يعرفوه .. أو الذين عرفوه ولم يحبوه .

ولكنه كان رجلا ذا مطامع واسعة ، وكان كل نجاح
يلقاه يغريه بالتماس نجاح آخر .. وكل منصب يرقى
إليه يغريه بالسعى وراء منصب آخر يفوقه سلطة
ونفوذا .

وكانت خطواته مطردة دائما الى الامام ، لم يتعثر
مرة واحدة ، ولم يقف أو يتقهقر أو يرتد الى الوراء
مرة واحدة . دائما الى الامام ، والى ما هو أعلى
وأقوى وأوسع نفوذا .

كانت حياته سلسلة من الانتصارات .. ولم يعرف
الهزيمة سوى مرة واحدة .. وكان ذلك في حادث ٤
فبراير سنة ١٩٤٢ ، ولكنه استطاع أن يثار لنفسه
بعد عامين يوم دبر اقالة وزارة مصطفى النحاس في ٨
أكتوبر سنة ١٩٤٤ .

وهكذا رد اللطمة للسفير البريطاني سيمائيل لامبسون
أو لورد أوف كيلرن .. كما ردها مضاعفة للسيد
مصطفى النحاس .

وكان أحمد محمد حسنين يضع خطته بدقة واحكام

وينفذها بكياسة ومهارة وحذر ، ولا يضيق صدره ولا يخونه صبره مهما طال الأجل . . أو لاقى من صعوبات وكانت الخطة الاولى أو الخطوة الاولى الواسعة في طريق تحقيق مطامعه هي مصاهرة الأسرة المالكة . . ولقد استطاع الشاب النحيل القامة الوسيم الطلعة الأنيق في ملبسه . . الساحر في حديثه . . الرشيق في حركاته . . الرياضي البطل في دنيا الرياضة والمغامرات والرحالة الذي جاب مجاهل الصحراء وواجه الموت مرارا في رمالها المحرقة وفيافيها الجدياء والذي أغدقت عليه صحف العالم من الثناء والاعجاب ما لم تفدق مثله الا على قليلين من كبار المكتشفين .



استطاع هذا الشاب أحمد محمد حسنين - ابن الشيخ محمد حسنين المدرس بصحن الأزهر الشريف استطاع أن يفتن ويخلب لب الفتاة لطفية كريمة صاحبة السمو الأميرة شويكار مطلقه الملك أحمد فؤاد وأم ابنته صاحبة السمو الملكي الأميرة فوقية . وتزوج حسنين من لطفية وأصبح من أصهار الأسرة المالكة وزوجا لأخت الأميرة فوقية كريمة الملك فؤاد. وكان فؤاد قد تصالح قبل ذلك بسنوات مع مطلقته شويكار .

وهكذا عزز حسنين مركزه وثبت قدمه على أولى درجات السلطة في دنيا المناصب والجاه والنفوذ . . والا فأي رئيس أو وزير ، بل وأمير كان يجسر يومئذ أن يتجاهل هذا الشاب - أحمد محمد حسنين - صهر الأسرة المالكة وزوج كريمة الزوجة الاولى لصاحب العرش والتاج ؟

كانت هذه هي الخطة أو الخطوة الاولى .

وقد أسميتها خطة أو خطوة لأنها كانت مرسومة ،
ولأن الزواج لم يكن مقصودا لذاته ، بل كان وسيلة
للوصول الى غرض أو هدف مقصود في طريق النجاح
وتحقيق المطامع الواسعة .

والدليل الذى لا يحتاج معه أو بعده الى دليل آخر
ان حسنين يوم تزوج من المغفور لها السيدة لطفية لم
يكن يحبها .

لقد أستطاع ان يفتنها ويخلب لبها ويوقعها فى حبه .
أما قلبه هو فكان خاليا من أى حب لها .



صحيح انه لم يكن يكرهها . . . كلا . . . ولكنه لم يكن
يحبها يوم خطبها ويوم تزوج منها . . . وبعد الزواج -
لا قبله - وبعد المعاشرة أو « العشرة » وبعد أن أنجبت
له أولاده . . . أحبها حسنين . . . أو كما قال لى هو نفسه
« ان لطفية كريمة رقيقة حنون تستحق كل حب وهى
أم مثالية . . . ولقد أحببتها بعد الزواج كما لم أحب
امراة اخرى ! »

والآن وقد عرفنا كيف ولماذا تزوج حسنين من لطفية
ابنة الأميرة شويكار . . . يبقى أن نعرف لماذا طلقها مع
انه - باعترافه - كان يحبها كما لم يحب امراة سواها ؟

كان زواجه منها خطوة فى سبيل تحقيق مطامعه
الواسعة وكان طلاقه لها خطوة اخرى فى نفس الطريق
. . . وسأذكر الطريق فيما بعد .

ونعود الآن الى يوم توفى الملك احمد فؤاد فى ٢٦
ابريل عام ١٩٣٦ .

لم تمض أسابيع قليلة على وفاته حتى كثر الهمس
بين موظفى القصر وفى الاوساط الخاصة المتصلة به ،
ان « السجينة » قد حطمت قيودها وانطلقت - وهى

لا تزال بعد ترتدى ثياب الحداد - انطلقت تفرح
وتحاول أن تعوض ما فاتها وتنهل من عيون الحياة
وينابيعها .

وكانت « السجينة » المذكورة هي الملكة نازلي . .
وهي نفسها التي كانت تقول لكل من يقابلها وتأمين
جانبه : « أنا سجينة الملك فؤاد » .

ولقد تعددت الروايات واختلفت عن زواج « السلطان »
أحمد فؤاد من نازلي كريمة المرحوم عبد الرحيم صبرى
باشا . ولكن الذى سمعته من رواة ثقات من اقاربها
هو أنها أرغمت على هذا الزواج . . وانها كانت تحب
شابا من اقربائها وأكتفى بذكر الحروف الاولى من اسمه
« ش . ش » لأنه لا يزال بيننا على قيد الحياة .

كانت نازلي تحب قريبها الشاب ، وكان أملها في
الزواج منه كبيرا الى أن خطبها « عظمة السلطان »
أحمد فؤاد من أبيها .

وفي اليوم المحدد لعقد القران هربت نازلي - في
الصباح الباكر - من قصر أبيها ، ولجأت الى حبيبها
« ش . ش » .

وراح الفتى يتنقل - وهي معه - طول اليوم من دار
صديق الى دار صديق . . خوفا من مطارديه فقد
انطلق الأقارب وسلطات الدولة كلها تبحث في كل مكان
عن خطيبة « عظمة السلطان » .

وأخيرا أدرك الفتى الأمانة ! ولعله كذلك خاف مما
قد يصيبه من بطش « السلطان » فأركبها عربة حنطور
وأعادها الى قصر أبيها . . في المساء .

وعقد القران . . وأصبحت نازلي صاحبة « العظمة
السلطانية » سلطانية . . ولكنها حبيسة في القصر . .
عليها في كل ردهة وكل رواق وغرفة عيون وأرصاد

ولا تغادر القصر الا باذن . . ولا تزور ولا تزار الا باذن . . فقد كان أحمد فؤاد شديداً الفيرة على زوجته الشابة الجميلة .

ولقد أصاب نازلي من فؤاد عدة أمراض ليس أقلها شأنا تقيح اللثة أو « البيورى » . قال لى الدكتور ستانكيفتش طبيب الاسنان ، وهو روسى الاصل ، وكان متزوجا من أميرة بولونية . . وكان طبيب الاسنان الخاص للملك فؤاد وأسرته . . قال لى مرة بعد وفاة الملك فؤاد أن فى فم الملكة نازلي تسع أسنان « عايمة » أو « ملخلخة » بسبب تقيح اللثة . . ولما كان يعرف أن الملك فؤاد عنده نفس الداء « تقيح اللثة » فقد سألها ذات يوم لى يتأكد من أصل العدوى وسببها . . سألها :

— هل جلالة الملك يقبلك فى فمك ؟
وضاقت عينها قليلا وقد بدا فيها حقد وسخط ،
وقالت :

— يقبلنى فى فمى ؟ . . انه لا يكتفى بمجرد التقبيل !
وكانت عينها وصبوتها وقسمات وجهها تنطق
بالاشمئزاز والكراهية . . هذه رواية دكتور ستانكيفتش
وقد أيدتها مصادر أخرى وهى أن نازلي لم تكن تحب
زوجها أحمد فؤاد .

وبقيت نازلي سجينه القصر أو فى « قفص من ذهب »
سبعة عشر عاما هى الربيع وخير ما فى العمر وسنوات
الصبا والشباب .

وأخيرا تحررت يوم مات « سجانها » الملك أحمد فؤاد .
وكان ربيع عمرها ولى ومن بعده الصيف أوشك كذلك
أو يكاد .

وانطلقت نازلى - بشراهة ونهم - تنهل من عيون الحياة وتطفىء نار الظما الذى أحرق أحشاءها السنوات الطوال !

وكثر الهمس ، وذكرت أسماء بعض ضباط الحرس وموظفى القصر ، ثم تركزت الأشاعات حول أسسفين اثنين ، وهما : أحمد محمد حسنين ، واليارور « البكباشى يومئذ » عمر فتحى .

وما من شك فى أن ملكة مصر يومئذ - نازلى - كانت تريد أن تلهو بالرجلين وأن تضرب أو تضارب أحدهما بالآخر وأن تثير الفيرة فى صدر هذا ضد ذلك وأن تتلذذ بمشاهدة الفيرة والمنافسة بين رجل الحاشية الوسيم وضابط الحرس الرشيق . . وأن تعبت وتلهو .

ولقد سمعت من حسنين هذه الحكاية : طلبت منه الملكة نازلى ذات يوم أن يمر عليها فى الساعة كذا لكى يصحبها الى حفلة ما فى المساء .

وذهب حسنين فى الموعد المحدد ووقف ينتظر . . وأخيرا سأل عن جلالة الملكة . . وطلب من إحدى الوصيفات أن تذكر صاحبة الجلالة بموعد الحفلة وأن حسنين فى الانتظار ! . .

وقالت الوصيصة : « ولكن جلالة الملكة غادرت القصر منذ ساعة وذهبت فعلا الى الحفلة » .
وسألها حسنين :

- ذهبت وحدها ؟

قالت الوصيصة :

- كلا . . فقد صاحبها عمر فتحى بك !

روى لى حسنين هذه الواقعة وقال :

- ولقد سألت الوصيصة عما إذا كانت جلالة الملكة

خرجت وحدها وأنا أعرف مقدما ان الجواب سيكون :
انها خرجت مع عمر فتحى . . فلم تكن تلك اول مره
تحاول فيها أن توقع بينى وبين صديقى عمر فتحى .
ومن ذلك أيضا انها دعت مرة عمر فتحى لكى يصحبها
الى « المكس » لتتناول طعام العشاء فى مطعم هناك اشتهر
بطهى أصناف السمك .

واعتذر عمر فتحى من عدم تلبية طلبها لأن جلالة
الملك متوعدك المزاج وان عليه - على عمر فتحى - أن
يلازمه هذا المساء .

وهزت نازلى كتفيها برشاقة ونظرت الى الياور عمر
فتحى بطرف عينيها وقالت :
- على كيفك . . اذا كنت مش فاضى . . حسنين
دايما فاضى علشانى !



ولكن لعبتها لم تطل لأن أحد الرجلين - عمر فتحى
- لم تكن له مطامع ، ولأنه طول خدمته فى القصر كان
حريصا دائما على أن يكون فى « حاله » وان يؤدى
واجبات منصبه فقط . . ومن ثم فقد انسحب باختياره
وترك الميدان خاليا أمام حسنين .

هذا من جهة . . ومن جهة أخرى فان احمد محمد
حسين كان أدهى بكثير مما قدرت نازلى ملكة مصر .

لقد كان فى قصر « كبرى هاوس » بلندن فى معية
صاحب السمو الملكى التلميذ الأمير فاروق ولى العهد
وأمر الصعيد يوم جاءهم نبأ وفاة الملك فؤاد والمناداة
بفاروق ملكا على مصر .

وعاد حسنين فى صحبة الملك الجديد الى مصر وفى
رأسه خطة مدروسة مرسومة محكمة التفاصيل .
كان يعرف عن نازلى أكثر مما يعرف أى موظف آخر

من موظفى القصر . . كان يعرف الكثير عن «سجنها»
وعذابها وغيره زوجها الملك فؤاد وحسرتها وتلفها على
الحياة المرحلة الطليقة . . ومن هنا عاد الى مصر - والى
القصر - وقد قرر فى نفسه أمرا . . أن يتركها - يترك
نازلى - تشده وتصده . . وتعرض وتقبل . . وتروح
وتعود . . وأن تفازل هذا و «تستلطف» ذلك . . وهو
دائما هادىء يبتسم . . لا يفار ولا يثور .

وأن يمد لها فى حبال الصبر كما يمد الصياد الماهر
المجرب فى خيط الصنارة . . التى علق بها سمكة
عنيدة .

السمكة تشد وتجذب وتقفز . . وتفوص وتطفو . .
وتقاوم . . والصياد يرخى من خيط الصنارة حيناً . .
ويشده حيناً . . وهكذا الى أن تخور قوى السمكة
وتستسلم .

وهكذا فعل حسنين . .

الى أن تعبت نازلى واستسلمت . أو أسلمت قيادها
لأحمد حسنين . . وبدأت هى التى تفار والتى تحاسب
حسينين أين كان ! ومع من ؟ وماذا فعل ؟ وكيف أمضى
سهرته ! . .

الى آخر ما تفعله المرأة التى تحب بعد أن تكون قد
جاوزت سن الشباب .

وهو ؟ . . هل كان يحب نازلى ؟

كلا . . ولكنه كان حريصا على استرضاء «ملكة
مصر» . . وأم ملك مصر . . وصاحبة النفوذ الأعلى عند
ابنها فاروق فقد كان فاروق يومئذ يحب أمه ويحترمها
بل ويخشها ويخشى غضبها ويعمل لها حسابا ولا
يخالف لها أمرا . . وكان حسنين يعرف هذا كله . .

ويدرك ان الذى يسيطر على نازلى يستطيع - عن طريقها - ان يسيطر فى نفس الوقت على الملك فاروق .



عاد فاروق من انجلترا - حيث كان بدأ دراسته - عاد فى الاسبوع الاول من شهر مايو عام ١٩٣٦ . وكان هناك مجلس وصاية على العرش مؤلفا من صاحب السمو الملكى الامير محمد على توفيق وصاحبى المقام الرفيع عبد العزيز عزت باشا ومحمد شريف صبرى باشا خال فاروق .

وكانت الوزارة يومئذ وفدية برئاسة « صاحب المقام الرفيع » مصطفى النحاس « باشا » . واقترح الامير محمد على - وهذه شهادة حق اقرها للتاريخ - اقترح رفع سن الرشد للملك الى سن ٢٥ سنة وأن يعود فاروق الى انجلترا ليكمل دراسته .

ولكن الوزارة رفضت هذا الاقتراح ، وأعلن السيد مصطفى النحاس ان وزارته تحترم وتستمسك بأحكام الشريعة والقانون والدستور . . وان هذه جميعها تقرر أن سن الثامنة عشرة هلالية هى سن الرشد والبلوغ . وان جلالة الملك يتولى ويمارس سلطاته الدستورية والحالة هذه فى يوم ٢٨ يولية عام ١٩٣٧ .

ولم يكن الاستمسك بأحكام الشريعة والقانون والدستور سوى ذريعة أو حجة . والحقيقة ان زعماء الوفد كانوا يعتقدون - بعد ان أراحهم الموت من خصمهم العنيد أحمد فؤاد - كانوا يعتقدون ان فى امكانهم ان يضعوا فاروق الملك الشاب فى « جيوبهم وأن يسيروه ويوجهوه كما يريدون .

ما حاجتهم اذن بمجلس وصاية يمارس سلطات الملك سبع سنوات ؟ ما حاجتهم الى هذا المجلس الذى

يرأسه أمير من الطراز التركي القديم . . . أمير كثير
الطلبات . . . كثير المعارضة . . . يخرف حيناً . . . ويثرثر
حيناً . . . ولا يمل الحديث عن أجداده العظام . . . وإذا
ذكرت حقوق الشعب أمامه تملل أو هز كتفيه
استخفافاً !

كلا . . . سن الرشد هي الثامنة عشرة . . . وهلاية
لا ميلادية . . . ويتولى فاروق سلطاته كملك دستوري
بعد عشرة شهور لا سبعة أعوام .



وهنا رؤى أن يقوم الملك الشاب نصف الأمل والذى
لم يكمل دراسته ولم يحصل من العلم إلا أقل القليل . .
رؤى أن يقوم برحلة طويلة إلى أوروبا لعل الرحلة تزيد
في تجاربه ومعلوماته ولو قليلاً .

وتقرر أن يصحبه في هذه الرحلة أمه الملكة نازلى
وشقيقاته الأميرات فوزية وفايزة وفايقة وفتحية ،
ومعهن المربيتان الانجليزيات وأستاذهن للغة العربية
الرجل الطيب الأستاذ أحمد يوسف ، ومستتر فورد
مدرس التاريخ والجغرافيا للملك الشاب .

والسيدة الجليلة زينب ذو الفقار بصفتها « السيدة
المرافقة » للملكة نازلى ، وكريمتها الأنسة صافيناز
ذو الفقار .

وخال الملك فاروق حسين باشا صبرى والسيدة
الكريمة زوجته شهيرة الدرمللى .

وعلى رأس الحاشية « رائد الملك » أحمد محمد
حسنين ، ومعه ياور الملك الخاص عمر فتحى « وقد
أنعم عليه برتبة القائم مقام المحلينة » وطبيب الخاصة
الملكية دكتور عباس الكفراوى والأمين الثالث على رشيد
« وهو اليوم كبير الأمناء » ودكتور حسين حسنى

مساعد السكرتير الخاص للملك .
وأوفدت وزارة الداخلية اثنين من ضباط البوليس
ليكونا في حراسة الملك . . وهما اليوزباشى أحمد الطاهر
واليوزباشى أحمد كامل الذى أصبح فيما بعد الاميرالاي
وقائد قوات بوليس السراى . وتحدد يوم ٢٧ فبراير
عام ١٩٣٧ للسفر من بورسعيد على ظهر الباخرة
« فايسروى اوف انديا » .
وكانت ثورة قد قامت في بيت أحمد محمد حسنين



كان ترمى الى سمع زوجته الرقيقة الطيبة التى
تحبه ، اشاعات وأخبار وروايات وحكايات عما بين ملكة
مصر نازلى ، وبين زوجها أحمد حسنين .
وطلبت لطفية من حسنين أن تسافر معه في هذه
الرحلة ، ووعدتها حسنين بعرض الأمر على فاروق .
ولكنه لم يعرض الأمر على فاروق ، بل تحدث فيه
مع نازلى . . ورفضت نازلى طبعا ، وعاد حسنين وأبلغ
زوجته أن جلالة الملك لا يوافق على سفرها لأن الرحلة
شبه رسمية ولا مكان فيها لزوجات الموظفين من رجال
الحاشية .

ولكن لطفية - رحمها الله - لم تقتنع ، وذهبت تسأل
وتستقصى الى أن علمت وتأكدت أن زوجها لم يحدث
فاروق في أمرها وأن فاروق خالى الدهن تماما من هذا
الموضوع .

وهنا أدركت أن نازلى هى التى تعارض في سفرها !
أو لعله هو - حسنين - الذى لا يريد أن تسافر معه . .
مراعاة لخاطر الملكة !

والاشاعات اذن صحيحة ، ونشبت الثورة . . وعلا
الصراخ والبكاء في بيت أحمد محمد حسنين وانفجرت

الزوجة الرقيقة الطيبة القلب ،

وكان أحمد محمد حسنين - كما قلت في فصل سابق - يحب زوجته لطفية حبا أكيدا . . ولكنه كان يحب السلطة والمجد أكثر مما يحب زوجته . ولقد عرفت حسنين اثنتى عشرة سنة واختلطت به عن قرب وكثيرا ما رفعا « الكلفة » في مناسبات عديدة وفتح كل منا قلبه لصاحبه . . وأستطيع اليوم أن أقول أن حسنين باشا رحمه الله لم يكن الرجل الذى يلبى نداء قلبه ويعرض عن حكم العقل ! كلا !

كان العقل عنده دائما مقدما على القلب .
والخطة التى درسها ورسم خيوطها لا بد أن تنجح ولو كان الثمن على حساب حبه وحبه زوجته .

ومن أجل أن تنجح هذه الخطة كان لا بد أن تبقى زوجته لطفية فى مصر . . بل لو أن الملكة نازلى نفسها كانت طلبت من حسنين أن تصحب زوجته فى هذه الرحلة ولو من باب التعمية وذر الرماد فى العيون لكان حسنين رفض طلب نازلى وأصر على أن تبقى زوجته فى مصر . ذلك لأنه كان يعرف زوجته حق المعرفة ويعرف مقدار حبا له وغيرتها عليه ، وأنها - وهى ابنة الأميرة شويكار ومن أفراد البيت المالك - لن تبالى إذا اضطربت نار غيرتها أن تقلد بالاتهام فى وجه نازلى ملكة مصر ! . . وبعد . . من تكون نازلى هذه ؟ ابنة عبد الرحيم باشا صبرى المدير السابق لمديرية المتوفية ! أما هى - لطفية - فإنها ابنة شويكار وحفيدة محمد على ! . .

وهذا كلام سبق أن سمعه حسنين من فم زوجته لطفية ! ماذا يحدث إذن لو أنه سمح لها بالسفر معه الى أوروبا . . ولاحظت هى - باحساس الفيرة المرهف

وهيئى الزوجة المفتوحتين - ماذا يحدث لو لاحظت ما هنالك أو بعض ما هنالك بين نازلى وحسنين ؟
سوف تكون فضيحة ومشهدا مثيرا ، وتفشل الخطة التى رسمها ليحقق مظامعه وهى أن يصبح الرجل الاول فى الدولة .. بعد الملك ، وأن يسيطر على الملك فاروق عن طريق أمه نازلى ! ..

كلا ، لابد أن تبقى لطفية فى مصر .
وهكذا كان .. وخرج حسنين من داره فى يوم ٢٧ فبراير عام ١٩٣٧ ليرافق الملك فى القطار الخاص الى بورسعيد .. والباخرة .. وأوروبا .. وترك وراءه زوجة ثائرة تسب وتشتم وتهدد وتتوعد بأنها لن تسكت على نازلى .. كلا .. ولا ألف مثل نازلى !

وكان الوزراء ورئيسهم « رفعة » مصطفى النحاس باشا قد رافقوا فاروق فى القطار الخاص الى بورسعيد ثم صعدوا الى ظهر الباخرة وودعوه .
وفوجيء النحاس باشا ومكرم باشا برؤيتى على ظهر الباخرة مع أفراد الحاشية التى ترافق فاروق فى رحلته الى أوروبا .

وصاح النحاس باشا بلهجته المعروفة :
- تسافر! .. ازاي الكلام ده .. ازاي .. ازاي ..
وكررها نحو عشر مرات .
- وشايب الجرنال لمن ؟
قلت : البركة فى محمود وكريم .
وقال « رفعتة » : محمود وكريم ! محمود وكريم !
لا .. لا .. لا .. ياسى التابعى .. لا .. لا .. لا ياسى التابعى .

وكررها نحو عشر مرات .. وتدخل مكرم باشا وقال

وهو يهدىء من غضب رئيس الوفد :
- صحيح الأستاذ التابعى غلطان .. كان يجب يقول
لنا ويستأذن من «رفعتك» .. لكن انت تعرف يا باشا
ان الأستاذ التابعى يجب السفر .. والتهييىص .. هذا
وهو يضحك ويربت على كتفى .
ولكن النحاس باشا انطلق مرة أخرى يقول :
- التهييىص .. التهييىص .. تهييىص ايه ..
تهييىص ايه ؟

وكررها نحو عشر مرات .. ثم عاد وانطلق :
- والجرنال .. والجرنال يا مكرم ؟

ذلك لأن النحاس باشا لم تكن له يومئذ اقل ثقة فى
صدق أو اخلاص وفدية شريكى الاثنين : محمود أبو
الفتح ، وكريم ثابت - وخصوصا محمود - وكنا نحن
الثلاثة قد أصدرنا فى شهر أكتوبر السابق أى منذ نحو
خمسة أشهر جريدة «المصرى» على «مبادئ وسياسة
الوفد المصرى» .

والتفت «رفعتة» يسألنى مرة أخرى :
- ومسافر وسايب الجرنال لمحمود وكريم ؟ ! ..
وعاؤزنى أقول لك ايه ؟ ! .. أقول لك مع السلامة ياسى
التابعى ؟ ! طيب مع السلامة ياسى التابعى ! .. آه ..
مع السلامة .. مع السلامة .. آه .. وادى كمان بوسة
ياسى التابعى .

وعاتقنى الرجل الطيب القلب وقبلىنى .. وغادر
«رفعتة» والوزراء والمودعون السفينة .
وبعد منتصف الليل بقليل تحركت السفينة
«فايسروى أوف انديا» وغادرت الميناء .

وكان على واجب يجب أن أؤديه .

كانت « المصري » . قد أوفدت - فيما أذكر - الأستاذ
عبد الجليم الغمراوي ليوافيها بأنباء الرحلة الملكية من
القاهرة الى ساعة قيام الباخرة . من بورسعيد .

وكان على أن أوافي الجريدة بأنباء الرحلة بعد قيام
الباخرة . . وماذا فعل الملك والملكة والأميرات وأين
تناولوا العشاء وكيف أمضوا السهرة الاولى على ظهر
الباخرة . . الى آخره .

ورحت أطوف بالباخرة وأجمع المعلومات والتفاصيل
بعضها بالمشاهدة ، وبعضها الآخر من رجال الحاشية
ثم كتبت البرقية التي كان على أن أرسلها فوراً عن طريق
اللاسلكى الى جريدة « المصري » لتظهر في عدد
الصباح .

ولكن أين مكتب اللاسلكى في هذه الباخرة الضخمة
وهي من عابرات المحيط وكانت قادمة من استراليا وفي
طريقها الى انجلترا ؟

وسألت . . وقيل لى انه في أعلى سطح السفينة . .
حيث توجد غرفة القيادة وغرفة نوم القبطان . . وبعض
زوارق النجاة . . ولا شيء آخر .

وتسلقت عددا كبيرا من السلالم الضيقة - ذات
الدرجات الحديدية بين سطح وسطح - الى أن وصلت
الى السطح الأعلى .

وكان الظلام تاما وشاملا الا من نور خافت ينبعث من
غرفة مكتب تلفراف اللاسلكى .

ودخلت وناولت البرقية الى عامل اللاسلكى وانتظرت
حتى قرأها . . وخرجت . . ووقفت قليلا ريثما تعتاد
عيناي الظلام .

وهنا تبينت - على مسافة غير بعيدة - شبحين
مستندين الى حاجز الباخرة . . وكأنهما كانا يتفرجان

على أنوار بورسعيد وهي تومض من بعيد.. وكانا الملكة
وأحمد حسنين ! ولم يكن في وقفتها معا شيء يريب ..
الملكة تريد أن تتفرج على بورسعيد من على ظهر الباخرة
أو لعلها كانت تريد أن تلقى نظرة أخيرة على شاطئ
الوطن ! ويصاحبها كبير الحاشية ورائد ابنها الملك .

لا شيء عجيب أو مريب في هذا كله .. فقط !

فقط كانت الملكة تتكىء على حاجز السفينة.. وكانت
يد حسنين تتكىء على كتفها !
وكانت هذه أول « علامة » أكدت عندي صدق
الإشاعات !

وحدث ذات مساء - أثناء رحلتنا بالباخرة وكنا في
قاعة الرقص - أن تقدم انجليزى كان قد تناول من
الخمر أكثر مما يحتمل رأسه - وكانت الباخرة مزدحمة
بالانجليز العائدين من استراليا والهند وعدن - تقدم
هذا الانجليزى المخمور من السيدة زينب ذو الفقار
وانحنى أمامها باحترام وهو يكاد يفقد توازنه من فرط
السكر والتمس من « جلالتهـا » أن تسمح له بهذه
الرقصة !

وكانت اوركسترا الباخرة تعزف موسيقى رقص..
وتلفتت زينب هاتم حولها .. كأنها تبحث عن منقذ أو
منقذ للنجاة .. فلم تجد !

وكان الرجل مخمورا - كما قلت - ولحوحا ولو ان
الحاحه كان في أدب يليق بمن يقف أمام « صاحبة
الجلالة ملكة مصر » !

ورأت زينب هاتم انه من الافضل الا تثير ضجة أو
تلفت الانظار فقامت وراقصت الرجل .. ثم غادرت
القاعة فوراً .

هذا والرجل يعتقد وأصحابه يعتقدون أن السيدة

التي رقص معها هي ملكة مصر !
واتصل الخبر بفاروق فغضب غضبا شديدا وتساءل
أين كان حسنين ؟ ولماذا لم يتدخل ويوقف الرجل عند
حده أو يأمر ضباط السفينة بطرده من القاعة ؟ الى
آخره .

ولكن حسنين كان كالعادة يلزم الملكة نازلي ..
أو يتنزه معها في مكان ما أو ركن ما على ظهر الباخرة
الضخمة !

وفي الصباح ذهب حسنين الى الانجليزى المذكور ..
وكان قد فاق من سكره وقال له أمام أصحابه انه أخطأ
مرتين :

أولا - أخطأ لأنه الح على سيدة ما بأن ترقص معه
وثانيا - أخطأ لأن هذه السيدة ليست ملكة مصر
- كما يعتقد - بل هي السيدة المرافقة لجلالة ملكة
مصر !

واعترف الرجل .. وعرض ان يقدم اعتذاره للملكة
مصر ، والسيدة التي رقص معها ، ولكن حسنين
اكتفى بقبول الاعتذار بالنيابة عنهما .

وعاد حسنين وأبلغ فاروق النتيجة .. وغضب
فاروق وصاح في حسنين :

- كان لازم تضربه قلمين !

وأجاب حسنين :

- وهل كان يسكت على القلمين ؟ .. أبدا .. كان
ضربنى بوكس ! وكنت ضربته بوكس ووقعنا فى خناقة
وفضيحة على ظهر الباخرة ! وكان الخبر طار باللاسلكى
الى صحف أوروبا وأمريكا .. والحكاية كبرت ..
والاشاعات كثرت عن سبب الخناقة .. وكانت ألف
حكاية وحكاية خرجت تتحدث وتزوى ما حدث وما لم

يحدث عن الرجل السكران الذي رقص مع ملكة مصر !

وكانت أول مرحلة في الرحلة الملكية سويسرا ..
وسان موريتز التي كانت تغطيها الثلوج فقد كنا لا نزال
في موسم الشتاء .

وحاول فاروق في أول الأمر أن يتعلم « السكى »
Ski أى الزحقة على الجليد ولكنه وجدها رياضة
شاقة وخطرة فأنصرف عنها الى اللهو ومغازلة من في
الفندق - فندق سوفريتا - من فتيات .. ولكنه كان
غزل أطفال وأشهد أن وجه فاروق كان يومئذ يعرف
الحياء والاحمرار .. وكان يرتبك اذا ابتسمت له فتاة
أو وقفت تتحدث اليه .. وكان لا يعرف ماذا يفعل
بيديه ! فكان يشبك أصابعهما حيناً .. ثم يضع
أحدهما في جيب البنطلون .. ثم يخرجها ويمسك
بأصبعين منها طرف جيب الصدرى .. هذا وهو يضع
ثفله حيناً على قدمه اليمنى .. رحينا آخر على قدمه
اليسرى .. وهكذا !

وكانت أول غزوة له مع شقيقتين من تيبلاث السويد
فكان يخرج معهما للنزهة على ظهور الجياد .

وبعد أن سافرت الشقيقتان السويديتان .. أخذ
« يلتفت » الى فتاة مجرية ولكنه لم يلبث أن سئمها
وتضايق منها لأنها كانت تلاحقه في كل مكان يذهب اليه

وكان حسنين باشا يرى ويسمع ويراقب ولكن في
حذر شديد ، بل كان يتظاهر - وأمام فاروق - بأنه
لا يرى ولا يسمع ولا يعرف شيئاً عن مغامرات
صاحب الجلالة .

وقال لى مرة :

.. ان الملك لا يزال ينظر الى - ومنذ أيامنا في لندن -

نظرة التلميذ الى الاستاذ . . وبيننا الان ما يكون بين
الاثنين من كلفة وتحفظ . . وهذا كما اعتقد من مصلحته
ومصلحتي . . ويوم يشعر فاروق اننى اعرف كل شىء
عن مفازالته ومغامراته هو يوم تزول الكلفة ويخرج
على المكشوف ويفقد كل احترامه لى ولا يبالى بعدها
بشىء .

وفى مرة اخرى قال لى وعلى فمه ابتسامة ساخرة :
- عقب وفاة الملك فؤاد وعودتنا من لندن اتصلت
بى سيدات كثيرات من هوانم مصر وبنات اعرق الاسر
فيها . . اتصلن بى وتحدثن الى فى لباقة ودبلوماسية
رفيعة عن الملك . . الشاب المثلثة عروقه بدم الشباب
الحار . . وعن صحته وما تتطلبه هذه الصحة الغالية . .
وتحدثن كذلك عن السن الحرجة - سن الخامسة عشرة
والسادسة عشرة - وعن المتعة الصحية التى لا بد منها
لشاب موفور الصحة مثل « مولانا الملك » . . وعرضن
- بكل لباقة ورقة وكياسة - وبكل امانة وحرص وحذر
عرضن خدماتهن على جلالة الملك . . وابدين استعدادهن
لان يقدمن « البضاعة الصحية » اما فى قصورهن . .
او الى القصر الملكى مباشرة . . كما يشاء !

وروى لى حسنين رحمه الله تفاصيل كثيرة واسماء
كثيرة . . الى آخر ما لا يمكن ولا يجوز ان يشار اليه
ولو تلميحاً او من بعيد .
وقال :

- وكنت اقول لهؤلاء الهوانم ان « مولانا الملك » لن
يرضى ولن يوافق اذا عرف ان لى دخلا فى هذا الموضوع
او اننى مطلع على اسراره « الصحية » وان الافضل
والحالة هذه ان يحاولن الاتصال بجلالة الملك وعرض

خدماتهن عليه من طريق آخر غير طريقى .

ولعل رجولة احمد حسنين - وما من أحد حتى من خصومه أنكر عليه رجولته - أقول لعل رجولته نفرت وأبت عليه أن ينزل الى القيام بمثل هذا الدور أو هدم الوساطة .

وبعد . . لقد كانت خطة حسنين تفرض عليه - اذا قدر لها النجاح - أن يكون قائد الملك . . لا قواده ! . . أن يكون الرجل القوي الذى يوجه الملك ويرشده ويسيطر عليه - عن طريق أمه الملكة نازلى - لا الرجل الدليل الرخيص الذى يشترك فى « توريد البضاعة أو المتعة الصحية » للملك الشاب !

وهل كانت نازلى كامرأة لها كبرياؤها . . هل كانت ترضى عن حسنين وتخضع له وتأتمر بأوامره ، لو انه قام لابنها بدور القواد . . لا دور القائد ؟

كل شيء اذن . . وكل مصالحة . . وكل سبب . . فضلا عن دواعى الرجولة والخلق القوى . . كل شيء اذن كان يفرض على احمد حسنين أن يتعد عن هذا الجانب من حياة فاروق . .

ولعل فى هذه الصفحة الموجزة ردا على الذين زعموا ان حسنين هو الذى علم فاروق الفسق والفجور !

وكان حسنين طول هذه الرحلة حريصا على مقامه واحتزامة فى نفس فاروق . . وحريصا فى نفس الوقت على تقوية قبضته على نازلى الملكة وأم فاروق . . وكانت الأميرات الشقيقات قد بدأن يتعلمن فى ساحة الفندق المفطاة بالجليد . . الزحلقة بالقبقاب وكانت اكثرهن حماسة ورغبة فى التعليم فتحية التى

كانت لا تزال يومئذ في السابعة من عمرها . . ولم تكن
تبالى أن تقع عشر مرات أو عشرين مرة في كل صباح .

و ذات يوم نزلت الملكة نازلى نفسها تريد ان تتعلم هى
أيضا . . وأمسك المدرب بذراعها . . وأحاط بخصرها
بيده . . وراح يعلمها كيف تنقل قدميها والقبقاب فوق
الجليد .

وصاحبة الجلالة تتثنى وتتمايل ، والمصنورون
يلتقطون لها الصور في هذه الاوضاع !



ووقف حسنين على درج السلم الخشبي الموصل بين
الشرفة وساحة الزحقة . . ومضت دقائق والملكة نازلى
تحاول أن تتعلم وتمشى بالقبقاب . . وتحفظ توازنها . .
وتضحك . . وأخيرا عادت أدراجها وخلعت قبقابها .
هذا وحسنين واقف ينتظر وعلى عينيه نظارة تحمى
البصر من وهج الثلوج .
واقبلت نازلى . .

وانفجر حسنين . . ولكن صوته لم يعل عن طبقتة
العادية : لا . . لا . . مش كده يا ست ! . . مش كده
أبدا . . بكره راح نسمع كلام فارغ كثير بسببك !
ولم تزد هى - صاحبة الجلالة - عن أن تبتسم فى
وجهه . . وهى تصعد اليه درجات السلم الخشبي . .
حتى اذا وصلت أخذت بذراعه وهى تقول :
- طيب خلاص . . مرة وفاتت !

وعجبت لهذه اللهجة التى يخاطب بها موظف القصر
صاحبة الجلالة الملكة وأم ملك مصر ! ؟
وعجبت أكثر وأكثر لخضوع صاحبة الجلالة ! فهى
لم تفضب . . بل اعتذرت . . وتابت !
وكان ما خاف حسنين أن يكون . . ونشرت صحف

مصر بعض هذه الصور التي ظهرت فيها الملكة نازلى
وهى تتزحلق على الجليد .

وقامت مظاهرة من طلبسة الازهر الشريف وتعالى
فيها اصوات الاحتجاج والمناداة بالحياة والسقوط .

وبادر رئيس مجلس الوصاية وولى العهد الامير
محمد على توفيق وارسل الى حسنين باشا خطابا شديد
اللهجة يوبخه فيه بقسوة على سماحه للمصورين بالتقاط
هذه الصور . . وعلى سماحه لملكة مصر بالزحلقه على
الجليد . . وعلى . . وعلى . . الخ .

وهز فاروق كتفيه . . وقهقه ضاحكا . . اما نازلى
فقد غضبت وثارى وعلا صوتها وهى تصيح :

— كفايه بقى . . كفايه سبعتاشر سنة وأنا محبوبسة !
خدوا الكورونا من على راسى . . مش عاوزاها . .
« والكورونا معناها التاج » !

غضبت الملكة نازلى من خطاب الامير محمد على توفيق
واعلنت انها وقد امضت فى سجن الملك فؤاد سبعة عشر
عاما تريد اليوم ان تكون حرة . . والا فانها لا تريد هذا
التاج على راسيها ثم انطلقت تسب الازهر والازهرين
وتدعو الله ان يصيب « البرنس » محمد على بكدا وكذا
وكيت .

ولزمت صاحبة الجلالة جناحها الخاص بالفندق
يومين غاضبة . . وانقطعت عن تلقى دروسها فى الزحلقه
على الجليد .

وفى نفس الوقت تلقيت « امرا ملكيا » من فاروق
ان اكتب الى زملاى الصحفیین فى مصر وأطلب منهم ان
يكفوا عن نشر اية صور لجلالة الملكة نازلى . . اللهم
الا الصور التى تظهر فيها مع جلالة الملك فاروق .

اما صورها وحدها ، أو مع الأميرات فممنوع النشر

وصدعت بالأمر الملكي وكتبت في هذا المعنى خطابات خاصة الى « الأهرام والمقطم والمصرى ودار الهلال واللطائف المصورة » الى آخره .

واستجاب زملاء لرجائي ولم يشر أحد منهم الى خطابي الخاص . . ما عدا المرحوم اسكندر مكارىوس صاحب مجلة « اللطائف المصورة » فقد نشر على صفحة كاملة من مجلته خلاصة لخطابي الخاص وتعليقا له قال فيه : ان الصحافة حرة ، في حدود القانون ، واننا في القرن العشرين وعصر الديمقراطية وحقوق الانسان ، وان « صاحبة الجلالة » الصحافة حرة في نشر ما يحلو لها من صور أصحاب وصاحبات الجلالة . . ولتفعل بنا القوة ما تشاء ! . .

وكلاما فخما كثيرا في هذا المعنى ! ومن يومها حرمت « اللطائف المصورة » وصاحبها من العطف الملكي السامي ! فلم تدع او يدع صاحبها الى أية حفلة من الحفلات التي كانت تدعى اليها الصحف وأصحابها ورؤساء تحريرها في قصر عابدين .

غضبت الملكة نازلي ، ولزمت جناحها الخاص . . وشكا جميع من كانوا معها من « عصببيتها » وحدة لسانها .

وذات صباح تلقى فاروق من مصر برقية تقول ان صاحب السمو الملكي الأمير محمد على قد أصيب بدبحة صدرية وان حالته خطيرة .

وهنا عادت الإبتسامة الى شفתי الملكة نازلي وقالت لمن حولها : « أبواب السما كانت مفتوحة لما دعيت عليه ! دنا دهايا ما ينزلش الارض ! » .
وغادرنا سان موريتز في مساء ٢٥ مارس الى جنيف

فوصلنا اليها صباح اليوم التالي ٢٦ مارس .
وجنيف مدينة تتوافر فيها أسباب اللهو لمن يريد
أن يلهو . . وفيها أركان منعزلة ، ومحلات أنيقة لتناول
الشاي ، وصالونات خاصة ، ونزهات بالسيارة خارج
المدينة ، أو بزورق بخارى في بحيرة ليمان الشهيرة .
وفي جنيف بدأنا نلاحظ كثرة خروج أحمد حسنين
مع الملكة نازلي وحدهما . . وأحيانا معهما السيدة
الجليلة زينب ذو الفقار .

ثم فوجئنا بخبر سفر حسين صبرى باشا خال
فاروق مع السيدة الكريمة زوجته عائدين الى مصر مع
انه كان مقررا انهما سيلازمان الملك والملكة طول الرحلة
في أوروبا .

ودار همس خفى بأنهما سافرا لانهما غير راضيين عن
سلوك الملكة نازلي معهما ! فقط ؟ أم هناك شيء آخر ؟
لا أعرف . ولقد بقى السر معهما حتى اليوم !

وهكذا . . أقمنا أياما في مدينة جنيف . . وكان أحمد
حسين يخرج مع الملكة !

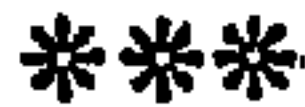
والقائمقام عمر فتحى يخرج مع الملك !
ولم يخرج الأربعة معا إلا فيما ندر !
وذاذ صباح - وكنا وقوفا في بهو الفندق ننتظر
نزول صاحب الجلالة من جناحه الخاص - أقبل علينا
فاروق وعلى وجهه مسحة من الحزن والبعد والقى
علينا تحية الصباح ثم قال :

- البقية في حياتكم . . الأمير محمد على مات !
وأسدل كل منا على وجهه نقابا من الحزن وأطرقنا
برءوسنا كما كان ينبغى أن نفعل . . وتمتم بعضنا
بعبارة العزاء والدعاء لله أن يطيل في عمر مولانا .

وتسللت أنا على أطراف أصابعى الى غرفة مجاورة
فيها مكتب وأدوات للكتابة وجلست اكتب صيغة
برقية الى جريدة « المصرى » وأصف فيها كيف وقع
الخبر الأليم فى نفس جلالة الملك وماذا فعل وماذا قال
وكيف قدم اليه أفراد الحاشية عزاءهم ضارعين الى
الله ان .. الى آخره .

وبينما أنا كذلك دخل على حسنين باشا وسألنى
ماذا أفعل ؟ وعلى وجهه ابتسامة .. وقلت اننى اكتب
برقية لجريدة « المصرى » بما حدث !
قال رحمه الله :

— برقية ايه يامدب ! مولانا ضحك عليكم والنهارده
اول ابريل !..



وفى نفس اليوم — على ما أذكر — استأذنت من فاروق
فى السفر الى « مونترية » لكى أوافق جريدة « المصرى »
بأخبار مؤتمر الفاء الامتيازات الاجنبية ريشما يصل
الاستاذ محمود أبو الفتح الذى كان أرسل لى برقية
يقول فيها انه مضطر للبقاء فى مدينة ميلانو بضعة أيام
بسبب اصابته بعرق النسا !

وأذن لى فاروق بالسفر وطلب منى أن أبلغ تحياته
الى « رفعة » النحاس باشا وزملائه وتمنيات جلالته
لهم بالتوفيق .

وسافرت الى « مونترية » وبقيت فيها عشرة أيام ،
وكان عجيبا حقا أن أسمع هناك — لأول مرة — ومن
الدكتور أحمد ماهر — رحمه الله — أول اشاعة تربط
بين اسم فاروق واسم صافيناز .. فقد خرجنا ذات
مساء — أنا والدكتور أحمد ماهر وجورج دومانى بك —
وكلاهما عضو فى وفد مصر لدى مؤتمر الفاء الامتيازات

الأجنبية .

خرجنا نتمشى على ضفة بحيرة ليمان في الطريق الى
« فيفيه » .

وسألني أحمد ماهر :

— صحيح جلالة الملك راح يتجوز الأنسة صافيناز؟
ودهشت ، وعجبت من أين جاءت هذه الاشاعة ؟
فقد كان مضي على شهر كامل أرى في كل يوم فيه الملك
فاروق والأنسة صافيناز ذو الفقار دون أن الاحظ
شيئا ..

كان فاروق يعاملها كما يعامل شقيقاته الصغيرات ..
وكان أفراد الحاشية — وأنا معهم — يعاملونها بأدب
جم ولكن بدون كلفة .

كنا مثلا نبتسم اذا لقيناها ونحييها .

— بونجور مدموازيل ، أو بونجور « فافيت » !
و « فافيت » تدليع صافيناز .. وكانت هي ترد
التحية بأدب واحتشام وتقول :

— بونجور اكسلانس .. أو بونجور يا استاذ !
ولم يخطر ببال أحدنا — أو بالي أنا على الأقل —
ان هناك شيئاً ما بين فاروق وصافيناز .. أو ان
« فافيت » هي ملكة مصر القادمة !

دهشت أذن وعجبت ، سألت الدكتور أحمد ماهر
من أين سمع هذا الخبر ؟

وضحك رحمه الله وقد ظن اننى قد وقفت على هذا
السر بحكم ملازمتي لحاشية الملك ، ولكننى أرى من واجبي
أن أكتم سر الملك وصافيناز .

وضحك وقال :

— طيب ما تعملش عبيط ! الحكاية سمعناها في

مصر .

أى أن الخبر طار الى مصر من قبل أن نلاحظ شيئا
نحن الذين كنا مع فاروق وصافيناز ؟

والتفسير الوحيد عندي هو أن حسين صبرى خال
الملك والسيدة زوجته هما اللذان أذاعا السر في مصر .

وكان فاروق ومن معه قد غادروا جنيف الى مدينة
برن .

وفي برن - كما علمت فيما بعد من أصدقائي رجال
الحاشية - بدت من فاروق أول اشارة تدل على حقيقة
عواطفه نحو الأنسة صافيناز .

كانت صافيناز تتناول طعامها دائما مع الأميرات :
فوزية وفايزة وفايقة وفتحية . . ثم تنسحب معهن بعد
تناول العشاء مباشرة لتأوى كل منهن الى غرفتها .

وكان غير مسموح لهن بالسهر .

ولسكن حدث في برن - ولأول مرة - ان نزلت الأنسة
صافيناز وهي ترتدى ثوبا من ثياب البهرة .

ولم تنسحب بعد تناول العشاء مع الأميرات كما كانت
تفعل ، بل بقيت في قاعة الفندق الكبرى .

ثم دعاها فاروق للرقص معه . . ورقص الاثنان معا
أكثر من مرة في تلك السهرة . . وكانت تلك أول مرة
- كما قلت - وكانت هذه أول اشارة أو أول خطوة
خطاها فاروق الى صافيناز .

ولم تحدث هذه الاشارة أو هذه الخطوة الا في

« برن » . . ولكن اشاعة الزواج كانت في مصر قبل
أن يصل فاروق وصافيناز الى « برن » وقبل أن يرقصا
معا ! . .

وانهيت مأموريتي في مونترية ولحقت بفاروق

وحاشيته في مدينة زيوريخ ، وبعد أيام سافرنا الى باريس ! باريس التي كانت نازلي - كما قالت مرارا - تشتهي أن تزورها قبل ان تموت ! وكنا جميعا قد انتهينا الى تقرير أمرين أو حقيقتين وهما :

فاروق يحب صافيناز ..

ونازلي تحب حسنين ..

وحسنين ؟ هل كان يحب نازلي ؟

لا اعتقد ولا أحد غيري كان يعتقد هذا ، والحقيقة ان الاثر الذي انطبع يومئذ في نفوسنا هو ان نازلي هي التي تجرى وراء حسنين .. وان حسنين « ثقيل » ! ثم لعله كان يتعمد أن يثير غيرتها عليه في بعض الظروف فقد لاحظت ان حسنين كان يحرص علي التودد والتظرف والتحدث مع كل سيدة أو آنسة جميلة يلقاها في قاعة الفندق .. اذا كانت الملكة نازلي موجودة !

بل كان يطلب منا اذا رأى مع أحدنا فتاة جميلة من المقيمات بالفندق .. كان يطلب منا ان تقدمه اليها .. ثم يدعوها للرقص .. أو لتناول شراب ما ..

كل هذا اذا كانت الملكة نازلي موجودة .. ترى وتسجل وتنقر بأصابعها على المائدة الصغيرة أو على ذراعى المقعد بغضب وعصبية !

أما اذا لم تكن موجودة فان حسنين كان قليل الاكتراث بالنسبيدات والآتسات .. وكان لا يتحرك لدخول أية جميلة مهما كان جمالها يبهز الأبصار أو يلفت الأنظار !

وحدث مرة - وكنا لا نزال في سان موريتز - ان قام حسنين يراقص فتاة ألمانية كنت أعرفها واسمها « جوى. جيبل » وكانت معدودة يومئذ من أبطال

... من اسرار العنانية والعباسية

التنس في المانيا وحسنين راقص رشيق بارع .
والفتاة الالمانية طويلة القامة هيفاء العود .
وطال رقص الاثنين ..
وانتفضت الملكة نازلى واقفة .. ونادت بصوت
ينم عن الغضب :
- حسنين !

وارخى حسنين على الفور ذراعه التى كانت تطوق
خصر الفتاة وأسرع الى الملكة نازلى .
- أفندم ما جستيه ..
اى أفندم يا صاحبة الجلالة ؟
وخرجت « ماجستيه » من قامة الرقص ، ووراءها
أحمد حسنين ! ..
وتبادل بعضنا النظرات ..

أما فاروق فكان يرقص ساعتئذ مع شهيرة هانم
زوجة خاله حسين صبرى باشا ولعله لم يلاحظ شيئا
وأكبر ظنى أن فاروق لم يكن يومئذ يخامرّه أى شك
فى سلوك أمه أو فى حقيقة علاقتها بأحمد حسنين .
كان فاروق يومئذ لا يزال يحسن الظن بأمه ..
ويحسن الظن برأئده أحمد حسنين .

قلت ان أحدا منا لم يكن يعتقد أن حسنين باشا
ممثل بارع ، وان كل إشارة منه بحساب وكل خطوة
بحساب وكل نظرة وكل عبارة موزونة بالدرهم والمثقال
وانه - فى كلمة واحدة - لا يفعل شيئا اعتباطا أو
« لوجه الله » .

انه لم يكن يحب نازلى ، وهذا أمر كان مفروغا منه
عند الذين يعرفون أحمد حسنين .
ولكنه كان حريصا على أن تحبه هى .. ومن هنا كان

يتعمد - كما ذكرت - أن يثير غيرتها .
لماذا ؟ لماذا يحملها على أن تحبه ، بينما هو لا يحبها ؟
لكي يخضعها لإرادته ، ويسيطر عليها . . . وقديما
قالوا : « ان الأقوى بين كل محبين اثنين هو الذى
يحب أقل من صاحبه » . والذى يسيطر على نازلى
يسهل عليه أن يسيطر - من ورائها - على فاروق .
وكان الأمر واضحا لكل ذى عينين ومنسدا كنا فى
أوروبا فى صيف عام ١٩٣٧ .

وكان حسنين يعامل نازلى أمامنا معاملة الموظف
المرعوس لصاحبة الجلالة . . أى بكل الاحترام والطاعة
والأدب .

رغم ذلك كانت تبدو منه - ربما عفوا - بعض
الإشارات أو العبارات التى وان كانت لا تتنافى مع
الاحترام والأدب إلا أنها كانت تنم بكل تأكيد عن القوة ،
أو السيطرة ، وأنه هو الأقوى ، وان كلمته هى التى
يجب أن تنفذ !

دخلت عليه مرة ذات صباح فى غرفته بفندق
« بلاتزا اتنيه » حيث كان ينزل الملك والملكة والأميرات
والحاشية - وكان حسنين مسترخيا فى فراشه يتناول
قهوة الصباح . وجلست فى مقعد الى جانب الفراش .
وكننا فى أوائل شهر يونية ، وهو من أجمل شهور
السنة فى باريس .

وكان اليوم يوم « أحد » . . وراح حسنين يتحدثنى
عن أيام شبابه وذكرياته فى باريس يوم أقام فيها وعدل
عن الدراسة فى أكسفورد . . وقرر أن يدرس فن
الرسم فى الحى اللاتينى .

وحسنيين - حين يريد - كان يستطيع أن يتحدث

كشاعر وأن يحلق بسامعه في سماوات الأحلام . . .
ودق جرس التليفون الموضوع بجانب السرير . . .
وتناول حسنين السماعة . . . وسمعت صوتا نسائيا . . .
واعتدل حسنين في فراشه وقال :
- صباح الخير ماجستيه .

وادركت أن التي تكلمه هي الملكة نازلي . . . ووقفت
أريد الانسحاب ولكنه أشار الى بيده أن اجلس . . .
فجلست .

وكان صوت الملكة نازلي مسموعا وواضحا تماما
كما يحدث أحيانا في بعض آلات التليفون .
وكانت جلالتها تريد أن تذهب مع « البنات » . كما
كانت تسمى الأميرات - الى ملهى « لونا بارك » .
وقال حسنين :
- مستحيل ماجستيه ! . . .

ومضى يقول ان اليوم « الاحد » وان لونا بارك
سيكون مزدحما بمختلف طبقات الشعب وكل من هب
ودب . . فكيف تذهب ملكة مصر وصاحبات السمو
الملكي شقيقات ملك مصر الى ملهى شعبي كهذا في
يوم الاحد ؟

وسمعت الملكة تضحك وهي تقول :
- يظهر انك عجزت خلاص يا حسنين ؟
والحت في الذهب . . .
وأصر هو على الرفض ؟
وكان له ما أراد . . . وعدلت نازلي عن الذهاب الى
لونا بارك !

ولكن هل كان اعتراض حسنين على ذهب نازلي
الى ملهى لونا بارك بوحى من اخلاصه . . . وواجبه كرائد
لابنها الملك ورئيس العاشمسية العسريص على سلامتها

وسلامة الأميرات .. وحريص على مكانها كملكة مصر .
أم ان إعتراضه كان لمجرد الإعتراض .. ومجرد
الرفض .. ومجرد خلق فرصة أو مناسبة يقول فيها :
« لا » .. ويرغمها - ملكة مصر - على أن تخضع
وتقول له : « نعم » !

كان هذا هو الواقع .. واعتراض حسنين كان من
باب « الترويض » .

كانت نازلي - كما قلت - تتحرق شوقا الى باريس ،
ومشاهدة كل ما في باريس .. ومن هنا كانت تضيق
أحيانا بمعارضة حسنين وتغضب وتثور .
وكان هو اذا رأى أن ثورتها توشك أن تنفجر ..
فتح قبضة يده وأرخى لها الزمام .. حتى اذا تعبت
من العدو عاد وجمع الزمام في قبضة يده القوية .

وهكذا رأيت حسنين الذي عارض في ذهاب الملكة
الى لونا بارك ، رأته يصحبها بنفسه الى ما هو شر
بكثير من لونا بارك .. رأته يصحبها الى سهرات في
حانات و « صناديق الليل » في أحياء مونمارتر
ومونبارناس .

وكان يوجد وقتئذ في حي مونبارناس ملهى أو على
الاصح « ماخورة » اسمها « سفنكس » .. ترقص
فيها فتيات وهن عاريات الجسد تماما حتى من ورقة
شجرة التوت !

وذهبت ذات مساء مع صديقين من رجال الحاشية
الى « سفنكس » المذكور .. وأشهد أن نفوسنا أشمزت
مما رأينا فقادنا الملهى أو « الماخورة » مسرعين .

ولكني سمعت بعد ذلك ان « سفنكس » كان من بين
ملاهى مونبارناس التي زارتها صاحبة الجلالة ملكة
مصر وفي معيتها أحمد حسنين !

والذى يستطيع ان يفهم .. يستطيع ان يعذر !
كانت نازلى بطبعها وطبيعتها ميالة للمرح والاستمتاع
بكل ما فى الدنيا وكل ما فى سنوات الصبا والشباب .
ولقد حرمت من الشاب الذى احبته وحرمت كذلك
من حق شبابها وصباهها .
وامضت احدى سنوات العمر سجينة فى قفص ، او
فى قصر فخم منيف سجاناه الملك فؤاد .
ومات السجنان .. وتحورت السجننة .. وانطلقت
- كما سبق ان قلت - انطلقت تنهل ملء راحتيها من
عيون الحياة .. وهى تشعر انه لم يبق لها من سنوات
« ما بعد الصبا » الا القليل .. ولم يبق بينها وبين
الكهولة المرة الباردة الا القليل .

وكان حسنين الخبير بطباع النفوس يعرف هذا
ويقدره .. ويعمل له حسابا .. ولو انه كان وقف دائما
فى وجهها يعترض ويقول : « لا » .. لانتهى الامر
بثورة عاصفة جامحة .. ومن هنا كان يشد حيننا ،
ويرخى حيننا .. وهكذا استطاع ان يحفظ المظاهر -
ولو الى حد ما - وان ينقذ ملكة مصر من انهيار
خلقى نفسانى فظيع .

ولسوف يقول التاريخ الحق ان نازلى ملكة مصر لم
تنفجر و « تفجر » الا بعد موت مروضا احمد محمد
حسين .

وذات مساء ذهب فاروق - ومعه بعض رجال
الحاشية - الى ملهى « بال تابران » فى مونمارتر ولم
يجدوا مقصورة خالية او مقاعد من مقاعد الدرجة الاولى
او الثانية .

فقد كان الملهى المذكور كعادته مكتظا بالمئات .
واخيرا وقف فاروق واصحابه فى المحل المخصص

لدرجة الثالثة .

وفي صباح اليوم التالي صدرت جريدة باريسية -
وهي « انتراسيجان » وفيها « ريبورتاج » أو وصف
مسهب التفاصيل لزيارة ملك مصر للمهي بال تاباران .

وعنوان المقال مقتبس من قصة فيكتور هيغو
المشهورة « الملك يلهو » Le roi s'amuse وكنت

جالسا - في نفس الصباح - في بهو فندق «بلازا اتنيه»
مع اليوزباشي أحمد الطاهر ونزل المصعد الكهربائي . .
وفتح بابا . . وخرجت منه الملكة نازلي ووراءها وصيقتها
الفرنسية وفي يدها عدد جريدة « الانتراسيجان » .

اذن فقد قرأت صباحية الجلالة مقال الصحيفة
الباريسية عن ابنها . . الملك يلهو !

وأذا كان فاروق . . الشاب الذي لا تزال الحياة
أمامه نسيحة ممتدة . . اذا كان ينتهز فرصة وجوده
بباريس ليلهو ويلعب فأولى بها هي - بل ومن حقها -
أن تلهو وتلعب ولم يبق بينها وبين الكهولة وسن
اليأس الا القليل .

لعل شيئا من هذا كان يدور برأسها حين تقدم منها
أحمد الطاهر وانحنى . . ومدت إليه يدها فقبلها .
وسمعه يقول :

- كل عام ومولاتنا بخير .

وابتسمت هي وقالت :

- خلاص يا كابتن عجزنا . . ولا بقاش الا القليل !
وكنت قد وقفت بدوري . . ولكنني بقيت واقفا
حيث كنت « زي اللوح » ولم أتحرك . . ولم أقدم
لجلالته التهاني لسبب بسيط ، وهو اني لم أكن أعرف
مناسبة التهنة !

وقال يوزباشي أحمد الطاهر :

— النهارده عيد ميلاد الملكة نازلى .

وقد دار الطاهى يومئذ على سيدات ورجال الحاشية يسأل كلا منهم وكلا منهن عن عدد الشموع التى يضعها فى « تورتة » عيد مولد صاحبة الجلالة . . وكل شمعة بسنة من سننى حياتها الجديدة .

وتهربوا جميعا من الرجل . . ومن السؤال .
وأخيرا قيل له : « ضع نفس عدد الشموع التى وضعتها فى العام الماضى » .

وكان عددها أربعاً وأربعين ! أى ان الملكة نازلى كان عمرها فى صيف ١٩٣٧ خمسة وأربعين عاماً !
لا عجب !

وحدث أثناء اقامتنا فى باريس أن وصل وفد مصر لدى مؤتمر إلغاء الامتيازات فى مونترية بعد توقيقه فى مهمته وهى موافقة الدول الأجنبية ذات الشأن على إلغاء الامتيازات والتنازل عن جميع حقوقها لسلطات القضاء المصرى .

وكان الوفد المذكور — كما ذكرت فى الفصل السابق — برئاسة رئيس الوزارة يومئذ مصطفى النحاس باشا وكان من بين أعضاء الوفد الاستاذان مكرم عبيد باشا والدكتور أحمد ماهر .

ونزل النحاس باشا والسيدة قرينته فى جناح كبير بفندق جورج الخامس .

ونزل معه فى نفس الفندق الاستاذ مكرم عبيد والسيدة قرينته . أما الدكتور أحمد ماهر فقد اختار رحمه الله فندقاً من فنادق الدرجة الثانية بميدان « بيراميد » — أى الأهرام — المقام فيه تمثال لجان دارك ، بشارع ريفولى ، وهو فندق ريجينا ونزل به

مع صديقه المرحوم السيد عبد الحميد البنان .
وطلب منى حسنين باشا أن أدبر له اجتماعا مع مكرم
عبيد باشا . . وكلمت الاستاذ مكرم فوافق ورحب
بالاجتماع بحسنيين ، ولكنه سألنى :
- ما تعرفش عايز يقابلنى ليه ؟

قلت : لا أعرف . . ولكن لعله يريد أن يقول لك
ما سبق أن قاله لى مرارا وهو أن الملك فؤاد مات . .
وأن من حسن السياسة أن يدفن الوفد خصومته
القديمة للملك فؤاد وأن ينسى مخاوفه وشكوكه من
القصر ورجال القصر . . لأن العهد قد تغير .
واجتمع الرجال بعد ظهر أحد الأيام فى مطعم -
مقهى « البافيون ده روز » بشارع الشانزليه .

وصح ما توقعته وبدأ حسنين الحديث عن فاروق ،
وكيف أنه وطنى ومؤمن بحقوق بلاده وحقوق شعبه . .
ومتحمس لمصر وكل ما هو « مصرى » الى آخره . .
ورجا من الوفد - فى شخص مكرم عبيد - أن ينسى
الماضى وما كان فيه من خصومات . . وأن يبدأ مع الملك
والقصر ، ورجال القصر ، عهدا جديدا يقوم على التعاون
فى خدمة مصر واحترام ما للشعب من حقوق وما للملك
من حقوق .

ثم قال حسنين : انه يعتقد ان لا شىء أعظم واجدى
من الصراحة . . وانه شخصيا ليس من رجال السياسة
ولا يفهم فى السياسة ، بل ولا يريد أن يفهم فيها أو
يشتغل بها ، ولكنه مع ذلك يقول : انه اذا قدر عليه
- لا قدر الله - أن يشتغل فى يوم ما بالسياسة فانه
سوف يجعل الصراحة مبداه الذى لا يحيد عنه . .
ولهذا فانه يرجو من رجال الوفد - ومن مكرم باشا
بالذات - أن يصارحوا القصر ورجال الملك دائما بما

يريدون ويقترحون وبأية ملاحظات لهم . وانه - اى
حسنيين - يعد بأنه من جانبه سوف يكون دائما معهم في
منتهى الصراحة . . وسوف يعمل من جانبه على تحاشي
كل سبب من أسباب الخلاف ويحرص على تسوية كل
مشكلة وكل نزاع على أساس احترام حقوق الشعب ،
وحقوق الملك كما حددها الدستور .

هذا - وحسنيين - يفرد يديه أمامه تواضعا
واستصغارا لشأن نفسه وشأن منصبه .
ثم يقول :

- ولو اننى كما قلت لا اشتغل بالسياسة ولا افهم
فيها كما ان منصبى فى القصر ليس من المناصب
السياسية والحمد لله !

ورد مكرم باشا فقال ما خلاصته ان الوفد قد دفن
الماضى ونسى خصوماته حتى ومن قبل وفاة المرحوم
الملك فؤاد . . وان النحاس باشا فى آخر مقابلة له مع
الملك فؤاد وهو على فراش الموت أكد له اخلاص الوفد
للعرش وان الملك فؤاد قال يومئذ للنحاس باشا انه
تأكد الآن من ان مصطفى النحاس هو اخلص رجل له
فى مصر . . الى آخره .

وان النحاس باشا وجميع اعضاء الوفد يحبون الملك
فاروق ويستبشرون خيرا على يديه ، وانهم يخلصون
له كل الاخلاص وليس أدل على اخلاصهم لشخصه
الكريم من ان الوزارة - « وزارة الوفد » - رفضت
الاقتراح الذى تقدم به البرنس محمد على رئيس مجلس
الوصاية برفع سن الرشد للملك من ١٨ الى ٢٥ عاما ،
وعودة الملك فاروق الى انجلترا ليستأنف دراسته الى
ان يبلغ سن الخامسة والعشرين .
وقال مكرم انه يعد حسنيين بأنه هو أيضا من جانبه

سيعمل دائما بصراحة واخلص من أجل تسوية كل
مشكلة وكل نزاع قد يقوم في المستقبل بين القصر
والحكومة الدستورية النيابية.. الى آخره.. الى آخره
وافترق الرجلان وهما يتسبسان ويؤكدان - كل
منهما لصاحبه - ان كل شيء سوف يسير باذن الله على
ما يرام !

وانصرف حسنين وتركنى مع مكرم عبيد ، وقال
مكرم وهو يطلق ضحكته التهكمية القصيرة :

- ايه ؟ حسنين عايز يفهمنى انه عبيط خالص ولا
يعرفش حاجه أبدا فى السياسة ؟

قلت : جايز ..

قال : لكن غرضه ايه ؟

قلت : الذى فهمته من حديثه انه خايف منكم على
الملك فاروق ويريد ان يطمئن على حسن نواياكم .

وقال مكرم : طيب وايه حكاية التعاون دى بيننا
وبينه ؟

قلت : ولم لا ؟ انه الآن رائد الملك وأقرب رجال
القصر اليه .. بل هو صاحب النفوذ الاول فى القصر.
وعاد مكرم وأطلق مرة أخرى ضحكته القصيرة وقال
وهو يضغط على ذراعى بيده :

- والملكة نازلى .. هيه ؟

قلت : نعم .. والحكاية معروفة .. وحسنين باشا
- كما قلت معاليك - صاحب النفوذ الاول عند الملكة
نازلى .

وأعترف اننى لم أفهم تماما غرض حسنين باشا من
مقابلة مكرم باشا الا فى ضوء الحوادث التالية ، وسوف
أعرض لها فى الوقت المناسب ، ولكننى لا أرى بأسا

في أن اكشف السر منذ الآن وأقول ان حسنين باشا رحمه الله كان يمهد السبيل للحضول على منصب رئيس الديوان . . وهو المنصب الذي كان قد بقي شاغرا منذ استقالة احمد زيور باشا في حياة الملك فؤاد .

كان يمهد السبيل عن طريق اقناع مكرم عبيد - سكرتير الوفد والرجل الاول في الوفد وصاحب الكلمة التي لا ترد عند رئيس الوفد مصطفى النحاس كما كان يعرف الجميع . . عن طريق اقناع مكرم عبيد بأنه - أي حسنين - رجل لا يفهم في السياسة . . هذا أولا ، وثانيا ، انه رجل مسالم حريص على حسن العلاقات بين حكومة الاغلبية الوفدية والقصر . . وثالثا ، ان عهد الملك فؤاد قد مضى وراح بخصوماته ومؤامراته ودسائسه . . وان العهد الجديد شيء آخر ورجاله - الذين في القصر - رجال آخرون لا يتمنون شيئا أكثر من احترام حقوق الشعب ، والمحافظة على حقوق الملك التي كفلها الدستور ولا شيء آخر .

وهذا ما كان يتمناه الوفديون ويطالبون به من زمن طويل . . وها هو ذا حسنين يعرض عليهم خدماته ! . . حسنين « العبيط » الذي لا يفهم في السياسة فهو اذن رجل مأمون لا يخشى شره ويمكن الوثوق به والاطمئنان اليه .

ولكنه - كما حرص على ان يقول لمكرم - في منصب ليس من المناصب السياسية التي تجيز له الاشتغال بالسياسة أو التدخل في الشؤون أو المشاكل السياسية !

وأفهم اذن يامكرم باشا ! . . ضعوا حسنين في منصب سياسي بالقصر وهو كفيل بالعمل على احترام الدستور واحترام حقوق الشعب والبرلمان والحكومة الدستورية واحترام حقوق الملك في الحدود التي رسمها الدستور !

وفي كلمة واحدة . . سوف يضمن لكم أحمد محمد
حسين سياسة التعاون المخلص الصريح التي كنتم
تتمنونها من زمن طويل !

وحسين قادر على الوفاء بوعده لأنه - كما لا بد أن
سمعتم يا زعماء الوفد - صاحب النفوذ الأول عند
فاروق ، وعند الملكة نازلي وهي بدورها صاحبة النفوذ
الأول يومئذ عند ابنها الملك فاروق .

كان هذا هو تقدير حسين باشا . ولاشك أنه تقدير
سليم أو تقدير مقبول عند الساسة المسلمين أو الزعماء
الدين لا يعتدون كثيرا بقوتهم أو بحقوقهم التي ينص
عليها الدستور .

ولكن - كما انني لم أفهم يومئذ غرض حسين من
هذه المقابلة ومن حديثه الطويل ، كذلك مكرم لم يفهم
قصد حسين .

ويوم فهم الوفد - ومكرم باشا بالذات - غرض
حسين وهو أنه يرشح نفسه لمنصب رئيس ديوان
جلالة الملك .

رفض الوفد أن يزكى هذا الترشيح بحجة أن حسين
لم يدرس القانون ، ورئيس الديوان يجب أن يكون من
رجال القانون !

وحجة أخرى وهي أن حسين ليس من رجال
السياسة وهو باعترافه لا يفهم في السياسة ، ورئيس
الديوان يجب أن يكون من رجال السياسة !

ومع ذلك . . فإنه إذا كانت مصر قد انجبت سياسيا

واحدا من الطراز الأول بعد عبد الخالق ثروت واسماعيل
صندي . . فإن هذا السياسي هو أحمد محمد حسين .

ولكنه - كما قلت - كان دائما حريصا على أن يقول
لكل من يلقاه أنه لا يفهم في السياسة ولا يريد أن يفهم

فيها أو يشتغل بها من باب التمويه والتضليل ولكي
يحمل الساسة والزعماء على أن يطمئنوا اليه ولا يحسبوا
له حسابا !

وكان حسنين رحمه الله يسر كثيرا ويفرك يديه فرحا
عندما يسمع أن فلانا من الزعماء أو الساسة يقول عنه
انه « عبيط »

وقرر فاروق أن يسافر الى لندن .
وفي نفس الوقت تقرر أن يعود وفد مصر برئاسة
النحاس « باشا » الى سويسرا لكي يشهد اجتماع
« المرحومة » عصبة الأمم في جنيف ويقدم طلبا بانضمام
مصر الى الهيئة المذكورة .

وتحدد موعد « يتشرف » فيه النحاس « باشا »
وأصحابه أعضاء وفد مصر بمقابلة جلالة الملك بمناسبة
سفرهم الى جنيف .

وفي الموعد المحدد أقبل فاروق على « الصبالون »
الخاص الملحق بجنتساحه في الفندق ووقف حوله كبار
رجال حاشيته في انتظار وصول رئيس الوزراء .

ولكن النحاس باشا - كعادته - تأخر نحو ربع ساعة
وكان فاروق يتأفف ويظهر غضبه ويقول انه قرأ مرة
ان دقة المواعيد من آداب الملوك ، ولكنه يريد أن يقرأ
ان اخلاف المواعيد يعد قلة أدب من رؤساء الوزارات !

وفي هذا المعنى بالذات - وبعد شهرين اثنين أو ثلاثة
شهور - كتبت جريدة « البلاغ » أكثر من مقال واحد
بامضاء صاحبها المغفور له عبد القادر حمزة باشا .
وكان رحمه الله يومئذ لسان حال القصر بعد أن بدأت
أسباب الخصومة والخلاف تتعدد وتشتد بين القصر
ورجاله من جانب وعلى رأسهم رئيس الديوان على ماهر

باشا ، وبين حكومة الاغلبية الوفدية ورئيسها مصطفى
النحاس . ولكننى أسرع الخطى واستبق التاريخ

أقبل النحاس باشا متأخرا عن الموعد المحدد نحو
ربع ساعة واستقبله فاروق .

ولم أشهد بطبيعة الحال هذه المقابلة لأننى كنت واقفا
أنتظر فى غرفة أخرى ملحقة بالصالون مع بعض أفراد
الحاشية .

ولم تطل المقابلة أكثر من دقائق .
وفتح باب « الصالون » وخرج منه النحاس ومكرم
ومن معهما .

وكان النحاس « باشا » متجههم الوجهه مقطب
الحاجبين . . ولم يكذب يرانى حتى أشار الى أن اتبعه .
ونزلت معهم الى بهو الفندق وأخذ النحاس « باشا »
بذراعى وقال :

— اللعب بدأ من دلوقت . .

قلت : خيرا يا رفعة الباشا ؟

قال : لا . . مش خير أبدا . . أبدا . . الملك كلمنى
عن حفلات التولية التى ستقام بعد عودته الى مصر ،
وعاوز حفلة تقام فى القلعة . . آه فى القلعة . . وشيخ
الازهر . . سامع ياسى التبايعى ! شيخ الازهر يقلده
فيها . . فى الحفلة دى سيف جده محمد على . . آه . .
محمد على . . والأمراء . . الأمراء يكونوا حاضرين الحفلة
ولابسين الهدوم اللى كان جدودهم بيلبسوها أيام
محمد على . . وفى الحفلة دى مش عارف مين ومين
رايحين يقسموا له يمين الولاء والاخلاص . . أيوه
يا بنيدى . . حفلة فى القلعة . . انت عارف ياسى التبايعى
الدستور بيتقول ايه ؟

ولم تسعفنى ذاكرتى بأحكام الدستور ونصوصه فى
هذا الموضوع وقلت :

— لا .. ما اعرفش يا رفعة باشا ..
وقال رفعتة :

— ما تعرفش ؟ .. طيب انا اقول لك .. الدستور
يقول ان الملك قبل ان يتولى سلطاته ويباشرها يقسم
اليمين الدستورية امام الهيئة المشتركة من أعضاء مجلس
الشيخوخ والنواب .. آه .. أهو ده اللى يقوله
الدستور .. ولا فيش حاجة فيه عن سيف جده
محمد على .. ولا عن الأمراء وهدوم الأمراء .. ولا عن
شيخ الأزهر .. وانا مش فاهم شيخ الأزهر ماله ومال
مباشرة الملك لسلطاته الدستورية !

وكان شيخ الأزهر يومئذ المفقور له الشيخ المراغى
ولم تكن العلاقات بينه وبين الوفديين فى أى يوم .. على
ما يرام .. فقد كانوا يخشونه .. وكان هو من جانبه
لا يحسن الظن بهم .

وتدخل مكرم باشا فى الحديث ، وقال :

— البركة فى الأستاذ التابعى .. يحل لنا الاشكال ده
وقال النحاس باشا وهو يتجه الى السيارة الفخمة
التي كانت تنتظره امام الفندق :

— ايوه خلص لنا الحكاية دى .. وزى ما قلت :
ما فيش غير أداء اليمين الدستورية ، تحت قبة البرلمان
ولا قلعة ولا سيف محمد على ، ولا أمراء ، ولا حاجة
من دى أبدا .. آه .. اللى فى الدستور وبس ..
واخذت مكرم باشا الى جانب وقلت له :

— ولكن الملك يسافر اليوم الى لندن .. وانا قاعد
فى باريس .. لأن لنا مراسلا فى لندن يمكنه ان يوافق
« المصرى » بأخبار الملك والرحلة الملكية فى إنجلترا .

وقال مكرم :

- معلهش علشان خاطرنا تسافر لندن وتسوى لنا
هذه المشكلة .. واحبنا عارفين ان جلالة الملك يحبك
ويثق فيك ..

وكانت حكاية القلعة وسيف محمد على الذي يقدمه
شيخ الازهر الى فاروق .. ووقوف أمراء أسرة محمد
على في صفين وهم مرتدون ثياب الامارة في القسرين
التاسع عشر الى آخره .. كانت هذه كلها « تقليعة »
من تقاليع الأمير محمد على رئيس مجلس الوصاية وقد
أفضى بها الى صحفى يعمل في جريدة الاهرام فنشرها ،
وغذاها ، وقوى الدعاية لها .. وكبرت الفكرة في رأس
الأمير محمد على وبقية الأمراء .

ولا اعرف هل كان الأمير محمد على كتب الى فاروق
في هذا الموضوع أم ان فاروق قرأ الموضوع في جريدة
الاهرام فطابت له الفكرة ، وكانت الصحف والمجلات
ترسل من مصر بالطائرة ويانتظام الى فاروق وكان
سنكرتيره الخاص دكتور حسنى يقرأها ويعرض عليه
ما يرى وجوب عرضه .

أما أنا فقد كان ذهنى خاليا تماما من الموضوع لأننى
لم أكن أطلع على صحف مصر ! حتى جريدة «المصرى»
التي كنت يومئذ أحد أصحابها ومجلة « آخر ساعة »
التي كنت صاحبها ، لم تكونا ترسلان الى أوروبا ،
لأننى لم أطلبهما ! ..

وسافر فاروق الى لندن هو وأمه وشقيقاته وجميع
أفراد العاشية .. ونزل فاروق وأفراد العاشية من
الرجال ما هذا الأستاذ أحمد يوسف مدرس اللغة

العربية للأميرات - نزلوا في قصر « كبرى هاوس » في
كنجستون ، وهو القصر الذي كان يقيم فيه فاروق أيام
دراسته القصيرة في إنجلترا .

أما الملكة نازلي وبناتها الأميرات وسيدات الحاشية
ومتهن السيدة زينب ذوالفقار وكريمتها الأنسة صافيناز ،
فقد نزلن في قصر استوجر خصيصا لهن واسمه قصر
« بالاردكوم » ويبعد عن قصر « كبرى هاوس » نحو
كيلومترين .

وأقام معهن في القصر المذكور الاستاذ أحمد يوسف
وسافرت الى لندن بعد أيام قليلة ، ونزلت في فندق
« اثنايوم كورت » في حي بيكاديللي .

واتصلت بالتليفون فور وصولي بحسنيين باشا .
وذهبت الى « كبرى هاوس » وعرضت عليه المسألة
ووجهة نظر مصطفى النحاس باشا .
وقال حسنين ان هذه مسألة سياسية ولا شأن له
بالسياسة واقترح على أن أتحدث في الموضوع مع دكتور
حسنى بك سكرتير الملك .

وكان هذا شأن حسنين دائما . . . كان يتحاشى
المسائل الشائكة التي لا مصلحة له فيها . وقد كان
الموضوع ولا شك شائكا . . فهو اقتراح من الأمير محمد
على أكبر الأمراء سنا ومقاما . . والملك فاروق متحمس
للفكرة وللموضوع ، ورئيس الوزراء وزعيم الأغلبية
البرلمانية يعارض ويرفض العمل بالاقتراح . . هو اذن
موضوع شائك . ولا مصلحة فيه لحسنيين .

إذا هو لم يستطع اقناع الملك بالتخلي عن حفلة
القلعة اغضب الوفدين وزعيمهم مصطفى النحاس .

وإذا هو نجح في تسوية المسألة واقناع فاروق ، فانه
يفضى الأمير محمد على . .

وتحدثت مع دكتور حسنى فى الموضوع ، وكان ممأ
قلته ان هذه الحفلة ومراسيمها ليست من مصلحة جلالة
الملك لأنها شبيهة بتتويج ملوك المسيحية ، وخصوصا
حفلة تتويج ملك انجلترا . . « وكان تتويج ملك انجلترا
الراحل جورج السادس فى نفس الشهر وتفاصيل
الحفلات التى أقيمت عالقة بالأذهان » . وقلت :

— ومن ذلك القلعة ويقابلها فى حفلة جورج السادس
كنيسة «وستمنستر أبى» . . ورئيس أساقفة كنتربرى
ويقابله عندنا شيخ الأزهر .
كلا . . يا حسنى . . هذه الحفلة ليست فى مصلحة
« مولانا » . . هذا من جهة . . ومن جهة أخرى فان
الوزارة الوفدية متمسكة بأحكام الدستور ، وهذه الحفلة
مخالفة لسافة الأحكام الدستور . . الخ .

وفى اليوم التالى عدت الى « كنرى هاوس » .
ونزلت من التاكسى عند « البوابة » الخارجية للقصر
وكان يحرسها جندى من رجال بوليس لندن .
واستوقفنى كالعادة ليتحقق من شخصيتى قبل أن يأذن
لى بالدخول .

وفى هذه اللحظة رأيت فاروق راكبا دراجة
« بسكليت » وصافيناز فوق دراجة أخرى والاثنتان
ينطلقان فى الطريق الى المروج الخضراء المتسدة بين
« كنرى هاوس » وقصر « بالاردكوم » .

اذن ف قصة الحب التى بدأت فى برن « سويسرا »
تسير سرا طبيعيا . ولقد سررت كثيرا . فقد كنا جميعا
نحترم ونكبر الصفات الممتازة التى تتحلى بها الأنسة
صافيناز ذو الفقار .

وتناولت الغداء مع رجال الحاشية . وبعد أن التهيينا

خرجت مع حسنى نتمشى فى حدائق القصر الواسعة .
وقال حسنى انه نجح ، والحمد لله ، وان «مولانا»
قد تنازل عن فكرة حفلة القلعة وان برنامج حفلات
التولية سوف تقتصر على حفلة أداء اليمين الدستورية
امام أعضاء البرلمان .

وفى مساء نفس اليوم تقام حفلة عشاء تعقبها حفلة
ساهرة فى قصر عابدين .
واليوم التالى حفلة استعراض الجيش .

ثم يستقبل الملك فى اليوم الثالث الامراء ورجال
السلك السياسى والوزراء الحاليين والسابقين والشيوخ
والتواب وكبار الموظفين وطوائف وهيئات من اعيان
البلاد واطبائها ومحاميا وصحفيها .. الى آخره ..
الى آخره ..

وفى اول يوم جمعة يودى جلالة الملك صلاة الجمعة
فى مسجد الازهر الشريف ..
هذا هو البرنامج .

وقلت انا : عال .. ولا اظن ان لآى احد اقل اعتراض
عليه ؟ ..

ولكننى كنت استبق الحوادث ، ومتفائلا اكثر مما
ينبغى .. وكان حسنى بك لم ينته بعد من كلامه ..
فقد قال : ان «مولانا» سوف يسره جدا ان يقدم له
الشعب تاجا ، وان تقام حفلة تتويج كبرى يدعى
لحضورها ملوك ورؤساء دول العالم .

ومضى حسنى فى شرح الفكرة او المشروع ، فقال :
- ولما كان جلالة الملك ديمقراطيا بطبعه ، وحريصا
على احكام الدستور التى تقول ان الامة مصدر
السلطات فانه يرى ان تكتب جميع طبقات الامة بشمن
هذا التاج ، وان الذى يضع التاج على راسه هو رئيس

مجلس الشيوخ .. ويضعه باسم الأمة .. وهكذا يكون التاج من الأمة ، ويوضع على رأس جلالة الملك باسم الأمة .. واعترف اننى تحمست يومئذ لهذا المشروع ، ووعدت دكتور حسنى بتأييده .

وأسرعت عائدا الى الفندق وطلبت بالتليفون مكرم عبيد باشا فى فندق « ده برج » فى جنيف وأبلغته تنازل الملك فاروق عن فكرة الحفلة الدينية فى القلعة التى يقلده فيها شيخ الازهر سيف جده محمد على .. وقلت ان صاحب الجلالة يقترح ان تقتصر حفلات التولية على أداء اليمين الدستورية أمام شيوخ ونواب الأمة واقامة مأدبة عشاء تعقبها حفلة ساهرة فى قصر عابدين .. الى آخر البرنامج الذى ذكرته .

وانطلق مكرم باشا - وفى صوته رنين الفرح - انطلق يهنئنى على توفيقى فى مهمتى ويقول :

- عظيم .. عظيم خالص .. ده توفيق من الله .. وكلنا نشكرك يا استاذ تابعن ..
قلت :

- ولكن حسنى بك كلمنى فى مشروع آخر وأنا وافقت عليه ووعده بتأييد المشروع عندكم ..

وسألنى الاستاذ مكرم : وما هو المشروع ؟ ورويت له حديث الدكتور حسنى عن التاج الذى تكتتب بثمنه جميع طبقات الأمة .. ثم يضعه رئيس مجلس الشيوخ باسم الأمة على رأس فاروق فى حفلة يدعى اليها بلوك ورؤساء الدول .. الى آخره ..

وقلت اننى أعتقد ان جلالة الملك نفسه هو صاحب فكرة التاج وانه فرح جدا بفكرته هذه وخصتوصاً بعد

أن عرضها على رجال حاشيته فتحمسوا لها ووافقوه عليها .

ورويت لمكرم ما سمعته في معرض التأييد . وهو أن مصر الفرعونية القديمة كان لها « تاج » . لا تزال آثارها وجدران هياكلها ومسلاتها تحمل رسومه . . وقد فقدت مصر « تاجها » بعد أن فقدت استقلالها . . أما اليوم وقد استردت مصر استقلالها بعد عشرات القرون فقد وجب أن تسترد مصر تاجها القديم . . الى آخره . .

وكانت الإشارة الى « استقلال » مصر الذي استردته بعد عشرات القرون إشارة الى معاهدة سنة ١٩٣٦ ، أو معاهدة الشرف والاستقلال كما قيل عنها يومئذ !

وأصفي مكرم باشا الى حديثي ، ثم قال :

— وهو كذلك . .

وهنا سألته :

— يعنى أقول لهم ان معاليك موافق ؟

قال : ما فيش مانع !

قلت : ومسألة أخرى . . ان الضجة لا تزال قائمة في الصحف الوفدية حول الحفلة الدينية في القلعة وأنا أخشى ان هي استمرت أن تفسد الجو فأرجوكم أن تعملوا على إيقافها .

قال : طبعا . . طبعا . .

ثم اتفقنا على أن أرسل الى جريدة « المصرى » برقية تضع حدا لهذه الضجة وللجدل القائم حول هذه الحفلة الدينية بين الصحف التي تؤيد اقامة هذه الحفلة — وهى الصحف التي كانت متصلة بالامير محمد على توفيق وكانت تعمل وتكتب بوحى منه — وبين الصحف الوفدية التي كانت تعارض في اقامة الحفلة في القلعة .

وان اقول في برقيتى الى جريدة « المصرى » اننى اتصلت برفعة الرئيس وبمعالي مكرم باشا في جنيف ، وسألتهما عن رأيهما في جدل الصحف المصرية حول هذه الحفلة الدينية ففوضا الى ان اذيع ان هذا الجدل اصبح لا معنى له ولا سبب ، وان الوزارة حريصة على تحقيق رغبات جلالة الملك وان الثقة والتفاهم الكامل متبادلان لحسن الحظ بين جلالة الملك « المحسوب » ووزرائه المخلصين !

وارسلت فعلا هذه البرقية الى جريدة « المصرى » . ولكن الحملة استمرت مع ذلك . . كما سترى فيما بعد . . واعدود الى اصل الحديث :

انتهى حديثى بالتليفون مع مكرم باشا وبادرت وابلغت حسنى بك في قصر « كنرى هاوس » خبير موافقة مكرم باشا على مشروع التاج ، ودعوته هو وزميله من رجال الحاشية على رشيد بك « وهو كبير الامناء في القصر الجمهورى » لتمضية السهرة معى في لندن . واجتمعنا في المساء ، وعلمت من حسنى بك انه ذهب مباشرة عقب محادثتى التليفونية وابلغ «مولانا» موافقة مكرم باشا على مشروع التاج ، وان فاروق سر جدا بهذا الخبر .

وسمعت بين ما سمعته أثناء السهرة ، ان جلالة الملكة نازلى قد كرهت لندن وانها ضيقة الصدر وعصبية المزاج في هذه الايام . . وانها تشكو من وحدتها في قصر « بالاردكوم » مع « البنات » - اى الاميرات - وان احدا لا يعنى بها او يهتم بالسؤال عنها او الخروج معها . . وان جلالة الملك ابنها يكتفى بالسؤال عنها بالتليفون ، لانه مشغول بصافيناز ، او بنزهاته في سيارته . . والقائم مقام عمر فتحى مريض طريح الفراش

في أحد المستشفيات .. وأما حسنين باشا ؟ ..
وهنا تقول الملكة نازلي :

— حسنين مش فاضى لنا دلوقت .. لأنه مشفول
مع حبابه في لندن وعلى رأى المثل : « من يلقي أحبابه
ينسى أصحابه » .. وحباب حسنين في لندن كثير ..

ولم يكن عجيبا أن يجد حسنين باشا في لندن ونواديهما
ومتندياتها ودور كبراتها .. أو في الريف الانجليزي
الجميل القريب من لندن .. لم يكن عجيبا أن يجد
حسين في هذا كله ما يشغله ويملاّ وقته ويصرفه عن
الاهتمام بالملكة نازلي وأرضاء نزواتها .. ذلك أن
حسين كان — كما ذكرت في الفصول السابقة — قد
أمضى أحلى سنى الشباب في لندن أيام كان يتلقى دراسته
في جامعة أكسفورد .. ولقد كانت له صداقات كثيرة
ومعارف أكثر في لندن وفي الأسر الانجليزية الكبيرة التي
تعيش في الريف القريب من لندن .

ومن هنا أنصرف حسنين عن الملكة نازلي .. لكي
يعيش في ذكريات أيام الدراسة والشباب الخالية ..

أما القائمقام عمر فتحى بك ، فقد كان أصيب ذات
مساء — أثناء السهرة مع بعض رجال الحاشية في أحد
نوادى لندن الليلية — أصيب لأول مرة بالذبحة الصدرية
وحملوه الى أحد المستشفيات .. ولما سمع فاروق
بالخبر أسرع الى المستشفى وأمضى الليل الى جانب
فراش ياوره الخاص الأمين وهو يبكى !

وكان فاروق لا يزال وقتئذ رقيق الاحساس والشعور

وتناولت طعام الغداء في اليوم التالي في قصر «كنرى
هاوس» .. وبعد الغداء صحبني الدكتور عباسي

الكفراوى - طبيب الملك الخاص .. وكانت له مكانة خاصة عند فاروق - صحبني الى حديقة القصر لى يتحدث الى عن منصب رئيس الديوان الذى كان شاعرا منذ استقالة صاحب الدولة احمد زيور باشا .

وقال الدكتور الكفراوى كلاما كثيرا لا اذكره بحروفه وكلماته ولكنه فى هذا المعنى .. قال :

- ان جلالة الملك - كما تعلم - لا يزال صغير السن قليل الخبرة وهو فى حالته هذه فى حاجة الى رئيس ديوان يكون له بمثابة المرشد والمعلم .. رئيس ديوان واسع الخبرة متعدد الكفاءات .. تغلب بين مناصب الحكومة المختلفة من ادارية وقضائية ومالية وسياسية .. ولست اعرف رجلا تتوافر فيه جميع هذه الصفات خيرا من نجيب الهلالى بك .. فما رأيك ؟

قلت : انا لا اعرف الهلالى بك شخصا ، ولكننى سمعت عنه كل خير ..

قال : اذن هل تكلم مكرم باشا فى هذا الموضوع ؟ قلت : وهو كذلك ..

وكان المعروف يومئذ ان الاستاذ مكرم باشا سكرتير الوفد والذراع اليمنى لرئيس الوفد ورئيس الحكومة .. هو كل شىء فى الوفد وفى الحكومة وانه صاحب الكلمة العليا فى الوفد وفى الحكومة !

وعدت الى الفندق .. ومرة اخرى طلبت بالتليفون مكرم باشا بفندق « ده برج » فى جنيف .. ولكنه لم يكذب يسمع صوتى حتى قال :

- عملت طبيب يا استاذ تابعى الى كلمتى بالتليفون انا كنت رايح اطلبك حالا دلوقت بالتليفون .. قلت : خيرا يا باشا ؟ ..

قال : حكاية التاج دى اصرف نظر عنها .. رفعة
الرئيس « يقصد النحاس باشا » زعل منها جدا وهاج !
واخواننا كلهم هنا مش موافقين عليها .. حتى على باشا
الشمسى حضر لزيارتنا اليوم ولما سمع بها قال : « ده
كلام فارغ ! » .. وانا اضطرت ان ادافع عنك عند
النحاس باشا .. فقلت له ان الاستاذ التابعى اخرجوه
ووسطوه .. فمن فضلك شوف لك طريقة تقفل بها
حكاية التاج دى ؟ !
وأسقط في يدي .. ماذا افعل ؟

وقلت لمكرم باشا وبصوت كان فيه شيء كثير من
الفيظ والخرج :
- طريقة ايه يا باشا ! .. يعنى عايزنى اروح « كبرى
هاوس » اقول لهم ايه ! .. اقول لهم انا كذبت عليكم
عندما قلت لكم ان مكرم باشا موافق ! ؟

وضحك مكرم باشا ضحكته القصيرة اياها ، وقال :
- لا .. لا .. لاسمح الله .. ولكن قل لهم ان مكرم
مش كل حاجة ! .. وان موافقة مكرم ليست كل شيء
فهناك رئيس الوفد والحكومة .. وهناك زملاؤنا الوزراء
واخواننا أعضاء الوفد .. وحكاية التاج دى ليست من
المسائل السهلة التى يجوز لى ان اقطع فيها برأى ..
وانا قلت لك ان اخواننا هنا كلهم ضدها .. ومصطفى
باشا زعلان جدا منها ..
وقلت أنا :

- ومن الذى يصدقنى هنا اذا قلت ان مكرم باشا
ليس كل شيء وان موافقته ليست كل شيء ؟ ولا أحد
من رجال الملك سوف يصدق هذا الكلام ! .. وانت
تعرف يا باشا انهم جميعا يعتقدون انك تستطيع دائما
ان تقنع النحاس باشا بكل رأى تراه .. فاذا ذهبت

اليوم وقلت لهم ان النحاس باشا لا يوافق ، فانهم
سوف يفهمون من هذا ، اما انك عدت وعدلت عن
موافقتك لسبب مجهول .. او انك لم تحاول اقناع
رفعة الرئيس برأيك لأنك لا تهتم بتلبية رغبة جلالة الملك
مع اننى قلت لمعاليك ان فكرة التاج فكرته وانه مهم
جدا بها ..

وقال مكرم :

— ما اعرفش ! انا قلت الموقف ايه هنا .. وانت
تتصرف ..
وقلت انا :

— لن أقول شيئا . ولن أفعل شيئا . ولقد ابلغتهم
بالامس خبر موافقتك ، فاذا شئت معاليك ان تتصل
بهم في « كبرى هاوس » مباشرة وتبلغهم ما قلته لى
الآن .. فافعل ! .. اما انا فلن أقول شيئا !

وانتهى حديثنا بالتليفون ..

وكان موضوع الاستاذ نجيب الهلالى وترشيحه
لمنصب رئيس الديوان قد طار من رأسى تماما !
وعدت الى باريس ..

وبعد أيام عاد فاروق ومن معه الى باريس لكى يرأس
حفلة افتتاح القسم المصرى فى معرض باريس الدولى
وبحضور رئيس جمهورية فرنسا مسيو لوبران .
وتنفست الملكة نازلى الصعداء بعد أن عادت الى
باريس التى تحبها .. وأستأنفت حياة المرح والسهر
فى ملاحى باريس .. مع حسنين باشا اذا أمكن !
ومع غير حسنين باشا اذا لزم الأمر !

وهنا بدت على « جلالتها » أعراض مرض التصابى !
فقد انطلقت تزور « صالونات » التجميل وصبغ الشعر
تجرب فى كل يومين تقريبا صبغة جديدة وولونا جديدا

لشمسها الذي كانت قد بدأت تظهر فيه شمعات
بيضاء ! !

ولاحظنا نحن ان حسنين بدأ يقتصد - الى حد ما -
في « اخلاصه وتفانيه » في خدمة الملكة نازلي والسير
في ركابها حيث تريد في كل ساعة من ساعات الليل
والنهار .

وهكذا أصبحنا نراه بيننا - ومعنا - أكثر من اى
وقت مضى في هذه الرحلة .

لماذا ؟ هل كان يخشى افتضاح علاقته بالملكة
الوالدة ؟ وان يسمع ابنها الملك أو يلاحظ شيئا مريباً
على أمه ورائده الأمين ؟

أم ترى حسنين قد رأى ان الوقت قد حان لكى
ينتقل من الفصل الاول الى الفصل الثانى . . اى من
أظهار الحب والتفانى . . الى اظهار « التقل » والتحفظ
والبرود ؟ . . وهى السياسة التى كان حسنين - رحمه
الله - يجيد تطبيقها كل الاجادة مع هذا الصنف من
النساء ؟ النساء اللاتى جاوزن مرحلة الشباب واخذن
في استقبال شمس المغيب !

وهذا الفصل الثانى - فصل « التقل » والتحفظ
والبرود - يزيد الوجد والشوق ويشعل فى صدر المرأة
ناراً فوق نار ! . . نارا تأكل ما بقى للمرأة من عزة
وكبرياء . . حتى اذا عاد اليها الرجل . . أسلمته قيادها
فى خضوع واستسلام !

هذا هو الرأى الأرجح . .

وعرفنا ونحن فى باريس ان عصابة الأمم قد قبلت
مصر عضواً فى هيئتها . . وان وفد مصر برئاسة
« النحاس » قد عاد الى القاهرة

و ذات صباح قال لى الدكتور حسنى بك ان جلالة
الملك متألم من استمرار الصحف الوفدية فى الكتابة عن
الحفلة الدينية فى القلعة مع ان هذه الكتابة أصبحت غير
ذات موضوع بعد تنازل جلالتة عن اقامة هذه الحفلة .
وأضاف حسنى بك ، ان مكرم باشا لم يف بوعده لى
بالتليفون وهو وقف هذه الحملات الصحفية وخصوصا
فى جريدة « المصرى » كبرى صحف الوفد وقتئذ .
ثم قال بلهجة ذات معنى :

— وانا شخصيا أعرف أنك لا شأن لك بما يكتب
الآن وينشر فى جريدة « المصرى » لأنك معنا هنا وغائب
عن مصر . . ولكن من الصعب ان يقتنع جلالة الملك
بانك وانت أحد أصحاب الجريدة لا تستطيع وقف هذه
الحملات فى جريدتك . .

وارسلت يومئذ برقية الى محمود أبو الفتح أطلب
فيها الكف تماما عن الكتابة فى أمر هذه الحفلة الدينية
وأقول اننى فى حرج شديد وان جريدة « المصرى » لم
تراع الوضع الذى أنا فيه ، بوصفى الصحفى الوحيد
المرافق للملك فاروق فى رحلته .

ومع ذلك استمرت الحملة فى جريدة « المصرى »
وغيرها من صحف الوفد . .

وتلقيت خطابا من محمود أبو الفتح يعتذر فيه عن
استمرار هذه الحملة ويقول : أن لا شأن له بها وانه
هاجز عن وقفها ، وان القائم بهذه الحملة فى جريدة
« المصرى » والذى يكتب المقالات الخاصة بالحفلة الدينية
هو شريكنا الثالث الأستاذ كريم ثابت . . وان كريم
يتلقى تعليماته وتوجيهاته مباشرة من الأستاذ يوسف
الجندى الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية . . وانه —
أى محمود أبو الفتح — لا يمكنه ان يرفض نشر مقالات

موعز بنشرها من وفدى كبير مثل يوسف الجندى الذى هو فى نفس الوقت وكيل وزارة ومفروض فيه انه ينفذ تعليمات سياسة الوزارة العليا !

وسكت .. ولم أطلع أحدا على هذا الخطاب .. واستمرت الحملة ! واليوم أعجب - وتعجبون معى - لسخرية القدر !

كريم ثابت الذى اغضبت مقالاته فاروق فى عام ١٩٣٧ يختاره فاروق صديقا له فى عام ١٩٤٣ ، ثم يعينه مستشارا صحفيا له فى عام ١٩٤٦

وحل يوم السفر - ٢٧ يونية - من باريس الى « فيشى » مدينة المياه المعدنية المشهورة . وقيل يومئذ اننا نذهب الى فيشى لأن جلالة الملكة نازلى تريد أن تعالج كليتها المريضة .

وركبنا قطارا خاصا .. وذهبت الى عربة «البولمان» الخالية وجلست الى احدى الموائد .. ثم حضر حسنين باشا وجلس فى المقعد المقابل .. وبعد قليل انضم الينا محمود فخري باشا وزير مصر المفوض يومئذ فى فرنسا وسويسرا .

ودار بيننا الحديث عن مصر وسير الأمور فيها وقال حسنين باشا : ان الحملة على الحفلة الدينية فى القلعة لا تزال مستمرة وانها قد امتدت وتناقلت تادية «مولانا» لصلاة الجمعة فى مسجد الازهر الشريف .. الى آخره .

وبيتما نحن كذلك دخل فاروق عربة « البولمان » ووراءه « اليوزباشى » أحمد الطاهر .

وأقبل فاروق علينا ووقف أمام مائدتنا فوقفنا احتراماً .. وكان بيده رزمة من صحف مصر ، وكانت

قد وصلت في صباح نفس اليوم .
ورمى بها أمامي على المائدة ، وهو يقول :
- الاستاذ التابعى قرا الكلام المكتوب في جريدة
« المصرى » ؟

وكان من علامات « الرضبا السامى » ان ينادينى
فاروق باسمى مجردا من لقب أستاذ .
ومن علامات « الفضب الملكى » ان ينادينى يا أستاذ
تابعى !

وسكت . . . ولسكنى القيت نظرة على جريدة « المصرى »
وقرات على صفحتها الاولى - وبالبنط الكبير - عبارة
فحواها ان مصدرا رسميا كبيرا صرح لمنسوبيها بأن
الوزارة قررت عدم اقامة حفلة دينية . . .
واتجه فاروق الى المائدة المحاذية لمائدتنا في الجانب
الآخر من العربية وجلس اليها وهو يقول :

- الحالة في مصر بقت « صلطة » . . .

وقال فخري باشا :

- « صلطة » خالص يا أفندم . . .

وقال فاروق :

- ايوه . . . « صلطة » وعليها « سكر » . . .

وهنا قال حسنين :

- ان شاء الله يا «مولانا» تصبح الحالة كلها «سكر»

والتفت الى فاروق من مقعده . . . وسألنى بسخرية :

- هيه . . . والاستاذ التابعى جاي معانا برضه

فيشى ؟

وأحسست ان الدم صعد الى راسى . . . فقد كان

المعنى واضحا سافرا ، وهو ان الملك فاضب على ولا

يريد ان أسافر معهم الى فيشى . . .

ومع ذلك فانشى لم أكلفه ولم أكلفا حكومته اوخاصته

الملكية مليما واحدا من نفقاتي طوال الرحلة لأنني كنت
أدفع جميع نفقاتي في الفنادق وغيرها . . بل وثمان
تذكرتي في القطار الخاص كنت أدفعه الى مندوب شركة
« كوك » التي كانت تتولى شؤون الرحلة وتنقلاتنا في
أوروبا . . وجميع افراد الحاشية كانوا يعزفون هذا . .
وكدت أسأل « جلالته » : هل هو يظن انني أسافر
معهم على حسابه او على حساب الحكومة ؟

ولكنني سكت تأديبا واحتراما .

والواقع ان جميع نفقاتي في تلك الرحلة التي دامت
نحو خمسة اشهر كانت من جيبى الخاص . . حتى جريدة
« المصرى » التي سافرت من أجلها لم تدفع لى قرشا
واحدا . . لأن ميزانيتها لم تكن تسمح يومئذ ، وفي أول
عام من حياتها بدفع نفقاتي في رحلة كهذه . . سكت اذن
ولكن الجالسين لاحظوا ولا شك امتقاع لون وجهي
واحمرار اذني . .

ووقف حسنين باشا ، واستأذن من « مولانا »
وانسحب من عربة « البولمان » ولعله ذهب الى صالون
جلالة الملكة والأميرات .
ومن بعده . . انسحب فخرى باشا بعد ان انحنى
ومشى خطوات بظهره الى الورا . .

وبقيت وحدي في مقعدى . . وفاروق جالس الى
مائدته . . ومن خلفه أحمد الطاهر جالس الى مائدة
أخرى . .

وساد الصمت بضع دقائق . . وكان فاروق يتسلى
بعد حفنة من أوراق « البتكنوت » الفرنسية . . كان
يغدها ويضعها في جيب سترته . . ثم يخرجها ويغدها
مرة أخرى . . وهكذا . .
وأخيرا وقف . . ووقفنا . .

والتفت الى .. وقال :
- اظن نروح بقى عربية الاكل علشان الغدا ..
ولما لم أرد ، قال :
- مش جاي تتفدى ؟ ..
قلت : ان شاء الله يا افندم ..
وغادر العربية ، ووراءه يوزباشى احمد الطاهر ..
وأدركت أنا ان فاروق قد أحس بأنه جرحنى ، وانه
اراد بدعوتى لتناول الغداء ان « يطيب خاطرى » .
ولكنى كنت نويت أمرا ، وهو ان أؤدى واجبى
الصحفى فى « فيشى » فأرسل برقيتى الى جريدة
« المصرى » بوصف استقبال الملك والملكة ، ثم أغادر
فيشى على الفور ..
وتناولت طعام الغداء بمفردى فى عربة « البولمان » .

وصلنا « فيشى » فى الساعة الرابعة بعد الظهر ..
وأرسلت برقيتى الى جريدة « المصرى » بوصف
الاستقبال .
ثم ذهبت الى مكتب « كوك » واشترت تذاكر السفر
اللازمة الى « فيينا » فى النمسا .. وأبدلت مبلغا من
المال بالعملة النمساوية .. الى آخره ..
وعرف حسنين باشا ورجال الحاشية بالخبر فأقبلوا
يطيبون خاطرى ويؤكدون لى ان « مولانا » لم يقصد
أهانتى .. الخ ..

ولكننى صممت على السفر ..
وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى ركبت القطار
الى زيوريخ ومنها الى فيينا .
وغادرت مدينة « فيشى » بقطار الصباح وصحبنى
الى المحطة الاستاذان على رشيد ، واحمد يوسف ..

وعاود الاثنان الكرة لكي يحملاني على العمدول عن السفر . . واخيرا قلت لهما اننى فى الحقيقة اريد ان اتحرى فى « فيينا » حكاية توفيق نسيم باشا والفتاة النمساوية مارى هوبنر ، لكي اوافى جريدة «المصرى» بالتفاصيل .

وكانت الاخبار قد جاءتنا ان توفيق نسيم باشا ، رئيس الوزراء الاسبق - رحمه الله - قد أحب فتاة نمسوية من عامة الشعب وهى ابنة صاحب فندق صغير وانه ينوى الاقتران بها .
وتمنى لى الصديقان سفرا سعيدا موقفا .



ووصلت « فيينا » بعد ظهر اليوم التالى ، وكانت « فيينا » يومئذ عاصمة بلا دولة ، او كانت هناك دويلة صغيرة . . فقد كانت النمسا خرجت من الحرب العالمية الاولى فقيرة مفلسة ، فقدت امبراطوريتها الواسعة ، وفقدت معها كل شىء . . وبعد ان كانت « فيينا » عاصمة الامبراطورية تضم نحو سبعين مليوناً من السكان امتست عاصمة لدولة مقصودة الاطراف يسكنها نحو ستة ملايين .

وكان يسكن « فيينا » ثلاثة من هذه الملايين الستة . وكان الزائر الاجنبى يشهد مظاهر الفقر والبؤس والجوع فى كل ركن من اركان المدينة الجميلة الانيقة المشرقة . . مدينة الموسيقى والهوى والجمال .

وبالمال . . قليل من المال كان الزائر يستطيع ان يشتري كل شىء ، واى شىء بثمن رخيص ، او ثمن معقول مقبول .

حتى الجمال والشباب كانت « أسعاهما » فى العاصمة الجميلة الفقيرة رخيصة اذا قيست بأسعار

لندن وباريس !

وكننا لا نزال في شهر يولية عام ١٩٣٧ ، اى قبل ان يزحف هتلر على النمسا ويعلن ضمها الى الرايخ الثالث أو المانيا الكبرى ، وهو الأمر الذى وقع بعسد ذلك بثمانية شهور ، اى في شهر مارس عام ١٩٣٨ .

ولم تطل اقامتى في « فيينا » أكثر من بضعة أيام . . . كذلك لم أحاول أن أتحرى أو أستقصى شيئا عن حكاية توفيق نسيم باشا ، والفتاة ماري هوبنر . . . ولكنى تذكرت حديث الدكتور عباس الكفراوى وترشيحه للأستاذ نجيب الهلالي ليكون رئيسا لديوان الملك فكتبت خطابا لمكرم عبيد باشا رويت فيه تفاصيل الحديث ، وأرسلت الخطاب الى عنوانه في رمل الاسكندرية لأننى كنت اعرف انه والنحاس باشا وزملاءهما قد عادوا الى مصر . . . ولا بد أنهم يقضون الصيف في بولسكى برمل الاسكندرية .

وغادرت « فيينا » وذهبت الى الريف بالقرب من مدينة « لنز » مسقط رأس هتلر وأقمت في فندق بسيط بقريه صغيره نحو أسبوع . . . ثم ركبنا القطار عائدا الى « فيشى » فقد كان على أن أودى واجبى الصحفى حتى النهاية وأن أصبح الملك فاروق فى عودته من رحلته الى مصر .

ووصلت « فيشى » ونزلت فى فندق «ماجستيك» الذى كان يقيم فيه فاروق وأمه وحاشيته .

وفى المساء نزلت الى بهو الفندق وجلست فى مقعد . . . وكان يجلس فى مواجهتى السيد عبد الحميد الشواربى والسيدة الكريمة زوجته . . . وكان يوجد يومئذ فى « فيشى » عدد كبير من المصريين الذين يزورون مدينة

المياه المعدنية للاستشفاء .
وأقبل فاروق من باب في صدر البهو ، ووراءه
يوزباشي أحمد كامل ..
ورآني « صاحب الجلالة » فابتسم ولوح بيده ،
وأقبل نحوي .. ووقفت ..

وتقدم مني ووضع يده على كتفي ، وقال :
- حمد الله على السلامة ..
قلت : الله يسلمك يا أفندم ..
قال : لسه زعلان ؟
قلت : استغفر الله يا أفندم .. !
قال : وإيه حكاية توفيق نسيم .. صحيحة الحكاية ؟
قلت : أيوه .. صحيحة ..

ولم أزد ، لأنني - كما قلت - لم أحاول أن أتحرى
عن التفاصيل .

قال ، وهو ينظر من طرف عينيه الى فتاة شسقراء
جميلة كانت ترتدي ثوب السهرة ، وكانت جالسة في
مقعد قريب مني وأعله ظن أنها جالسة معي :
- طيب .. بعد العشا نبقى نشوفك .. يوجد هنا
محل لطيف اسمه « لوازيه » - أي الواحة - فيه
مزيكة ورقص ، قريب من اللوكائدة .. نشوفك فيه
بعد العشا ..

قلت : ان شاء الله يا أفندم ..
ولكني لم أذهب ..

وكان « القائمقام » عمر فتحى بك الذى كنا تركناه
مريضا في أحد مستشفيات لندن قد شفى ولحق بالركب
الملسكى في « فيشى » ومعها السيدة زوجته التى كانت
طارت الى لندن عندما سمعت بخبر مرضه وأقامت

بجانبه ..

وأجتمعت بعمر فتحى وبأصدقائى من أفراد الحاشية
وجلسنا نتحدث عن مصر ، وأخبار مصر .. وعسرفت
منهم ان مراد محسن باشا حضر الى « فيشى » - اثناء
غيابى فى النمسا - وقابل فاروق .. ثم عاد الى مصر ..
لماذا حضر .. ؟

ها هى ذى التفاصيل :

قلت : ان فاروق رمى برزمة من صحف مصر على
المائدة أمامى ونحن فى القطار فى طريقنا الى « فيشى »
وسألنى ما اذا كنت قرأت الكلام المكتوب فى جريدة
« المصرى » ؟ ..

واننى ألقيت نظرة على جريدة « المصرى » فقرأت
على صفحتها الاولى - وبالبنط الكبير - عبارة فحواها
ان مصدرا رسميا كبيرا صرح لندوبها بأن الوزارة قررت
عدم اقامة حفلة دينية ..

وقد عد فاروق هذا الالجاج فى النشر تحرشا به
وتحديا لسلطاته .. فانه - أولا - لم يطلب بصفة
رسمية اقامة حفلة دينية ، ثم هو - ثانيا - قد تنازل
عن فكرة اقامة هذه الحفلة وأبلغ رئيس الحكومة خبر
هذا التنازل ، وأبلغه فى نفس الوقت برنامج الحفلات
التي تقام بمناسبة توليه سلطاته الدستورية ، وليس
فى هذا البرنامج ذكر لاقامة حفلة دينية .. فعلى من
اذن كان المصدر الكبير الرسمى الذى أشارت اليه
جريدة « المصرى » لسان حال الوفد والحكومة .. على
من كان يرد بتصريحه المذكور .. ؟

وما هى الجهة الرسمية التي كانت تقدمت بطلب
رسمى لاقامة حفلة دينية حتى تتخذ الوزارة قرارها

هذا وتنشره في صدر صحيفتها - بالبنت الكبير - . .
أم ترى كانت الوزارة النحاسية الوفدية تريد أن
تعلن عن قوتها وشدة بأسها بهذا القرار فتوهم الناس
أن هناك اصرارا من احدى الجهات على اقامة الحفلة
الدينية ، ولكن لما كانت الوزارة هي وحدها التي تقر
ما تريد وترفض ما لا تريد - بدون مراجعة او تعقيب -
فانها رأت أن تتخذ هذا القرار . . ؟

هذا هو الذي فهمه فاروق ورجال حاشيته . .
وقامت الأزمة . . وطار خبرها الى مصر . . واضطربت
الوزارة .

اضطربت - لأن النحاس باشا كان قد لاحظ هو
وأصحابه بعد عودتهم من أوروبا أن الأمور لا تسير -
بالنسبة لهم - على ما يرام . . فالأزهر هائج مضطرب ،
وأحزاب المعارضة - الأحرار الدستوريون ، والحزب
الوطني ، وحزب الاتحاد ، إذ لم يكن هناك يومئذ شيء
اسمه الحزب السعدى - أحزاب المعارضة وخصوم
الوفد يحركون خيوط الفتنة هنا وهناك . .

وصاحب السمو الأمير محمد علي توفيق رئيس
مجلس الوصاية يصر على اقامة حفلة دينية وحفلة
مبايعة يقلد فيها الملك فاروق سيف جده الأكبر محمد
علي ، وتتبع في هذه الحفلة طقوس وتقاليد جديدة لم
تعرف من قبل . .

وقد تبين بعدئذ أنه لا يوجد سيف لمحمد علي الكبير
باقيا حتى اليوم ! . .

وأخيرا ذهب النحاس باشا وقابل الأمير محمد علي
توفيق وقال له أنه لم يبق موجب لاستمرار الحديث
في هذه الحفلة الدينية لأن جلالة الملك لم يطلبها ولا
يتمسك بها ، وإن جلالاته قد أبلغ الوزارة برئاسج الاحتفال

وليس في هذا البرنامج شيء عن اقامة حفلة دينية . .
ولكن الامير محمد علي اضرب مع ذلك على طلبه وأعلن
انه حتى ولو كان الملك فاروق قد تنازل عن اقامة هذه
الحفلة فان هذه المسألة تهم الأسرة المالكة كلها وان
سموه بصفته الشخصية وبصفته نائبا عن افراد الأسرة
يرى ان يسن هذا التقليد الجديد وأن تقام حفلة دينية
وحفلة مبايعة يتقلد فيها فاروق سيف جده الأكبر
محمد علي .

وكان موقف محمد علي توفيق - رحمه الله - وعناده
واصراره على برنامج معين يخالف البرنامج الذي وافق
عليه فاروق وأبلغته أنا للوزارة . . هذا الموقف من
جانب الامير رئيس مجلس الوصاية زاد في سوء الحالة
وتفاقم الازمة . .

وكانت هناك صحف - غير وفدية - على اتصال
بالامير ورجال دائرته . . وكانت الصحف المذكورة تؤكد
للجمهور في كل يوم ان هناك حفلة دينية سوف تقام
شاءت الوزارة او لم تشأ ! . .

وتجمعت السحب في الافق السياسي ، وطال الاخذ
والرد بين الصحف الوفدية . . والصحف غير الوفدية .
وفي هذا الجو - جو التوتر والشكوك - راحت
السلطات تحسب أيام حفلات التولية وتحدد لكل حفلة
تاريخها ويومها ، وهنا فقط عرفوا ان أيام الاحتفال
الثلاثة اي ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ يولية تقع في أيام الخميس
والجمعة والسبت .

وأبدى الامير محمد علي توفيق رغبته في أن يؤدي
فاروق صلاة الجمعة في ثاني يوم من أيام الحفلات في
جامع الازهر الشريف وأن يتلو شيخ الازهر دعاء خاصا

.. وأبلغ فاروق هذا فوافق عليه .
ولسكن النحاس باشا رأى في هذه الصلاة وفي هذا
الدعاء الخاص رجوعا إلى الحفلة الدينية عن طريق ملتو
ملفوفه !.. واعترض النحاس ورفض .. رفض أن
يوافق على أن يؤدي فاروق صلاة الجمعة في الأزهر
الشريف !..

وقال فاروق ، وكان في فيشى :
- لم أكن وأنا تحت الوصاية أستشير أحدا في امر
المسجد الذي أؤدي فيه صلاة الجمعة ، فهل يراد مني
الآن وبعد أن أتولى سلطاتي كملك أن استأذن رئيس
حكومتى في اختيار المسجد الذي أؤدي فيه هذه الصلاة ؟
ولكن الوزارة كانت ترى من جهتها أن تأدية فاروق
صلاة الجمعة في الأزهر واستقبال شيخ الأزهر وعلماء
وشيوخ الأزهر الشريف لفاروق ووقوفهم بعد انتهاء
الصلاة - كما قيل يومئذ - لى يتلوا دعاء خاصا ..
كانت الوزارة ترى في هذا كله عودة إلى الحفلة الدينية
بشكل آخر وأن فيه أيضا تشجيعا لحركة الصاخبين
الثائرين على الحكومة وضربة تذل الوزارة وتنال منها
وتضعفها أمام المعارضة .

تفاقت الازمة .. ودارت المخابرات بالتظـراف
والتليفون والبريد بين الملك وحاشيته في باريس وفيشى
وبين مجلس الوصاية والوزارة في مصر ..

وتمسكت كل جهة براياها ورفضت كل رأى سواه ..
وأخيرا عرض مراد محسن باشا على مصطفى النحاس
باشا أن يسافر إلى فيشى لى يعرض بنفسه على فاروق
وجهة نظر الوزارة .. وأكد للنحاس « باشا » انه مقتنع
بوجهة نظر الحكومة وأنه سوف يؤيدها عند فاروق ..

ووافق النحاس « باشا » ، وسافر مراد محسن باشا فعلا الى فيشى وقابل فاروق ..
وكان « المرحوم » مراد محسن باشا جارا لمصطفى
النحاس في مصر الجديدة .. وكانت هناك علاقة مودة
بين الجارين ..

هذا أولا .. وثانيا : كان مراد محسن باشا ينافس
حسنيين باشا على السلطة وعلى مركز «الرجل الاول»
في القصر .. ولقد رأى في هذه المهمة فرصة طيبة لأن
يكسب صداقة الوفد والحكومة واعترافهما بجميله ..
ويكسب في نفس الوقت ثقة فاروق ، وأن يظهر حسنيين
أمام الحكومة الوفدية بمظهر الرجل الذي يعجز عن أداء
خدمة لها أو تسوية أزمة تقوم بينها وبين الملك ..
ويظهره أمام فاروق بمظهر الرجل الذي لا « يسد »
ولا ينفع في الملمات ..

واستقبل فاروق مراد محسن باشا .. ورفض في
أول الأمر أن تكون مسألة صلاته في الازهر الشريف أو
في أى مسجد آخر يختاره موضع حديث أو أخذ ورد
لأنه يعد صلاته والمسجد الذى يؤديها فيه مسألة تخصه
هو وحده دون أن يكون للوزارة أو غير الوزارة أية كلمة
في الموضوع ..

وكان المرحوم مراد محسن باشا لا تعوزه الكياسة
واللباقة فقد قال على الفور انه يوافق صاحب الجلالة
على هذا الرأى ، وان النحاس باشا نفسه يسلم تماما
بوجهة نظر جلالة الملك المعظم .. بل ان حق « مولانا »
في اختيار المسجد الذى يؤدي فيه الصلاة لم يكن موضع
بحث على الاطلاق وان النحاس « باشا » أول من يقول
بحق جلالتة في هذا ، وأول من يحترم ويحافظ على

حقوق « مولانا » .. الى آخره .
ولكن النحاس باشا يلتمس من جلالة الملك ان يقدر
الظروف القائمة ودسائس خصومه وحملات صحف
المعارضة وأن يتفضل ويظهر عطفه السامى الكريم على
رئيس وزرائه فلا يشمت فيه خصومه ، وهذه الشماتة
لا مجال واقعة اذا تحقق صدق ما قالت صحف
المعارضة وهو ان هذه الجفلة الدينية سوف تقام ولو
رغم انف الوزارة !..

وعاد مراد محسن باشا وأكد لفاروق ان النحاس
باشا يلتمس هذه المكرمة من جلالة الملك ..!
وقال فاروق :

— النحاس باشا قال كده ؟ .. اذن اطلبه بالتليفون
امامى وقل له هذا الراى الذى قلته لى الآن ..
وفعلا اتصل مراد محسن باشا بالتليفون من فندق
الماجستيك فى فيشى بالنحاس باشا فى مصر ..
وكان فاروق حاضرا ..

وأعاد مراد محسن بالتليفون على مصطفى النحاس
حرفا بحرف كل حديثه الى فاروق ..
وأمن النحاس « باشا » على أقوال مراد محسن باشا
ودعا لصاحب الجلالة بالعز والتأييد ..
وقال فاروق لمراد محسن :

— وهو كذلك .. ولكن قل للنحاس « باشا » اننى
قبلت عشان خاطره هو بس ..!

وخرج مراد محسن فرحا مسرورا وعاد الى مصر ..
عاد الى مصر ليبشر النحاس « باشا » ووزرائه بأنه نجح
فى مهمته عند فاروق ..

ثم يروى فى داره وبين أقاربه وأصهاره — وجميعهم
من أصدقاء السيدة لطفية زوجة حسين باشا — يروى

لهم ما رآه وما سمعه في فيشى . . .
وكان بين ما رآه وسمعه شيء كثير وكلام أكثر عن
الملكة نازلى وأحمد حسنين وكيف توثقت العلاقة
بينهما . . . وكيف . . . وكيف . . . الى آخر ما هناك . . .
وكان طبيعيا أن تسمع زوجة حسنين بهذه الحكايات
والتفاصيل . . .

واشتعلت نيران الفيرة في صدر الزوجة «المهجورة»
المتروكة في مصر . . . خصوصا وكانت - رحمها الله -
قد سمعت أن زوجة القائم عمر فتحى قد لحقت
بزوجها في لندن . . .

وأن زوجة يوزباشى أحمد كامل قد لحقت بزوجها
في فرنسا . . .

وأن زوجة عبد المنعم رافت ، والذي كان يتولى
حسابات الرحلة قد لحقت بزوجها في فيشى . . .

وهكذا . . . كل من أراد من أفراد الحاشية أن يستدعى
زوجته . . . قد استدعاها دون أن يعترض أحد . . .

ما عدا «هى» . . . ومع ذلك فإنها أكبر مقاما من
زوجات رجال الحاشية . . . وزوجها - أحمد حسنين -
أكبر مقاما ونفوذا من جميع أفراد الحاشية . . .

أذن لا بد أن يكون الاعتراض على سفرها أما من زوجها
نفسه . . . أو من الملكة نازلى . . . وعلى كل حال فإن
نازلى صبرى هى السبب . . .

وانطلقت السيدة لطفية يسرى كريمة الاميرة شويكار
تسب وتشتتم وتطلق لسانها في كل مجلس وكل منتدى
ضد صاحبة الجلالة نازلى ملكة مصر ، وضد ابنها
فاروق ! وتروى عن نازلى أو «العجوز المتصاية» -
كما أسمتها - تروى عنها القصص والحكايات . . .

وهكذا تطور الموقف وتحول الى «الوضع الصعب أو

الوضع المستحيل « كما وصفه حسنين باشا بعد ذلك
بنحو شهرين .

وبعد عودتى من النمسا الى فيشى بيومين اثنين تحدد
موعد سفرنا فى اليوم التالى الى مارسيليا . . ومنها
بالبخرة « النيل » عائدين الى مصر . .

واراد فاروق ، الذى كان يتضابق من حراسة
البوليس الفرنسى له وتتبعه لكل خطواته وتنقلاته . .
اراد ان ينتقم من رجال البوليس هؤلاء وان يسخر منهم
ويشهر بهم ، فذهب الى مطبخ فندق الماجستيك
واستعار من الطهارة عددا من الاواني النحاسية مثل
« الكسارولات » وما اشبه . . وربطها جميعا بطرف
حبل ثم طلب من خادمية الايطاليين بترو ، وجارو ، ان
يتسللا الى السيارة الصغيرة التى كان يركبها البوليس
الفرنسى ويتبع فيها فاروق . . وان يربط الطرف الثانى
للحبل فى مؤخرة السيارة من غير ان يشعر بهم البوليس
وكانت سيارة البوليس واقفة على مقربة من الفندق
بينما كان رجال البوليس واقفين بباب الفندق . . حتى
اذا خرج فاروق أسرعوا الى سياراتهم الصغيرة وتبعوه !
ونجح بترو ، وجارو فى مهمتهما . . وعادا الى الفندق
وأبلفا فاروق . .

واسرع فاروق بالخروج . . وقفل فى سيارته وأطلق
لها العنان ، وهروا رجال البوليس الى سياراتهم
ووثبوا الى مقاعدها . . وأطلقوا لها العنان وراء سيارة
فاروق . .

ومضى فاروق بسيارته يلف ويدور حول الميدان الكبير
القائمة حوله متاجر فيشى وحاناتها ودور السينما . .
والمزدحم دائما بالسائرين . .

مضى يدور ويلف . . ووراءه سيارة البوليس تجر وراءها الاواني النحاسية على بلاط الميدان . . !
وللقارىء أن يتصور الاصوات التي كانت تحدثها هذه الاواني النحاسية عند ارتطامها بالاسفالت والبلاط !
ووقف المارة في الطرق وفي الميدان . . يضحكون ، ويصفرون . . ويسخرون من رجال البوليس . .
وعاد فاروق الى الفندق . . ووراءه سيارة رجال البوليس ونزل رئيس قوة بوليس الحراسة من السيارة وفك الحبل الذي كان يربط الاواني النحاسية الى مؤخر السيارة ورمى بالاواني امام باب الفندق . .
وأخرج الرجل منديلا كبيرا من جيبه مسح به العرق الذي كان يتصبب من وجهه وقال - دون أن يوجه كلامه الى أحد معين - قال بالفرنسية ما معناه :
- ده لعب عيال . . والذي فعل فينا هذه الفعلة يستحق أن يضرب « علقة » على . . ؟
وذكر الرجل اسم جزء الجسم الذي يؤدب فيه الصغار . . !



وفي اليوم التالي غادرنا فيشى الى مارسيليا . .
وكانت الباخرة « النيل » مزينة بالاعلام المصرية . .
وقد وقف عند أول درجات السلم المرحوم مدحت يكن باشا ، ودكتور فؤاد سلطان ، وكان بنك مصر وشركائه قد أوفدهما لكي يكونا في خدمة فاروق على ظهر الباخرة
وسمعنا - وفرحنا - أن المغفور له طلعت حرب باشا أرسل كذلك عددا من الطهاة المشهورين بطهي الالوان الشرقية . . ومعهم « العاصي » المشهور بعمل الطعمية والفول المدمس اكراما لفاروق . . !
وتحركت « النيل » في المساء وأذكر من حديث

للمرحوم حسنين باشا أثناء الايام الاربعة التي مضيناها
على ظهر الباخرة « النيل » .. اذكر حديثا قال فيه
ما خلاصته ومعناه :

- لقد كنا في أوروبا محيطين بالملك .. وكان هو
يعمل برأينا ويصفي لمشورتنا .. ولسكننا نعود الآن الى
مصر .. وأولاد الحرام هناك كثيرون .. ولن نستطيع
أن « نحلق » على « مولانا » كما كنا نفعل في أوروبا ..
ولن يمكننا أن نمنعه من الاتصال بهذا وذاك .. كذلك
لن نستطيع أن نمنع أولاد الحرام هؤلاء من مقابلته ..
وأرجو منك ، وقد أصبحت واحدا منا « كذا » أن
تساعدنى عند أصحابك الوفديين وأن تقنعهم بأن فاروق
غير فؤاد .. وأن سياسة الشدة والعنف مع فاروق
لا تنفع ، لأنه عنيد وذو كبرياء ، وقد لمست أنت هذا
بنفسك ..!

وفي حديث آخر قال رحمه الله :
- قل لأصحابك الوفديين ! « وكانت هذه عبارته
دائما كلما تحدث عن الوفديين ! » انه ليس في مصلحتهم
ولا في مصلحة البلد أن يسير « مولانا » في نفس الطريق
الذى سار فيه أبوه الملك فؤاد .. وكن واثقا انه اذا
اضطر « مولانا » أن يقبل الوزارة مرة واحدة .. أو يحل
البرلمان مرة واحدة .. فانه سوف « يستحلى » -
وهذا تعبيره باللفظ ! - سوف « يستحلى » الحكاية
ويمشى فيها .. على طول ! .. ونصيحتى أن يمشوا معه
بالذوق والنين .. وليذكروا دائما ان اولاد الحرام كثيرون
وان الطامعين فى السلطة والوزارة كثيرون ..

ووصلنا الاسكندرية عند فجر يوم الاحد ٢٥ يولية
عام ١٩٣٧

وكانت ميثاق الزوارق تملأ ميثاء الاسكندرية . .
وفيهما فرق موسيقى وطبل وزمر وهتافات . . ودعوات
تتصاعد بحياة فاروق . . والملك المحبوب . .

كان الشعب يومئذ يعلق آماله على الملك الغلام . .
ولكن ان هي الا سنوات تقل عن عدد أصابع اليدين
حتى استنحال الحب الى نقمة . . والدعوات الطيبات
الى لعنات يصبها الشعب على رأس الفاجر الطاغية
فاروق . . !

عاد فاروق الى مصر بعد رحلته التي استغرقت نحو
خمسة شهور والتي تنقل فيها بين سويسرا وفرنسا
وانجلترا ، واستقبله الشعب بزينات الفرح والموسيقى
والهتاف والدعاء « للملك المحبوب » . . !

وعاد حسنين باشا ليجد النار مشبوبة في بيتها
الزوجية . . والألغام مهياة للانفجار . . وزوجته في ثورة
عاصفة مجنونة ضد الملكة نازلي ، وضد كل من يمت
اليها بصلة أو بسبب . . حتى الملك نفسه . . فاروق !
ثم سمع حسنين من بعض أصدقائه ومن بعض رجال
القصر الذين كانوا أقاموا في مصر ولم يصحبوا فاروق
في رحلته الى أوروبا . . سماع من هؤلاء وهؤلاء أن
زوجته السيدة لطيفة قالت : « كذا وكذا » عن جلالة
الملكة . . وقالت : « كيت وكيت » عن جلالة الملك . .
وكيف انها - زوجة حسنين باشا - تحدثت في مجلس
خاص في دار فلان باشا . . وقصر فلانة هانم . . واتهمت
جلالة الملكة نازلي بأنها « ماشيه » مع حسنين ، وأن
الملكة عملت « كذا وكذا » في باريس . . و « كيت
وكيت » في جنيف ولندن وفيشي . . وأن الملك فاروق
مغفل . . مثل أبيه الملك أحمد فؤاد . . !
سمع حسنين بهذا . . ثم سمع بما هو أدهى وأخطر

واليك التفاصيل :

كانت زوجته السيدة لطفية - رحمها الله - تزور ذات يوم سيدة من الأسرة اليكنية ، وكانت - كعادتها في تلك الايام - تنتهز كل فرصة لسكى تطعن في الملكة نازلى وفي سلوكها وتروى عنها القصص والحكايات .. ومنها قصة زواجها بالملك أحمد فؤاد .. وكيف هربت نازلى .. وكيف « ضبطوها » الى آخره .. والاشاعات التى احاطت بالزواج المذكور .. ثم الاشاعات التى انتشرت بعد مولد فاروق .. الى آخره ..

وهنا اشترك في الحديث محام شاب وقال ان ادبياً اسمه بيم التونسي كان سجل هذه الاشاعات في أزجال رددتها شوارع الاسكندرية والقاهرة وتفتت بها ابان ثورة عام ١٩١٩ ، وان الاديب المذكور قد نفى خارج البلاد بسبب هذه الازجال ..

وكادت لطفية تقفز فرحاً .. وطلبت من المحامى الشاب - وألحت فى الرجاء - ان يحصل لها على نصوص الازجال المذكورة ..

وأستطاع المحامى بعد جهد ان يحصل على أزجال الاديب الشاعر بيم التونسي ..

وطبعت لطفية هانم بضعة آلاف نسخة من الازجال المذكورة فى شكل نشرة صغيرة وعملت على توزيعها يوم عودة فاروق وامه نازلى من رحلتها الى أوروبا ..

ولكن هذه النشرة ، أو هذه الازجال لم تحدث اثراً أو ضجة .. لأن الذين وقعت فى أيديهم اما أنهم لم يفهموا الكنايات ، والتلميحات التى جاءت فيها .. واما أنهم فهموا ، ولكنهم مزقوها سخطاً واشمئزاً لأن فاروق - كما قلت - كان يومئذ « ملكاً محبوباً » !

ولأن أمه الملكة نازلي لم تكن قد خرجت بعد على المكشوف ، أو المألوف . وكانت حكاياتها أوقصصها لا تزال محصورة في نطاق ضيق محدود . ولم تخرج بعد إلى الشوارع لتصبح مضفة في الأفواه وحديث الناس .

سمع حسنين بهذا كله . . وقبل أن أمضى في سياق الحديث أرى - من باب التسجيل - أن أقف عند أزجال الأستاذ الأديب بيرم التونسي لكي أعطي القراء فكرة عن انفعالات الشعب في ثورة عام ١٩١٩ والنظرة التي كان ينظر بها إلى العرش وصاحبه السلطان أحمد فؤاد . . وابنه وولي عهده فاروق . .



وكانت نظرة الشعب نظرة زراية وسخط واستخفاف ثم كانت سلسلة « المسكنات والمرطبات والمهدئات » . . من دستور ، وبرلمان ، وتمثيل سياسي ، ومقاعد وزارية ومقاعد نيابية ، ووظائف سياسية ودبلوماسية . . ازدحم رجال مصر حولها وتكالبوا عليها ! . .

وهدأت ثورة الغضب . . واستكان الشعب واستطاع أحمد فؤاد أن يملك ويحكم سبعة عشر عاما . . وأن يصبح ابنه - الذي هزأ الشاعر وتغنى ساخرا بمولده يوم ولد - يصبح ملكا محبوبا يدعو له الشعب بالمر والتأييد . .

واتصلت بالأستاذ الأديب بيرم التونسي وسألته أن يبعث إلى بهذه الأزجال مع كلمة منه عن الظروف التي كتبت فيها . .

وقال الأستاذ بيرم انه يذكر منها زجلين اثنين : الأول عن زواج أحمد فؤاد ونازلي . . والآخر عن مولد فاروق وما أحاط بالحادئين من شكوك وأشاعات . .

وتفضل وكتب الى يقول :

أخى . . .

طلبت الى ان أحدثك عن ثورة عام ١٩١٩ ، كانت يا ولدى ثورة من النوع الذى لا يبقى ولا يذر . . ولقد تركها الانجليز تتأجج وتتاكل الى ان يخمد اوارها ثم تعالج بالطرق الناعمة . .

أيقن الشعب ان امانيه الوطنية أصبحت فى يديه ، وقال الانجليز : « نعم . . وها هو ذا سلطانكم المستقل وبرلمانتكم وما عليكم الا ارسال السفراء والقناصل الى كافة نواحي العالم » . .

وكانت جريدة «المقطم» لسان القائد العام الانجليزى بدأت تتحدث عن الامير أحمد فؤاد الذى سوف يسند اليه منصب خطير فى الدولة المصرية . .

وتساءل الناس عن الامير فؤاد ، لأن رجال ذلك البيت وأميراته لم يكونوا يومئذ موضوعا تخوض فيه الصحف الا بقدر معلوم . .
فقال القائلون :

- آه . . أحمد فؤاد المقامر الذى لا ترحب به أندية القمار لأنه مفلس ولا يسدد ديون القمار . .
- أحمد فؤاد الذى يركب « الحنطور » ولا يدفع للحوذى أجرته ! . .

- أحمد فؤاد الذى يفتح منازل أصدقائه ليلا ويطلب الطعام ! . .

وذاث يوم مر موكب عظمة السلطان أحمد فؤاد من شارع رأس التين ، وقد جلس فى مركبته التى تجرها ستة من الجياد ، وفى شمائل وزينة القرون الوسطى . . فلما مضى الموكب أخذ الشعب السكندرى يقول :

— عامل زى قبانية مينا البصل .. ده أصله شيخ زامة !..

— شنباته زى « شنكل » الجزار ..
الى آخره ..

وأدرك العارفون أن الحركة الوطنية قد تحولت الى « زفة » عريسها السلطان أحمد فؤاد وموائدها كراسى البرلمان ووظائف السلك السياسى ..

ثم أذاعت جريدة « المقطم » عزم السلطان « التقى » على الزواج ودقت طبول العرس بين ضجيج المعارك القائمة بين البوليس بقيادة ضباطه الانجليز وبين جماعات الشعب فى كل عاصمة وقرية ..

وأخذ الناس يتحدثون عن العروس « نازلى صبرى » وأسرتها وجددها الأول .. وكيف خطفت وكيف حبست وكيف هربت .. واختلطت أحداث الناس عن زواج السلطان بأحاديثهم عن بطولة البلاد التى قامت فيها الثورة ..

ما أشجع طنطا .. وما أعظم وطنية دمنهور .. والله در أسيوط ومدن الصعيد ..

ولم أسمع من يقول : « الله در الانفوشى » وهو مسقط رأسى فى حى رأس التين .. وفيه يعيش منذ خمسة آلاف عام أرذل أنواع البشر كما قال علماء الشعوب ..

ولم أكن من هواة تحطيم المصابيح أو اشعال النار فى الترام لأنى لا أحب أن أموت « فطيس » برصاصة عسكرى ..

ولكننى أردت أن أشارك الثورة .. وطبقت فرخ الورق « جاير الجاير » على ثمانية أوجه وسميته : « المسلة » .. ولما كان بدون رخصة كتبت فى الرأس :

« المسلة . . . لا جريدة ، ولا مجلة ! »
ولكن ماذا أكتب في « المسلة » وأنا لا أعرف شيئاً
في الدساتير أو في السياسة ! ؟ . . .
سلكت طريقة « فتوات الانفوشي » عندما يقررون
هدم العرس . . . يكفي أن تحطم « الكلوب » أو تضع
لغماً تحت « الموتور » الذي يدير المصنع . . . لكي يمسى
العرس في ظلام دامس . . . ويتعطل المصنع كله عن العمل
و « الموتور » هو السلطان أحمد فؤاد . . . والمناسبة
حاضرة وهي قصة نازلي وما يقال عنها . . . وعن ظروف
زواجه بها . . .

ومن هنا كانت افتتاحية « المسلة » . . .
وهي على وزن أغنية سورية كانت جاءت حديثاً الى
مصر وانتشرت فيها ، ومطلعها :
مرمر زمانى . . . يا زمانى مرممر . . . قلبى تولع فى
هواك يا الاسمر . . . ولها نغمة عذبة مرسله فلم تحتج
الذورة « البامية السلطاني » الى ملحن أو موسيقار . . .
وها هي ذى الانشودة :

البت ماشيه من زمان تتمخـطـر
والغفلة زارع فى الديوان قرع أخضر
يا راكب الفيتون وقلبك حامى
أسبق على القبـة وطير قدامى
تلقى العروسة شبه محمل شامى
وجوزها يشبه فى الشوارب عنتر

وحط زهر الفل فوقها وفوقك
وهاى لها الشبشب يكون على ذوقك
ونزل « النونو » القديم من طوقك
يطلع فى طوعك لا الولد يتكبر

العطفة من قبل النظام مفتوحة
والوزة من قبل الفرع مدبوحة

الى آخره .. الى آخره ..
والاشارات والتلميحات مفهومة .. فالنت هي نازلى
والفلة هو أحمد فؤاد وكانت شواربه مبرومة مدببة
الاطراف .. !
وأما «النونو» القديم ، والعطفة ، والوزة .. فأمرها
متروك لذكاء القراء ..

أما الزجل الثانى الذى نظمه بزم التونسي بعد مولد
فاروق .. فقد جاء فيه :

البامية فى البستان تهز القرون
وجنبها القرع الملوكى اللطيف
والديديان يرمح يجيب الزبون
وربة الجارية تجيب الرغيف
شوف الميراث حصل ولاد البطون
ودخل الاغراب « فاميلية » على

يا باديشاه دا انت ابنك ظهر
ريك يبارك لك فى عمر الغلام
نزل « يعلط » تحت برج القمر
ياخسارة بس الشهر كان مش تمام

وكان أحمد فؤاد قبل اعتلائه العرش يقيم فى قصر
اسمه قصر البستان ..
و « فاميلية » على .. يعنى أسرة محمد على ..
و « باديشاه » كلمة فارسية أو تركية ومعناها
ساطان ! ..

والشهر كان مش تمام ! ليست في حاجة الى تفسير،
ومعناها ان فاروق ولد قبل مضي تسعة أشهر على
الزواج !

وألقى البوليس القبض على الاستاذ بيرم التونسي
ووضعه على ظهر باخرة مسافرة الى فرنسا .. وبقي
بيرم في المنفى نحو عشرين عاما ..

وهذه هي بعض أزجال ثورة عام ١٩١٩ ، وقد طارت
من الاسكندرية الى القاهرة .. وتغنى بها الشعب
وقتئذ في الشوارع والمظاهرات ..

وهذه هي الأزجال التي طبعتها - المرحومة لطفية -
زوجة حسنين ووزعتها يوم عودة فاروق. وأمه الملكة
نازلي ..

سمع حسنين باشا بهذا .. ثم لم يلبث ان جاءه
الخبر بأن الملكة نازلي قد سمعت هي أيضا بمطاعن
السيدة لطفية ضدها .. وبالنشرات التي طبعتها ووزعتها
وفيها ما فيها من تعريض بها وبزوجها الملك أحمد فؤاد
وابنها الملك فاروق .. وان الملكة نازلي - ومن غير أن
تقول شيئاً لحسنين - ذهبت وأبلغت الأمر لابنها
الملك فاروق ..

وهكذا تعجلت الملكة نازلي سير الامور .. ووضعت
حسنين في مأزق حرج ، وفرضت عليه ان يختار بين
أحد أمرين :

اما ان يختارها هي ويختار معها منصبه ونفوذه في
القصر الى جانب الملك .. واما ان يختار زوجته
وشريكة حياته وأم أولاده ؟

ثم لم يلبث ان استدعاه فاروق ليقول له :

– مراتك العجنت يا حسنين .. شوف لك طريقة
معاها .. وبسرعة !

وذهب حسنين الى زوجته وقال لها انها ارتكبت
جريمة العيب في الذات الملكية .. وانها عابت في ذات
الملك أحمد فؤاد .. وعابت في ذات الملكة نازلي ..
وعابت في ذات الملك فاروق .. وان أقل ما يجب عليها
أن تفعله الآن انقاذاً للموقف – وللمظاهر – هو أن تلتمس
مقابلة الملكة نازلي وتنكر أمامها كل ما هو منسوب
اليها .. وتؤكد اخلاصها وولاءها لها ولجلالة الملك ..
ولكن لطفية لم تتركه يتم حديثه .. بل صاحت
فيه :

– أنا .. أنا اروح لنازلي ؟

واندفعت تسب وتشتتم .. في نازلي وتقول :

– واذا كنت عايزني اروح لها .. أنا مستعدة
اروح .. بس راح أقول لها كل الكلام اللي قلته عنها
في غيابها ..

وتركها حسنين وخرج ليفكر في هذا الوضع الصعب
أو الوضع المستحيل الذي يجد نفسه فيه ..

رائد الملك .. ثم أمينه الأول ..

ولكن زوجته تطعن في ذات الملك .. وفي ذات أمه
الملكة ..

احتفاظه بزوجه .. وبمنصبه في القصر .. أمر
مستحيل .. ليس أمامه إلا أن يضحى بزوجه أو
بمنصبه ..

وضحى بزوجه ..

وأوقع يمين الطلاق .. واحتفظ بمنصبه .. !

وكثير من أصدقاء حسنين – وأنا منهم – لم يسمعوا

ولم يعرفوا الا بعد وقوع الطلاق بعدة اسابيع . .
وكان سماعى بالخبر من حسنين نفسه ، فقد ذهبت
لزيارته ذات يوم . . وجلسنا نتحدث فى شتى الامور . .
وسألنى فجأة :
- هل تذكر « البارور » الياقوت الذى اشتريته فى
باريس هدية لزوجتى ؟
و « البارور » طقم مكون من حلق واسورة وخاتم .
قلت : نعم . .
قال : وقد دفعت فيه ثمانمائة جنيه . . استدنتها
لأننى - كما تعرف - فقير . .
وحنيت رأسى موافقا . .
ومضى حسنين يقول بمرارة :
- هل تظن ان الذى يستدين ثمانمائة جنيه لكى
يشترى بها من باريس هدية لزوجته . . يعود الى مصر
وفى نيته ان يطلق زوجته . . ؟ ولكن هذا ما يقوله
أولاد الحلال ! ؟
وسألته :
- ومن الذى طلق زوجته ؟ . . انت ! ؟
قال : نعم . .
ولأول مرة منذ عرفت أحمد حسنين . . رأيت فى
عينيه دمعة حائرة تترقرق . .
وبعد لحظات استرد هدوءه ، واستأنف حديثه ،
وقص على كثيرا من التفاصيل التى ذكرت بعضها فيما
تقدم ، ومنها انه لما قدم لزوجته لطفية هدية « طقم
الياقوت » رمت بها الى الارض وصاحت فى وجهه
قائلة :
- جايب لى هدية من نازلى ؟ أنا عارفه انك فقير . .
يبقى مين اللى دفع الثمن واشتراها ؟ . . لازم نازلى !

عايزة تشترينى وتشتري مسكوتى ؟ . . والا انت عايز
تعمينى بالهديه وتفهمنى انك لسه بتحبينى ؟ . .
ومشهد آخر من مشاهد الفيرة المجنونة . .

وقال حسنين بين ما قاله :

- كتر خيره مراد باشا عمل الواجب وزيادة ! . .
قالها بسخرية ومرارة . .

وفهمت منه ان مراد محسن باشا والروايات
والحكايات التى نقلها من « فيشى » الى مصر وحرص
على ان يرويها امام اصدقاء وصديقات لطيفة لكن
تبلغها . . هذه الحكايات والروايات هى التى « شعلت »
النار واخرجت لطيفة عن صوابها فانطلق لسانها بالسب
والظعن والقذف فى حق الملكة . . والملك . .

ولقد قلت فيما سبق ان مراد محسن باشا كان
ينافس حسنين على مركز الرجل الاول فى القصر . .
وكان حسنين يعرف هذا . . وكان بين الرجلين منافسة
وغيرة فى اكثر من ميدان واحد . .

ومن هنا كان طبيعيا ان يعتقد حسنين ان مراد
محسن قد عمل عامدا متعمدا على « شعلة » النار فى
صدر زوجته لطيفة . .

وكانت آخر عبارة قالها فى هذا الموضوع ، وعلى
شفتيه ابتسامة باهتة . . قال :

- وكان الرسول فى مفاوضات الطلاق بينى وبين
لطيفة هو الاستاذ ابراهيم رشيد . .

والاستاذ ابراهيم رشيد المحامى هو صهر المرحوم
مراد محسن باشا . .

وهكذا . . طلق حسنين باشا زوجته السيدة لطيفة
ابنة الاميرة شويكار وسيف الله يسرى باشا . . طلقها

والدموع في عينيه .. بعد أن أطلقت لسانها وقذفت في حق الملك والملكة .. أو - على حد قوله رحمه الله - عابت في ذوات ملوك ثلاثة ..

ثم رفضت أن تنكر التهمة وتنفي ما نسب إليها .. ورفضت أن تعتذر ..

ورأى حسنين أنه أصبح في وضع صعب ، بل مستحيل .. وأنه لا يمكنه أن يحتفظ بزوجته ويحتفظ معها في نفس الوقت بمنصبه في القصر ..

أما الزوجة ، وأما الوظيفة والمنصب وما اليهما من جاه وسلطان .. ولقد اختار الوظيفة ..

والذين يعرفون حسنين وظروفه لا يستطيعون أن يقسوا عليه بسبب هذا الاختيار ..

ماذا كان يفعل لو أنه آثر الاحتفاظ بزوجته وأم أولاده وضحي بالوظيفة والمنصب ؟

كيف يعيش ؟ ومن أين ينفق ؟ لقد كان حسنين طوال عمره فقيراً ، بل ومديناً لا يملك سوى مرتبه من وظيفته .. وكان جزء من مرتبه يذهب في سداد الديون

وكانت زوجته السيدة لطفية فقيرة مثله الآن أمها

الأميرة شويكار لم تكن قد ورثت بعد ملايين شقيقها الأمير سيف الدين ، بل الذي أعرفه أن الأميرة شويكار

كانت في ذلك الوقت فقيرة تعيش على الإعانة أو المرتب الشهري الذي يدفع لها بوصفها إحدى أميرات البيت

المالك .. وكانت كثيراً ما تلجأ إلى الحكومة تطلب منها النجدة العاجلة في أزمة مالية طارئة .. ولقد رأيتها في

محطة باريس في ربيع نفس العام ١٩٣٧ ، وقد جاءت هي وزوجها الهامي حسين ليودعا النحاس « باشا »

والسيدة حرمه عند سفرهما .. ورأيت شويكار الأميرة حفيدة محمد علي تنحنى فوق يد مصطفى النحاس ..

وفوق يد السيدة حرمة مودعة محيية ! ذلك لأنها -
كما سمعت يومئذ - كانت في حاجة ملحة الى معونة
مالية سريعة من الحكومة . . وكان حسنين بعد هذا أو
ذاك قد اعتاد الحياة السهلة حياة الترف والدعة في
القصور الملكية وهي التي كانت من حقه بحكم منصبه
في القصر . . فكيف يتخلى عنها أو ينسحب ويستقيل
منها ليواجه المستقبل المجهول وهو الفقير الفارق في
الديون ! !

ولقد تساءل بعض أصدقاء حسنين - وأنا منهم -
لماذا لم يذهب حسنين الى فاروق ويطلب - أو بلفة
العهد - « يلتمس » منه اعادته الى السلك السياسي
الذي كان نقل منه الى منصبه في السراى في عهد الملك
قواد ! . . وكانت درجته ومرتبته يؤهلانه يومئذ لمنصب
وزير مفوض من الدرجة الاولى ! . .
وهكذا يخرج حسنين من مصر ، وتخرج معه زوجته
لطيفة المفضوب عليها ! . .

وإذن لاستطاع حسنين أن يحتفظ بزواجه وأن
يحتفظ معها بوظيفته ومصدر رزقه الوحيد !
ولكن هل كانت الملكة نازلى ، وابنها الملك فاروق
يرضيان بهذا الحل أو يكتفيان بهذه الترضية . . وهي
إبعاد السيدة لطيفة عن مصر ! . .
ربما كان فاروق قد قبل . . أما نازلى فمن المؤكد
قطعا انها كانت ترفض . . ولا أقل من الطلاق . .

والى هنا وقد حاولت أن أنصف حسنين . . وأسجل
ما كان لفقره وديونه من وزن وأثر في قراره . .
ولكننى مطالب كذلك بإنصاف الحقيقة والمنطق . .
والحقيقة تقول ان حسنين كان ذا مطامع واسعة ، وانه
كان رسم سياسة لتحقيقها ، وان من أسس هذه

السياسة بقاءه في القصر الى جانب صاحب العرش .. وسيطرته في نفس الوقت على الملكة أم الملك وصاحبة النفوذ والاحترام يومئذ عند ابنها الملك .. كيف اذن يغادر مصر ، والقصر والملك والملكة ويرضى أن يذهب الى الخارج سفيرا أو وزيرا مفوضا لبلاده ؟ ..

وهو الذي كان حريصا من أجل تحقيق مطامعه على البقاء في مصر وفي القصر بالذات حيث يسهل عليه وضع أصبعه في أي وقت على نبض الحوادث ومتابعة سير الامور وانتهاز الفرص كلما لاحت فرصة سانحة ؟ !

هذا كله .. تقوله الحقيقة .. وهنا يقول المنطق أن حسنين نفسه كان يرفض مغادرة مصر والقصر الى الخارج لو أن اقتراحا بهذا المعنى كان عرض عليه ! وهكذا .. وكيفما قلبت الامر على أي وجه فانك تصل الى هذه النتيجة وهي ان حسنين لم يكن أمامه سوى أن يطلق زوجته ..

وقد فعل وفي حلقه غصة وفي عينيه دموع حائرة ! لقد كان يحب زوجته شريكة حياته وأم أولاده .. ولكن حبه لمطامعه كان أكبر وأعمق .. ولقد كان حسنين - كما سبق أن قلت - يلبي دائما نداء العقل ويصم أذنيه عن صراخ القلب والعاطفة مهما كانت الظروف .. وكان عقله حليف مطامعه ..

وانتقل الآن الى مشهد جديد في هذه المسرحية .. الآن وقد طلق زوجته .. وأصبح حرا طليقا .. هل تراه ذهب واخذ الملكة نازلي بين ذراعيه .. أو تركها تأخذه بين ذراعيها ؟

لم تكن هذه سياسة أحمد حسنين .. حسنين العالم العليم بطبائع النساء ، وخصوصا من تجاوزت منهن مثل

الملكة نازلى سن الشباب .. ومن كانت لها - مثل
نازلى - أهواء ونزوات !.. جارية رقيقة أسيرة هوى
فى المساء وملكة مستعلية متكبرة فى الصباح ..

تعنصر الثمرة .. وتلفظ نواها .. وترشف الخمر ..
وتكسر القدح .. امرأة تسير على هواها .. وهواها
ألا تحفظ عهد هوى ..

وكان حسنين يعرف هذا ويقيم له كل وزن فى خطفه
وحسابه ..

وهنا أترك الحديث لمراد محسن باشا ناظر الخاصة
الملكية وتقريراً للواقع أحب أن أقول أن حديث المرحوم
مراد باشا لم يكن معى ، بل كان مع شخص موثوق به
ولست فى حل من ذكر اسمه لأنه لا يريد أن يذكر
اسمه فى هذه القصة ..

تحدث مراد محسن باشا فى يوم الجمعة ٥ يولية عام
١٩٤٠ الى الشخص الموثوق به المذكور وعاد بحديثه
نحو ثلاث سنوات الى الوراء .. وهذا الحديث مسجل
مكتوب - حرفاً بحرف - كما أفضى به صاحبه
قال مراد محسن باشا :

- ان حسنين باشا أخطر رجل فى مصر ، وهو ممثـل
يجيد التمثيل خيراً من يوسف وهبى ، وأنا لا أنسى يوم
جاءتنى الملكة نازلى تقول : انها تحب حسنين ولا
تستطيع الحياة بدونه ، وانها تعسة لأن حسنين صارحها
بأنه لا يستطيع أن يقربها لأنه لا يحب الحرام .. ثم قالت
الملكة نازلى انها كانت أوفدت الى حسنين أحدى
وصيفاتها لتسأله عن سر بروده مع صاحبة الجلالة ؟ ..
فقال لها : انه يتعذب وانه يمسك بعواطفه لأنه يحبها
- أى يحب الملكة نازلى - ولكنه لا يستطيع أن يفعل

شيئا يفضب الله .. وانطلقت الملكة نازلي في شكواها
لمراد محسن باشا تقول :
- يعنى اعمل ايه انا ؟ .. لا هو يسمح لى ان اعرف
رجلا سواه .. ولا هو يريد ان « يأخذنى ! » لا اعوز
برحم ولا يخلى رحمة ربنا تنزل ! « واستغفر الله للمرأة
الآثمة » ..



ومضى مراد محسن باشا في حديثه يقول :
- ولقد دهشت من هذا التصرف من حسنين ، فانا
اعرفه جيدا واعرف انه في حياته الخاصة وسلوكه
الشخصى ليس شيخ الازهر ! ولكن حسنين كان يمثل
دورا .. وكانت النتيجة ان ازداد وجد الملكة نازلي
وتضامف هواها وحبها له واصبحت تعتقد انه رجل
غريب .. رجل يجد ملكة بين يديه ويرفض ان يقربها !
وذات يوم قالت له :
- انا اعطيك اندارا نهائيا ، اما ان تعاملنى كامرأة ،
واما ساقطع كل علاقة بيننا واصبح حرة افعل ما اشاء
وأجاب حسنين - وهو يتظاهر بالبكاء - انه لا يستطيع
ان يقربها الا اذا تزوجها على شرع الله وسنة رسوله ..
ثم أسرع يقول :
- وغير معقول ان اتزوج الملكة ..
وهنا صاحت الملكة نازلي :
- طظ في لقب الملكة !
ولكن حسنين قال :
- معنى هذا ان جلالة الملك سيطردنى وأنا أفقر من
ان أستطيع العيش على معاشى لأن الديون تأخذ جانبا
كبيرا منه ..
قالت الملكة نازلي :

— أنا مستعدة لأن أضع ثروتى كلها بين يديك ..
قال :

— ولكننى لا أستطيع أن أعيش على حساب زوجتى
وسوف أشعر بمرارة أنك دفعت لى ثمن هذا الزواج ..
وصاحت هى :

— يعنى عايزنى اعمل ايه ؟ زوجة .. لا ! .. رفيقة
لا ! .. عاوزنى أبقى ايه ؟ ! ..
قال حسنين :

— عاوز ملكة ! ..
قالت :

— يعنى قطعة جماد ! .. طوب .. حجارة ! .. لا
ياسيدى .. أنا بنى آدم .. أنا دم ولحم .. أنا امرأة ،
أنا حرمت كل حياتى من الحياة .. عاوزه أعيش ..
سيبنى أعيش ..
قال حسنين :

— أنا خايف على سمعتك وسمعة السراى ،
لتركتك تفعلين ما تشائين ..

وهنا انفجرت قائلة :

— طيب ! .. سأبهدل سمعة السراى ! .. أنا أخذت
ايه من السرايات .. غير المرض والبيوس والشقاء ! ..
أنا عشت تمتاشر سنة فى ثلاجة ..

ولكن حسنين أصر أمامها على انه يخشى الله ولا
يستطيع أن يفعل شيئاً يفضب الله ! ..

وهنا قالت الملكة نازلى :

— اذن سأذهب الى فاروق وأقول له اننى سأزوجك
قال حسنين :

— الذهبى .. ولكنكه سرفص ..

ومضى مراد محسن باشا في حديثه يقول :
- ذهبت الملكة نازلى فعلا الى الملك فاروق ..
وكانت مقابلة عاصفة !.. فقد قالت لابنها انها تحب
حسنيين باشا وتريد ان تتزوجه ..
وقال فاروق :

- رافقيه احسن !..
قالت : انه يرفض ان يكون عشيق الملكة !..
قال صاحب الجلالة :
- سأصدر اليه أمرا ملكيا بذلك !
ولعل فاروق كان يسخر من أمه !



وعلى كل حال فانه لم يفتح حسنيين في هذا الموضوع
وكان طبيعيا ان اعتقد ان الملك سوف يغضب ويحقد
على حسنيين ويطرده من السراى ، ولكن شيئا من هذا
لم يحدث .. ولعل جلالته آمن باخلاص حسنيين باشا
وان هذا الاخلاص هو الذى يحول بينه وبين ان تكون
له بالملكة علاقة غير شريفة !

وكان الملك لا يزال يثق في حسنيين وفي اخلاصه ..
فقد حدث أيام كان الملك وأمه الملكة نازلى في لندن ان
أرادت الملكة ان تذهب الى ناد ليلى معين لترقص فيه
فذهب اليها حسنيين وقال لها : « اذا رقصت في هذا
النادى فسوف أضعك هنا في مستشفى المجاذيب » ..
وذهبت الملكة نازلى تشكو حسنيين الى فاروق وتهديده
اياها .. ولكن الملك فاروق لم يفعل شيئا ولم يقل شيئا
لحسنيين .. وهذا هو الامر العجيب الذى يحيرنى ! ؟
ثم قال مراد محسن باشا :

- ومع ذلك فأنا أعرف - أكيدا - ان الملك يكره
حسنيين في قرارة نفسه ، ولكنك - كما يظهر ويبدو من

تصرفاته - يخافه ويتقى شره !.. وحسنين يعرف ذلك
ومن هنا يعمل من جانبه على اتقاء بطش الملك به عن
طريق السيطرة التامة على أم الملك .. الملكة نازلى ا
وذات يوم جاءتني الملكة نازلى تقول : انها قررت
ان تهب حسنين باشا خمسمائة فدان ، وطلبت منى ،
بصفتى ناظر الخاصة ووكيلا عنها ، ان أعد العقود
الخاصة بهذه الهبة ونقل الملكية ، وحاولت ان أراجعها
في قرارها ، ولكنها أصرت عليه .. وهنا ذهبت الى
الملك فاروق وأبلغته الخبر ، فثار وهاج وقال لى :
- ان هذه الخمسمائة فدان بتاعتى أنا .. لأننى أنا
الذى أرث الملكة ..

ولكنه لم يفعل شيئا ولم يحدث أمه أو حسنين فى
هذا الموضوع ، واكتفى بأن طلب منى أن أذهب الى
« رفعة » شريف صبرى باشا شقيق الملكة وأروى له
الحكاية .. وذهبت الى شريف باشا وقلت له : ان جلالة
الملكة تريد أن تهب حسنين باشا خمسمائة فدان ..

ولكن شريف صبرى لم يفعل شيئا .. وبينما أنا
فى حيرة ماذا أفعل ؟ اتصل بى حسنين باشا ليقول لى
انه يرفض هذه الخمسمائة فدان ..

وبعده بقليل ، اتصلت بى الملكة نازلى وقالت : ان
حسنيين باشا شتمها وقال لها : « انتى عاوزه تهزئينى
أمام رجال السراى ؟ انتى عاوزه تنتقمى منى ؟ كيف
تتصورين أن آخذ منك أنا فدادين ؟ انتى امرأة مجنونة ! »

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه يقول :
- وهكذا استطاع حسنين باشا برفضه هذه الهبة
الكبيرة أن يزيد فى قوته ومقامه فى عين الملكة نازلى ،
وأن يشعرها أنه من الانبياء والقديسين لا تمكن رشوته

وأنا أعتقد أن سياسته أو هدفه الذي كان يسعى إليه في آخر الأمر هو أن يحمل الملك فاروق على أن يرجوه بنفسه أن يتزوج أمه الملكة نازلي زواجا عرفيا . . . وعندئذ ينحني أمام رغبة « مولانا » ويصدع بالأمر بحجة أنه إنما يخدم الملك والأسرة بهذا الزواج ! ! وأما إذا رفض أن يكون عشيقا للملكة نازلي ، فربما خوفا من بطش الملك . . . أو ربما لأنه كان يعرف حق المعرفة أنه لو رضى أن يكون عشيقا للملكة لزهدت فيه بعد شهر واحد أو شهرين وتخلصت منه وتركته . . . ومن هذا رسم لنفسه هذه السياسة . . . سياسة التعالي والخوف والبعد عن كل ما يفضب الله . . . وهكذا . . . يضمن أن يبقى الملكة نازلي ملهوفة عليه والهة ويضمن بواسطتها نفوذه عند الملك وبقاء السلطة طول حياته في يده . . . ولكني لا أعرف . . . هل يستطيع حسنين أن يستمر طوال حياته في تمثيل هذا الدور ، ولعب البهلوان ، والمشي على السلك المشدود ، أم أنه سسيقع يوما وتندق رقبتة . . .

قال مراد محسن باشا . . .

— وكان الملك فاروق يفضب أحيانا ويستبد به الفضب ويثور بسبب حب أمه الملكة نازلي لحسين ، هذا الحب المفضوح الذي أصبح حديث جميع من في القصر . . . بل حديث أعضاء الأسرة المالكة . . . كان يثور ويقسم أنه سوف يضرب حسين بالرصاص . . . ولكنني كنت أدخل عليه مكتبه في اليوم التالي فأجده جالسا يمزح ويضحك مع حسين . . .

وحدث مرة في العام الماضي — أي عام ١٩٣٩ — أن تلقى جلالة الملك تقريرا جاء فيه : أن جلالة الملكة

نازلى تسهر الى الصباح عند حسنين ، وقرر الملك أن يضبطهما معا متلبسين وأخذ معه خادمه الارناؤوطى محمد عبد الله وذهب الى بيت حسنين باشا وترك سيارته بعيدا عن الدار .. ثم دخل البيت من احدى النوافذ وعرف ان الملكة وحسنين فى الدور العلوى .. واعتقد انهما فى غرفة النوم ! .. وصعد السلم على أطراف أصابعه .. وهو يضع دائما فى قدميه حذاء ذا نعل من « الكاوتش » لا يحدث صوتا .. وتسلسل الى غرفة النوم .. وفتح بابها فوجدها خالية .. وفتح الغرفة التى بجوارها فرأى منظرا أذهله ! ؟ رأى حسنين باشا جالسا على الارض وأمامه الملكة نازلى جالسة كما تجلس التلميذة أمام أستاذها .. وكان حسنين يتلو عليها آى الذكر الحكيم من مصحف بين يديه !

وذهل الملك من هول المفاجأة .. فلم يجد شيئا يقوله .. وأغلق عليهما الباب وغادر الدار ! .. ومضى مراد محسن باشا فى حديثه فقال :

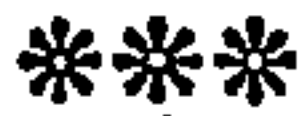
— وعندما سمعت هذه القصة من الملك ازداد اعتقادى بأن هذا الرجل — يقصد حسنين باشا — بهلوان ! والا فكيف استطاع أن يمثل دور الرجل الصوفى المتدين مع الملكة نازلى .. وأن يحملها على الجلوس أمامه تصفى الى تلاوته للقرآن وهى التى لا تكاد تجلس فى مكان ما دقائق معدودات حتى تهب واقفة وهى تصيح : « أنا اختنق هنا ! .. تعالوا نبحث عن سهرة نرقص فيها ! » ..
ثم قال :

— ان جلالة الملك يعتقد ان حسنين هو الرجل الوحيد الذى تخافه الملكة وتطيعه .. والرجل الوحيد القادر على ترويض الملكة باعتباره مروض وحوش أو انه اذا

خرج حسنين من القصر فان الملكة نازلى سوف تنفجر وتترك هى أيضا السراى . . و «تمشى على حل شعرها» ! ولكننى لست من هذا الراى ، بل أعتقد ان حسنين هو الذى يضى على نفسه كل هذه الاهمية . . بحركاته وتمثيله وبهلوانيته والا فما الذى تستطيع ان تفعله الملكة نازلى اذا وضعها الملك فى قصر وأغلقه عليها ؟ . . ولكن الملك يرفض المناقشة فى هذا الموضوع . . وهو كلما يسمع أن الملكة تريد أن ترتكب حماقة صاح : « الحقونى بحسنين » ! ؟



انتهى حديث المرحوم مراد محسن باشا . . وقد برهنت حوادث الايام والسنوات التالية على انه - رحمه الله - كان مخطئا فى رايه وفى التهوين من شأن أحمد حسنين لأنه لم يكد حسنين يلقى حتفه ويوارى فى التراب حتى انطلقت نازلى « على حل شعرها » . .



تدلتهت ملكة مصر وتهتكت فى حب حسنين ، ولم تخجل من أن تعلن حبها له أمام رجال القصر . . ثم أمام ابنها الملك فاروق . . تنسى مقامها كملكة ، وأرملة ملك وأم ملك ! ونسيت حرمة سننها وقد جاوزت الاربعين ! وكانت الصدمة النفسية قاسية عنيفة على فاروق الذى كان يومئذ فى الثامنة عشرة من عمره . . ميلادية ! أو التاسعة عشرة هجرية ! . .

وكان فاروق يحب أمه . . ولم يكن يفوق حبه سوى احترامه لها . . كانت تناديه أماما وأمام رجال الحاشية وخدم الفنادق « فاروق » . . وكان هو يخاطبها أو ينادىها دائما « ماجستيه » أى صاحبة الجلالة ! وكان يخشاها ويتقى غضبها ويعمل لها حسابا . .

وكانت كلمتها عنده لا ترد ..
كثيرا ما سمعتها - أثناء رحلتنا الى سويسرا وفرنسا
وانجلترا - سمعتها تنهأ امامنا علنا عن قيادة سيارته
بنفسه .. أو تنهره وتطلب منه ان يترك سيارته ويركب
معها في سيارتها لأنها كانت تخاف عليه من تهوره في
قيادة السيارات بسرعة جنونية ..
وكان يخضع دائما ويطيعها .. ولا يرى غضاضة أو
بأسا - وهو الملك - في أن ينزل على ارادتها مثل أى
طفل صغير !

هكذا كان مقدار حب فاروق واحترامه لأمه نازلى ..
ثم ما هى ذى تتدله وتتهتك فى حب موظف من موظفى
القصر .. وتذهب تشكو حبها لناظر الخاصة ولا تخجل
من أن تعلن أمام موظفى القصر انها عاشقة ملهوفة على
أحمد حسنين .. بل ولا تخجل من أن تصارحه هو -
ابنها الملك - بأنها تحب هذا الموظف أحمد حسنين ..
وانها قدمت نفسها وجسمها ، ولكنه يرفض ! .. ثم
تصرخ وتصيح : انها من لحم ودم ! .. وتطلب من ابنها
ان يزوجه من حسنين !

كانت الصدمة النفسية قاسية عنيفة .. على فاروق
وتهاوت المثل العليا التى كان يراها فى أمه - صاحبة
الجلالة - لهاوت وتحطمت تحت قدميه .. وكان كما
- أسلفت - لا يزال فى سن الثامنة عشرة ! ..
وكانت مثل عليا أخرى قد أخذت تتهاوى وتتحطم
فى نفس الوقت تحت أقدام فاروق ..

زعماء البلاد الكبار وشيوخها الكبار وساستها
الكبار .. رأهم فاروق واحدا بعد واحد ، ينحنون
فوق يده ويقبلونها وينسحبون من « حضرته الملكية
العلية » وهم يمشون بظهورهم الى الوراء ..

وسمعهم واحدا بعد واحد ، يقولون له : انهم جاءوا
ليلتمسوا منه « توجيهاته السامية وارشاداته الغالية »
وقرا لهم جميعا في الصحف تصريحات أفضوا بها ،
وقالوا فيها : انهم « تشرقوا بمقابله ليتلقوا نصائحه
الغالية وارشاداته الحكيمة » ..

ولم يكن فاروق غيبا .. كلا .. فقد كان يعرف انه
لم ينل من العلم الا قليلا .. وانه جاهل او نصف أمة ..
وان تشدق هؤلاء الساسة والزعماء الكبار بحكمته
ونصائحه ليس سوى نفاق ورياء .. وان كل ما يسعون
اليه هو الحكم وكراسى الحكم ! ..
وهكذا ! .. المثل العليا .. فى أمه .. وفى رجال مصر
تهاوت وتحطمت .. ودخلت المرارة فى نفس الفتى ابن
الثامنة عشرة ..

ومع المرارة والسخرية والاستهتار بالمثل العليا -
وأين هى ؟ - وبالمبادئ والقيم والاخلاق .. وبكل ما
فى هذه الدنيا من نبل وعلاء ..

لم يجدها فاروق فى أمه .. ولم يجدها فى رجال
دولته .. لا فى الساسة ولا فى الزعماء .. ! ؟
وانطلق فاروق يسخر ويهزأ بكل شىء .. ويدوس
بقدمه كل مقدسات هذا البلد ..

ولقد كنت كتبت مقالا مطولا فى هذا المعنى فى أعقاب
الثورة ، وبعد خلع فاروق فى صيف عام ١٩٥٢ ، وكان
عنوان المقال : « مأساة الملك فاروق » ..
وعدت اليوم الى نفس المعنى أو الموضوع ، لكى أقرر
هذه الحقيقة مرة أخرى ..

وهى أن هذه القصة أو هذه الفضيحة - فضيحة
نازلى وتهتكها - كانت من العوامل الرئيسية التى حولت
فاروق من ملك محبوب مأمول الى طاغية ، وفاجر ،

ومستهتر . . أو مخلوق بلا أخلاق ولا مبادئ ولا مثل
عليها وان شئت فقل : « حيوان في رسم انسان » . .

وأعود الى سياق الحديث أو القصة :

انتهت نازلي ملكة مصر الى هذه النتيجة ، وهي
ان حسنين يرفض أن يعاملها كامرأة ، ويتخذها عشيقه
لأنه - كما قال لها ولوصيفتها - يخاف الله ، ولا يستطيع
أن يقربها الا على شرع الله وسنة رسوله . . ثم هو
لا يستطيع أن يتزوجها خوفا من أن يطرده الملك فاروق
وهو - أي حسنين - رجل فقير لا يملك سوى مرتبه
الذي يناله من وظيفته . .
اذن ماذا ؟

كان حسنين في الواقع يرمى من وراء هذا الدور
الذي مثله بمهارة عجيبة - كان يرمى وكما قال المرحوم
مراد محسن باشا - الى أن يحمل الملك فاروق على أن
يستدعيه ويأمره أو يرجوه أن يتزوج امه الملكة نازلي !
واذن . . يصدع حسنين بأمر «مولانا الملك» ويتزوج
من جلالة الملكة !

كان هذا هو الهدف الذي يسعى اليه حسنين ، ولم
يكن تحقيقه مستحيلا أو صعب المناسل ، لأن حسنين
باشا - رحمه الله - كان قد أفلح في اقناع فاروق -
بطريق غير مباشر - بأنه - أي حسنين - الرجل الوحيد
في مصر ، أو في القصر ، القادر على كبح جماح الملكة
نازلي . . وانها لولاه ولولا نفوذه عليها « لخرجت على
حل شعرها » وتركت السراى وانطلقت على هواها !

هذا ما كان يعتقد فاروق كما قرر مراد محسن
باشا . . ولهذا لم يكن أمرا مستحيلا أن يطرح فاروق
عواطفه ويصفي لحكم العقل والحكمة ويطلب من حسنين

أن يتزوج جلالة الملكة !
ولكن فاروق لم يفعل .. وحسنين لم يتراجع أو
يتزحزح عن موقفه .. اذن ماذا ؟ .. ماذا تفعل الملكة
التي تريد أن تعامل كامرأة .. من لحم ودم ؟

هزت نازلى كتفيها في وجه حسنين ، وشقت عصا
الطاعة .. وانطلقت تغازل وتمرح وتسهر وتشرب وترقص
مع من يعجبها من شبان .. ووقع اختيارها أول ما وقع
على تشريفاتي بالقصر كان ملحقا بحاشيتها ..

وبدأت الاشاعات والحكايات تخرج من القصر ودوائر
القصر الى الاندية والقصور ..

الملكة نازلى « ماشيه » مع « ح. التشريفاتي » ! الملكة
نازلى أمضت ليلة أمس في الزمالك في شقة فلان صديق
« ح » الذي كان موجودا .. الى آخره .. الى آخره !

لعل أحمد حسنين يفار ويفضب ويثور ، ويعاتبها
وينتهى الأمر بتسوية !

ولكن أحمد حسنين عرف كيف يصبر ويسكت ..
بل ويتسم رثاء لها اذا ما قابلها في احدى حفلات
السراى !

وكان فاروق هو الذي غضب وثار ، وكان لسان حاله
يقول : « لم يبق الا التشريفاتية وصفار الموظفين » !
تقرن أسماءهم باسم أمه الملكة .. وتروى عنهم وعنهما
قصاص الغزل والمرح والسهرات والشراب ! ؟

وقابل فاروق ذات صباح التشريفاتي المذكور « ح »
في احدى ردهات القصر ، فاستوقفه وصاح فيه :

.. حضرتك عامل ايه في حواجبك ؟ .. ناتف شعرها
زي الستات .. وكم ان يظهر أنك بتحط بودرة واحمر ؟
وأصدر أمرا ملكيا بنقل التشريفاتي الى احدى

وظائف وزارة الخارجية ..
وخشى الرجل عاقبة لهوه مع الملكة نازلى ، فانقطع
عنها .. ولعل حظه الحسن هو الذى جر عليه غضب
فاروق لأنه لم يلبث أن استقال من خدمة الحكومة ،
واشتغل بالاعمال الحرة وأثرى وأصبح من كبار رجال
الاعمال والشركات ..

ورأت الملكة نازلى ان ابنها فاروق يضيق عليها
الخنناق ، وان حسنين مصر على موقفه منها .. فهزت
اكتافها مرة أخرى وسافرت الى أوروبا ..

ومرت شهور الصيف ومن بعده الخريف ، واقترب
موعد سفرى الى أوروبا ، فقد كنت اعتدت أن أمضى
فصل الشتاء فى سويسرا .. وقرأت فى الصحف ان
جلالة الملكة نازلى تزمع العودة من رحلتها فى أوروبا
الى مصر ، وانها تغادر ميناء مرسيليا فى يوم « كذا »
فتصل الاسكندرية فى يوم « كيت » من شهر نوفمبر ..

وركبت انا الباخرة من ميناء بورسعيد فى مساء ٧
نوفمبر .. وقدرت انى سوف أصل الى مرسيليا فى
نفس اليوم الذى تصل فيه الملكة نازلى الى الاسكندرية
ومن مرسيليا أخذت القطار الى باريس ، فوصلتها
بعد منتصف الليل .. وذهبت الى الفندق الذى كنت
اعتدت النزول فيه وهو فندق جورج سانك ، او جورج
الخامس ..

ورأيت علم مصر الأخضر يرفرف على الباب الرئيسى
للفندق ، وعجبت .. ترى من يكون الزائر المصرى الكبير
المقيم بالفندق والذى يرفع الفندق علم مصر تكريما له ؟
وسألت موظف الفندق - وأنا أسجل اسمى فى

الدفتر - فقال :

- جلالة ملكة مصر !

اذن فالملكة نازلى لا تزال فى باريس .. وصحف
مصر كانت مخطئة فى نشر خبر عودتها ؟

كذلك لم اكن اعرف ان جلالتها تنزل فى فندق جورج
الخامس لأنها سبق لها ان زارت باريس مع ابنها ، ثم
وحدها وأقامت مرة بفندق ده كريون ، ومرة بفندق
ريتز ، والمرة الثالثة والاخيرة بفندق بلاتزا اتنيه ..
وها هى ذى فى فندق جورج الخامس ..

ولو عرفت .. لكنت ذهبت الى فندق آخر، وذلك
لأن العلاقات يومئذ بين فاروق والوفد كانت سيئة
للفاية .. وكنت وفديا ومجلى « آخر ساعة » وفدية
وكان فاروق غاضبا على ..

وكنت حريصا فى تلك الايام على ان اتحاشى القصر
والذين فى القصر وكل احد له علاقة بالقصر أو فاروق
وهأنذا أنزل فى نفس الفندق الذى تقيم فيه أم
فاروق وأفراد حاشيتها !

وفى مساء اليوم التالى - وكنت جالسا فى احد
صالونات الفندق - دخل تشرىفاتى الملكة. نازلى محمود
أسعد بك ومعه زوجته السيدة فتحية أبو اصبع ..
ولحق بهما بعد قليل الاستاذ حسنى نجيب وزوجته
السيدة نائلة سلطان ..

وتبادلنا التحية .. واذ نحن نتحدث اقبل من يعلن
نزول جلالة الملكة .. من جناحها الخاص ..
ووقف الجميع ودعونى للذهاب معهم لقضاء السهرة
ولكنى اعتسدت من عدم الذهاب بحجة التعب ..
وأسرعوا بالخروج ليلحقوا بجلالة الملكة ولم أر وجه

الملكة نازلى . . ولقد حرصت بعدئذ على عدم الجلوس
في صالونات حتى لا أقابلها أو أقابل أحدا من أفراد
حاشيتها . . وكنت أغادر الفندق في الصباح . . وأعود
في المساء الى غرفتي مباشرة . .

وهكذا أمضيت نحو أسبوعين في باريس ، ثم سافرت
الى زيوريخ فأقمت فيها بضعة أيام ومنها الى سان
موريتز . .

ووجدت فيها خطابا من مصطفى أمين ، وكان الخطاب
محولا من فندق جورج الخامس . .

وفي الخطاب يقول مصطفى : ان النقراشى باشا -
رحمه الله - وكان يومئذ وزيرا للداخلية استدعاه الى
مكتبه وقال له : ان التابعى في باريس وقيم في فندق
جورج الخامس الذى تقيم فيه جلالة الملكة نازلى . .
وانه - أى النقراشى باشا - يطلب منى أن لا أثير متاعب
له ولنفسى . . ومن ثم يرجونى أن أغادر باريس على
الفور ، أو على الاقل أترك فندق جورج الخامس . .
الى فندق آخر . .

وهذه خلاصة الخطاب . . ويظهر - على الأرجح -
انه كان يوجد بين حاشية الملكة نازلى من كان يرسل
تقارير الى فاروق . . عن أمه الملكة وماذا تفعل ومن
تقابل ومع من تخرج . . الى آخره . .

وعرف فاروق اننى اقيم في نفس الفندق . . ولعله
خشى أن أعرف عن أمه وبسيرتها في باريس ما لا يصح
ان يعرفه أحد وخصوصا وأنا صحفى وفدى . . وكانت
الخصومة - كما قدمت - على أشد ما تكون وقتئذ بين
فاروق والوفد . .

خشى فاروق أن أطلع على أمور قد يستعملها الوفد
في دمايته ضده ، فطلب من النقراشى أن يعمل على

ابعدى عن باريس .. الى آخره ..
وهذا ما فهمته من خطاب الصديق مصطفى أمين ..
وعلى كل حال فقد كانت الاشاعات يومئذ في مصر
كثيرة .. ومنها مثلا ، اننى غادرت مصر الى أوروبا
منفيا بأمر من الملك فاروق .. ومنها كذلك ، ان
فاروق طلب من الوزارة تجريدى من الجنسية المصرية
الى آخره .. الى آخره ..

ولما عدت الى مصر وسمعت بهذه الاشاعات كتبت
عنها في مجلة « آخر ساعة » وسخرت منها ومن الذين
اختلفوها وأذاعوها ..

وكانت الملكة نازلى - كما عرفت وسبب سمعت في
سويسرا - قد زارت « فيينا » و « بودابست » ..
وفي « بودابست » عرفت شابا جميلا هو ابن الاميرال
هورتى الوصى يومئذ على عرش المجر .. وقد قتل بعد
ذلك في حادث طائرة في روسيا عام ١٩٤٣ ..
وطابت لها الإقامة في « بودابست » .. بعد أن وجدت
فيها الرجل الذى يرضى أن يعاملها كامرأة من لحم ودم !
ثم غادرتها الى باريس .. حيث وجدتها .. ثم عادت
جلالتها مرة أخرى الى بودابست ..
وأخيرا عادت الى مصر ولحق بها الشاب هورتى ،
وجاء مصر ونزل في فندق شبرد ..
وكانت حكايتها مكشوفة .. وأكثر من مكشوفة !
ومرة أخرى صاح فاروق : « الحقونى بحسنين » ! ..
وأصدر صاحب الجلالة أمره الملكى الى حسنين :
« أن يشوف له طريقة مع جلالة الملكة نازلى .. ويضع
حدا لحكايتها مع الشاب هورتى .. لأن الحكاية
أصبحت فضيحة مكشوفة » ..

وصدع حسنين بالامر . . ونزولا على ارادة « مولانا »
ذهب حسنين واسترضى الملكة نازلى وتصلح معها .
وبعد ايام من عقد الصلح احس الشاب هورتى ابن
الوصى على عرش المجر ان بقاءه فى القاهرة أصبح أمرا
غير مرغوب فيه من الملكة نازلى نفسها . . ومن سلطات
مصر العليا . . فغادر مصر عائدا الى بلاده !

واجتمع « الشمل » وكثرت الحفلات والسهرات التى
كان يقيمها اصدقاء الملكة نازلى أو اصدقاء حسنين . .
لكى يجتمع فيها الحبيبان : نازلى ، وأحمد حسنين
و ذات يوم ذهب الأمير محمد على الى القصر يشكو
لفاروق من تصرفات أمه الملكة نازلى وكيف ان سيرتها
مع حسنين باشا أصبحت على كل لسان !



وقد ورث فاروق عن ابيه الملك أحمد قواد كرهه
للأمير محمد على توفيق ونفوره منه . .
وكان أحمد قواد يعمل دائما على مضايقة ابن أخيه
الأمير محمد على . . وكان محمد على يلجأ الى « المندوب
السامى البريطانى » فى مصر أو الى السلطات البريطانية
العليا فى لندن لى تأخذ له حقوقه من عمه الملك أحمد
قواد . . ولكى توقفه عند حده وتأمره بالكف عن
مضايقة صديقها الأمير محمد على توفيق . .

روى المرحوم عبد العظيم راشد باشا وزير الاشغال
الاسبق فى مذكراته « التى لم تطبع ولم تنشر » - روى
فى مذكراته - ان اللورد لويد المندوب السامى البريطانى
قال له : انه ذهب مرة وقابل الملك قواد ووبخه بسبب
بعض تصرفاته مع الأمير محمد على ، وان الملك قواد
بكى ساعتئذ بكاء شديدا ، ثم قال لورد لويد :

— وماذا أستطيع أن أفعل مع ملك يبكى كلما وبخته
وذكرته بواجباته كملك ؟ !

كان الملك فؤاد يكره ابن أخيه محمد على توفيق ،
وقد ورث فاروق عنه هذه الكراهية . . .
وكان الأمير محمد على توفيق لا يكف عن انتقاد أسرة
عمه الملك فؤاد أفرادا وجماعات ، وكان يشهر بها
وبتصرفاتها في مجالس الأسرة . . .
وكان فاروق يعرف هذا . . .

حدث مرة أن أقيمت مأدبة كبيرة في قصر عابدين
وحضرها الأمير محمد على توفيق وكان جالسا الى يمين
الملك فاروق ، وأبدى « سموه الملكى » إعجابه بنقوش
وزينة سقف قاعة الطعام . . .
وهنا التفت اليه فاروق وقال وهو يغمز بعينه
للحاضرين من كبار رجال القصر :

— الحمد لله اللى وجدت عندنا حاجة تعجبك !
وفهم الأمير غمزة الملك . . . وابتسم الحاضرون . . .

وسمع الأمير محمد على توفيق بالحكايات التى تروى
عن الملكة نازلى وعلاقتها بحسنين باشا . . .
وكان طبيعيا أن ينتهز هذه الفرصة لكى يشهر
ويندد بتصرفات عائلة أحمد فؤاد . . .
وذهب « سموه الملكى » وقابل رئيس الديوان
« رفعة » على ماهر باشا وقال له إن سمعة الملكة نازلى
« زفت » بسبب علاقتها بحسنين . . . وطلب من السيد
على ماهر أبعاد أحمد حسنين عن السراى . . .

ولكن على ماهر « باشا » كان أحرص وأذكى من
أن يقحم نفسه فى مسألة شائكة كهذه ، ومن هنا لم يجد

الامير محمد على بدأ من أن يذهب ويقابل الملك فاروق نفسه ويشكو اليه أمه الملكة وكيف أن الناس تقول انها أصبحت عشيقة أمينه الاول أحمد محمد حسنين ! ؟ وقال فاروق :

- أنا سمعت الاشاعة .. وحققت فيها بنفسى وتأكدت انها غير صحيحة ..
ولكن الامير محمد على أصر على الاتهام ، وقال :
- أنا واثق ان بين حسنين والملكة نازلى علاقات غير شريفة ..

وسمع حسنين - رحمه الله - بهذه المقابلة وبالحدث الذى دار فيها ، فأرسل الى الامير محمد على يقول له :
- أنا آسف اذ أرانى مضطرا لأن أنسى انى موظف فى السراى وانك ولى العهد ، ولهذا ، فانى أدعوك للمبارزة كما يفعل أى رجل واترك لك حرية اختيار السلاح وشهودك ..

ولم يكذ الامير محمد على يتلقى رسالة حسنين حتى فزع واستنجد بالامير عمر طوسن ..
واتصل الامير عمر طوسن بحسنين باشا ، وسأله كيف يجوز للأمين الاول لجلالة الملك أن يبارز ابن عمه وولى عهده ؟

وقال حسنين : ان هذا الامر ليست له حقيقة سابقة فى « البرتوكول » .. ولكن لم يسبق كذلك لولى عهد أى بلد أن قال كلاما كاذبا فى حق رجل آخر دون أن يتحمل مسئوليته ..

ثم قال حسنين : انه رغبة فى عدم احراج أى أحد ، فقد رفع الى جلالة الملك الخطاب الآتى :
« لما كان ولى عهدك قد أهاننى ، ولما كنت لا أقبل

هذه الإهانة ، ولما كان وجودى فى خدمتك يقيدنى ،
فانى أقدم استقالتي من منصبى لكى أستطيع أن
أعامل ولى العهد معاملة رجل حر لرجل حر ..

وهنا قال الامير عمر طوسن :
- لكن ولى العهد يرفض المبارزة ..
وأجابه حسنين :

- فى هذه الحالة سوف أنتهز فرصة وجوده فى نادى
محمد على والطمه على وجهه وأعتبر الحادث منتهيا !

واتصل الامير عمر طوسن بالملك فاروق ورجاه أن
يتوسط فى الامر ، ولكن فاروق أجابه بأن حسنين قد
استقال من منصبه ولم يعد فى خدمته !

وكان فاروق يضحك ويريد أن يسخر من ابن عمه
محمد على توفيق ، ثم يرى الى أى مدى سوف يدفعه
جبنه وخوفه !

وعندئذ اتصل عمر طوسن بالامير محمد على ، وقال
له : ان حسنين مصمم على مبارزتك ، وهو قد استقال
من منصبه فى السراى ولم يعد فى خدمة الملك .. ولقد
وسطت الملك ، ولكنه اعتذر من عدم الوساطة لهذا
السبب ..

وهنا ركب الامير محمد على سيارته وقصد الى دار
حسينين باشا وكان - رحمه الله - يسكن وقتئذ فى
مصر الجديدة ..

ودخل سموه على حسنين باشا يقول انه جاء لكى
يقدم اعتذاره .. وقال حسنين : أن هذا لا يكفى ! ..
ويجب أن يذهب سموه ويقدم اعتذاره لجلالة الملكة
نازلى ..

وخرج الامير محمد على وذهب بسيارته الى قصر

القبة واستقبلته إحدى الوصيفات .. وقدم اعتذاره ؛
ورجا من الوصيفة أن تبلغ اعتذاره هذا لجلالة الملكة
نازلي مع التماسه مقابلتها ..
وعادت الوصيفة تقول : ان جلالة الملكة ترفض
مقابلته !

وازداد الامير محمد على رعبا وخوفا فعاد وزار
حسنين مرة أخرى ، وسأله أن يتوسط لدى الملكة نازلي
لكي ترضى بمقابلته ولكنها أصرت على الرفض ..

ثم حدث بعد ذلك أن تقابل مع الملكة نازلي عند
الاميرة نعمت مختار ، وانتهزت نازلي الفرصة لكي
تهزأ منه ، فقالت له :

— ان حسنين باشا ليس عشيقى — كما تقول — لا
لأننى لا أريد أن أكون عشيقة له ، بل لأنه هو يرفض
ان يكون عشيقا لى !

وراح صاحب السمو الملكى يعتذر، ويعتذر وينحني
امام الملكة نازلي ويردد عبارات الأسف والنادم
والاعتذار !

وكان من نتائج هذا الدرس الذى أهطاه اياه حسنين
باشا أن مكث الامير محمد على ستة أشهر لا يفتح فمه
بكلمة واحدة عن السراى وما يجرى فى السراى ، بل عن
أى شخص كبير ، أو صغير فى السراى !

كذلك كان — رحمه الله — كلما سمع حكاية أو كلمة
تروى أو يقال فى لى محمد على عن حسنين باشا ،
أسرع يبلغه اياها وكيف ان الوزير فلان يقول عنك —
أى عن حسنين — كذا .. وكذا .. وكيف ان التبيل
علان يقول كيت .. وكيت !

وذات يوم ذهب الامير محمد على وزار حسنين باشا

وقال له :

- لقد انتهزت فرصة مقابلتى أمس لجلالة الملك ،
وقلت له انك اشرف رجل فى مصر ، وان وجودك فى
السراى نعمة من الله !

وقال حسنين :

- كتر خير أفندينا !.. لقد خربت بيتى !

وانزعج أفندينا محمد على ، وقال :

- كيف خربت بيتك .. وأنا مدحت فيك ؟

قال حسنين :

- هذا بالضبط ما لا أريده .. لأن مدحك يضرنى

ويؤذنى !

وسأله الامير فى لهفة ماذا يفعل الآن لكى يصلح

خطأه ؟..

وقال له حسنين :

- اذهب الى الملك ، وقل له انك اكتشفت اننى رجل

خائن ويجب التخلص منى وطردي من السراى !..

واستعاذ الامير محمد على بالله من الشيطان الرجيم

وقال انه لا يستطيع أن يقول هذا ..

ولكن حسنين قال :

- اذا أردت حقيقة أن تنفعنى وتصلح خطيئتك ،

فاذهب للملك وقل له هذا ..

وعاد الامير وطلب مقابلة فاروق .. وقال له :

- لقد قلت لجلالتكم فى مقابلتى الاخيرة ان حسنين

مخلص ، ولكن جاءتنى بعد ذلك معلومات أكيدة تثبت

انه خائن وغير مخلص ..

وكان فاروق يستمع اليه وهو يكتفم ضحكة بصعوبة

لأن حسنين كان أطلعه أولاً بأول على كل ما دار بينه

وبين ولى العهد الامير محمد على توفيق ! ..
وخرج محمد على توفيق من مقابلة الملك ، وذهب
الى حسنين ، وقال له :
- لقد فعلت كل ما طلبته منى ..
ثم سكت قليلا قبل أن يقول :
- ولكنى لا أفهمك .. عندما أشتبك تدعونى الى
المبارزة .. وعندما أمدحك تقول انى خربت بيتك ..؟
قل لى : ماذا تريد ؟ ..

وجلس حسنين - رحمه الله - يروى هذه التفاصيل
فى يوم الاثنين ١٨ ابريل عام ١٩٤٠ ، ويعود بنا وبالذاكرة
الى حوادث عامى ١٩٣٧ و ١٩٣٨ ، ثم قال :

- ولم أجب طبعا على سؤال الامير محمد على وهو
ماذا أريد .. ولم أقل له ان كل ما كنت أريده هو ان
أسخر منه واكشفه امام الملك ، وامام امراء الاسرة ،
وكيف انه رجل لا اخلاق ولا قيمة له مطلقا وان «كلمة
توديه .. وكلمة تجيبه » ..

ومع ان الامراء كانوا جميعا يكرهون الامير محمد على
توفيق بسبب بخله الشديد وتزمته واستعلائه عليهم ،
الا ان الامير عمر طوسن انتهز مع ذلك اول فرصة ،
تقابل فيها مع حسنين باشا ، ليقول له : ان الامراء
زعلائين منه - أى من حسنين - اذ كيف يجرؤ مصرى
على أن يطلب أميرا ووليا للعهد للمبارزة ؟ !

اما فاروق فانه لم يذكر لحسين شيئا عن غضب
وزعل الامراء منه ..
وكان كل ما قاله له :

- الا تعرف يا حسنين ان القانون يحمى ولى العهد
وان ذاته مصونة لا تمس ؟ ..

وأجاب حسنين :

- أعرف هذا يامولانا .. ولكن عندما يشتم ولى العهد الناس ، فإنه بذلك يتنازل عن مركزه وحصانته ويصبح من حقى أن أرد عليه شتائمهم ، وأن أمامله كأي فرد مساو لى فى الحقوق !

والآن ، وقد لخصنا فى الفصول السابقة قصة الملكة نازلى ، وأحمد محمد حسنين خلال السنوات الثلاث التى تلت وفاة الملك أحمد قواد .. وعرضنا للحوادث والمناورات والتمثيلات التى تخللت فصول القصة .. والآن ، نصل بالقراء الى أوائل عام ١٩٤٠ ، وكان الموقف كما يأتى :

عرف الناس أن هناك شيئاً ما ، أو علاقة ما ، بين ملكة مصر نازلى وبين أحمد حسنين باشا ، وأصبحت هذه العلاقة موضوع حديث فى النوادى والمجتمعات ، والسهرات ..

أما الخاصة - دوائر القصر ، وأوساط الأسرة المالكة - فكانت تعرف أن نازلى هى التى تحب حسنين و « تجرى وراه » وتعرض نفسها عليه وتطلبه زوجها لها وتقدم له مئات الافدنة من أراضيتها هدية خالصة وأنه يرفض ويعرض عنها ويتأبى عليها ويستغفر الله ، ويعلن أنه رجل يكره الحرام ويخاف الله ولا يمكنه أن يقرب امرأة إلا على شرع الله وسنة الرسول !

وان الملكة نازلى ثارت وهددت .. ثم حاولت أن تثير الفيرة فى صدر حسنين ، ولسكنه لم يأبه ولم يتحرك وان الملك فاروق كان يفرع الى حسنين ويطلب منه النجدة فى كل مرة يخشى فيها أن تخرج أمه الملكة على العرف المسالوف ومقامها السامى كأملة ملك وأم ملك

وان حسنين يلبى نداء الملك ويسرع الى نازلى ويفلح في
تهديتها وكبح جماح أعصابها الثائرة ..

وان نازلى صارحت صاحب السمو الامير محمد على
ولى العهد بأنها عرضت نفسها عشيقة على حسنين ،
وان حسنين رفض ..

وان الامير محمد على آمن بنبل وشرف حسنين وان
وجوده في خدمة الملك وفي السراى نعمة من الله ..

وان فاروق نفسه حاول أن يجد شيئاً ضد حسنين ..
كان يضبطه مثلاً في موقف مريب مع أمه نازلى فلم يوفق
بل على العكس ..

فقد وجدتهما في خلوة وراء باب مغلق في دار حسنين
ولكن ! .. كان حسنين يتلو القرآن الكريم من

مصحف بين يديه ، بينما كانت نازلى جالسة أمامه في
خشوع تصفى آيات الذكر الحكيم ! ؟ وهكذا بدأ حسنين
أمام الملك وولى العهد وأمراء وأميرات البيت المالك
كرجل شريف أبى النفس مخلص لمولاه والبيت المالك ،
حريص على سمعة البيت وكرامة الملك ..

ولأنه .. أهل للثقة .. ولولاه ولولا نفوذه على الملكة
نازلى لكانت نازلى هذه قد خرجت على العرف والتقاليد
وأثارت فضائح لا حد لها ..

كان هذا رأى الجميع ما عدا قلة لا تذكر ، ومن بينها
مرامه محسن باشبا ناظر الخاصة الذى كان ينافس
حسنيين على نفوذه في القصر ويفار منه ويتهمه بأنه ممثل
قدير ، وأنه يلعب دوره مع الملكة نازلى بمهارة يحسده
عليها يوسف وهبى !

والملك قاروق ؟ ! بماذا كان يشعر نحو أمينه الاول
ورائده احمد حسنين ؟ ..

قلت انه كان يلجأ الى حسنين في كل مرة تثور فيها

نازلى وينادى : « الحقونى بحسنين » ! وقلت انه لم يجد ما يأخذه على حسنين ..

ولكن ما من شك فى انه بدأ - منذ ذلك التاريخ - يكره حسنين ! كان يكفى ان يسمع من فم أمه نفسها انها تحب حسنين وتريده .. وان حسنين يعرض عنها !

كان يكفى فاروق ان يسمع من أمه هذا الكلام لكى يكره هذا الرجل الذى تريده أمه والذى « ترمط » من أجله كرامتها وسمعتها .. حتى ولو كان موقف هذا الرجل لا غبار عليه ..

من يومها بدأ فاروق يكره حسنين .. يكرهه ويخشاه فى وقت واحد .. يكرهه للسبب الذى ذكرته ..

ويخشاه لانه محتاج اليه .. لانه الرجل الوحيد القادر على كبح جماح أمه الملكة نازلى .. والرجل الوحيد الذى كانت تخشاه نازلى وتطيعه وتصدع بأمره ، وكان فاروق لا يزال يومئذ حريصا على سمعة أمه وسمعة القصر وسمعة البيت المالك .. بل وسمعة مصر ! .. وكان حسنين وحده - هكذا كان فاروق يؤمن - كان حسنين وحده وبيده القوية المسكة بزمام نازلى وأعصابها ، القادر على انقاذ هذه السمعات جميعا !

ومن هنا ، وبسبب هذا الخوف كان فاروق يعمل لحسنين حسابا .. وينزل الى حشد كبير على رايه ومشورته ويحرص على ألا يفعل شيئا لا يرضى عنه حسنين .. وان فعل أوصى من حوله أن يكتموا الأمر عن حسنين ! ..

وإذا سمع حسنين بما حدث أسرع اليه فاروق يعتذر ويعد بالألا يعود مرة أخرى الى ما فعل ! وهكذا يمكن للمؤرخ الساخر أن يزعم - وهو على

حق - ان علاقة نازلي بحسنيين وسيطرته عليها ونتيجة
هذا وهى خوف فاروق من أمينه الاول - كان هذا كله
نعمة « على مصر » نعمة لأجل محدود !.. اذ انها
اخرت انفجار الفضائح وانفجار فاروق بضع سنوات ..

ولقد توفى حسنين في ٩ فبراير عام ١٩٤٦ ، وقبل
وفاة حسنين ، وقبل فبراير عام ١٩٤٦ ، لم يكن فاروق
يفشى أندية القمار ويمضى سهراته حتى مطلع الفجر في
أندية الميسر ولم يكن يزور الراقصات في دورهن ..
ولم يكن قد تمادى في السرقة والاختلاس من أموال
الدولة ..

ولم يكن يهرب أمواله الى الخارج .. ولم يكن قد
تمادى في الاعتداء على الاعراض وانتهاك الحرمات ،
والعبث بكل مقدسات البلاد ..
ولم يكن اسم مصر قد أمسى في الحضيض ..

ولم تكن صحف العالم - وصحف أمريكا بوجه خاص
- قد نشرت تقول ان رجال الأعمال أصبحوا ينفرون
من ممارسة أى نشاط تجارى أو صناعى في مصر ، لأن
جميع من فى مصر من أكبر عظيم فيها فما دون ذلك ،
يطلبون « العمولة أو البقشيش » ! نعم .. شئ من
هذا لم يكن قد حدث قبل وفاة حسنين ، لأن حسنين
- رحمه الله - كان « الفرملة » الوحيدة القادرة على
وقف فاروق ..

وبعد وفاته انطلق فاروق !.. أما قبل وفاته فقد
كان كل ما يفعله فاروق هو التردد على بعض المطاعم فى
شارع الهرم والحلمية حيث الرقص والموسيقى .. ومع
ذلك فانه لم ينج من تقريع حسنيين ، وقد اضطر
فاروق ان يوعز الى أحد أفراد حاشيته أو خاصته ان
يضع كتاباً - يطبعه وينشره - ويقول فيه : « مولانا

جلالة الملك فاروق « ليس الملك الوحيد الذى يزور
المطاعم العامة لأن ملك يوغوسلافيا ، وملك اليونان ،
يترددان فى معظم سهرات الاسبوع على مطعم الاوبرج
بشارع الاهرام .. وكان الملكان المذكوران يقيمان يومئذ
فى القاهرة بعد فرارهما من بلديهما اثر احتلال الالمان
ليوغوسلافيا واليونان ..

وقال لى زميل - كان متصلا يومئذ بالقصر ورجاله -
ان فاروق كان يريد ان يطلق زوجته « الملكة فريدة »
منذ عام ١٩٤٢ ، لولا معارضة حسنين ، وانه - اى
فاروق - هم اكثر من مرة بطلاق فريدة ، ولكن حسنين
وقف امامه يعارض ويبصره بالنتائج الوخيمة التى تنجم
عن هذا الطلاق ..

ولكنه طلقها بعد وفاة حسنين !
وأذهب الى ابعد من هذا فأقول انه لو كان حسنين
قد امتد به الاجل وعاش لما سافرت الملكة نازلى
ويناتها الى أوروبا وامريكا لتشير من المشاكل والفضائح
ما زلزل قوائم العرش وهى لم تسافر الا لأنها لم تعد
تطبق الحياة فى مصر بعد وفاة حسنين !

ولما وقعت المخازى التى جعلت اسم مصر سبة فى
الافواه ومنها مثلا ما ارتكب من جنائيات فى حق الوطن
وحق الجيش ابان حرب فلسطين .. ولكن حسنين لم
يعش وكأنا موته كان دقة الناقوس التى اندرت يقرب
هبوب العاصفة على العرش وأسرّة محمد على !

حقائق سريعة موجزة مركزة ، فيها الرد على الذين
زعموا او يزعمون ان حسنين كان المسئول عن فسق
وفجور فاروق .. وانه كان عامل الانحلال والفساد فى
حكم فاروق .. وانا هنا - فى هذه الفصول - أقول
ما للرجل وما عليه ، ومع ذلك فانا اعرف اننى قد

أغضبت أصدقاء حسنين .. وأغضبت خصوم حسنين !
أغضبت هؤلاء لأننى أنصفت الحقيقة ولم أهتف مع
الهائفين بأن حسنين كان بطلاً وشهيداً وقديساً مبراً من
كل عيب !

وأغضبت أولئك لأننى فندت اتهامهم ، وهو أن
حسنيين كان المسئول الأول عن فساد فاروق ! ولأننى
قلت أن حسنيين كان مرشداً وهادياً وقائداً ، لا قواداً
لفاروق !

ونصل الآن الى اوائل عام ١٩٤٠ ..

وفى العام المذكور عرف حسنين المطربة اسمهان ،
وأعجب بها - كما قالت هى - وكما أحس أصدقاؤه ،
أو أعجب بصوتها فقط - كما قال هو - !

وكانت اسمهان - يوم عرفها حسنين - تقيم بفندق
مينا هاوس .. وكان حسنين يزورها فى الفندق المذكور
وكان اذا لم يجدها يترك لها رسالة بخطه .. وعرف
نزلاء الفندق والموظفون ان كبير رجال حاشية الملك
فاروق يتردد على المطربة الشابة ، وكان طبيعياً أن يخرج
هذا الخبر من فندق مينا هاوس وينتشر هنا وهناك ،
الى أن يصل الى القصر والذين فيه ! ودهش الذين
يعرفون حسنين ويعرفون مبلغ حذره وحرصه وتكتمه
.. دهشوا لقله احتياظه ولعدم مبالاته ان يعرف الناس
أن له علاقة بالمطربة اسمهان .. وذات مساء - وكان
حسنيين رحمه الله - جالساً فى غرفة مكتبه بقصر
عابدين - انطلق صوت اسمهان باحدى أغنياتها
المعروفة !

وروى لى حسنيين نفسه التفاصيل فقال : وظننت
ان احد أجهزة الراديو العديدة فى السراى هى مصدر

الصوت وانها تنقله من محطة الاذاعة.. وانتهت الاغنية
واعقبته اغنية اخرى لاسمهان.. ثم اغنية ثالثة..
عجبت وقلت : ترى هل تذيع محطة الاذاعة هذه الليلة
برنامجا خاصا لاسمهان ! ؟ ولكن عندما انطلق صوت
اسمهان باغنية رابعة وخامسة ، شككت في الامر وقمت
من امام المكتب ومشيت الى النافذة واطللت منها ،
فرايت « جلالة الملك » واقفا وامامه على مائدة صغيرة
جهاز فونوغراف ، والى جانبه احد خدم القصر يحمل
بضع اسطوانات .. ورفع الملك رأسه ورآنى وقهقهه
ضاحكا وصاح :

- مبسوط يا حسنين ؟

وادرك حسنين ان حكايته مع اسمهان او اعجابه
بصوتها - كما كان يقول - لا بد ان تكون قد وصلت
الى مسامح الملكة نازلى ..
فهل جزع او اهتم ؟ كلا ! بل استمر في اعجابه
وفي ترده على اسمهان ..

وليس لهذا التصرف من جانبه سوى تفسير واحد
وهو انه كان يعتمد اثاره غير الملكة نازلى .. جريا
على سياسته معها وهى اثارها واثارة غيرتها ووجدتها
والتياعها اليه من وقت الى آخر ، والا - وكان رحمه
الله يعرف طبيعة الملكة نازلى حق المعرفة - فان نار
الشوق التى فى صدرها لا تلبث ان تهدأ ثم تبرد وتجمد
وتموت !

ولم يكن موت هذه النار من برنامج سياسته !

وذات يوم جاءتنى اسمهان تشكو وتقول :

يا ايه حكاية صاحبك ده ؟

قلت :

- صاحبي مين ؟

قالت :

- صاحبك اللي اسمه حسنين !

ضحكت أنا .. وقلت :

- دلوقتي بقى اسمه «صاحبي اللي اسمه حسنين» !

وعمل ايه صاحبي اللي اسمه حسنين ؟ !

قالت :

- كلمني اليوم بالتليفون ومن غير بونجور أو سعيدة

أو سلامات قال : « قولي لي يا مدام اطرش .. هل

صحيح اني أزورك في بيتك ؟ » وقبل أن أستطيع الرد

أو سؤاله عن ايه الحكاية .. عاد يسألني :

- وهل صحيح أنك بتزوريني في بيتي ؟ !

وقبل أن أرد مضي يجيب هو على نفسه ويقول :

- مش كده .. لا أنا أزورك .. ولا انت تزوريني !

الحمد لله .. متشكر يامدام اطرش ! .. وأنهى المحادثة

واقفل التليفون !

وضحكت أنا طويلا وقلت لها :

- ولم تفهمي ايه الحكاية ؟

قالت :

- لا .. لم افهم ؟

قلت :

- حسنين كان يكلمك ، والى جانبه شخص

آخر ، لابد انه كان يحقق معه في علاقتك به .. ولقد

أراد حسنين أن يبرىء نفسه من هذه التهمة ، فطلبك

في التليفون ووجه اليك الاسئلة وتولى هو الاجابة عليها

ولكن بطريقة يفهم منها الشخص المذكور انها اجابتك

انت ..

وصاحت اسمهان غاضبة !

— تهمة ! .. معرفتى تهمة ؟ ..
وانطلقت — رحمها الله — تسب وتشتيم .. ثم كاذبا
تذكرت شيئا كانت نسيته .. فسألتنى :
— ومن يكون هذا الشخص الذى يحقق مع حسنين؟
قلت :

— الملكة نازلى ..
وزال فى الحال غضب اسمهان ، وابتسمت غبطة
وسرورا ! .. فقد ارضى كبرياءها أن تكون غريمها التى
تغار منها صاحبة الجلالة الملكة نازلى ..
واضطر حسنين بعدئذ أن يقتصد فى اعجابه باسمهان
وأن يكف عن زيارتها فى دارها واستقبالها فى داره ..
وقابلت اسمهان هذا الفتور من جانب حسنين بعدم
المبالاة ، أو على الأقل تظاهرت بعدم المبالاة ومع ذلك
فقد كان لا يمر شهر دون أن يتحدث الاثنان معا
بالتليفون .. وكان هذا الحديث بالتليفون يطول ساعات
كان يسمع لها مثلا اغنية جديدة من الاذاعة فيطلبها
فى دارها بالتليفون ويبدى اعجابه بالاغنية .. أو يشرح
لها ما فى الاغنية من قوة أو ضعف .. ويقترح عليها كذا
وكيت .. وقال لها ذات مرة : ان صوتها هو أصلح
صوت لغناء قصائد المرحوم الشيخ على محمود ، بل
انها تغنى قصيدة : « يا نسيم الصبا تحمل سلامى »
خيرا مما يغنىها الشيخ على محمود نفسه !

وكانت اسمهان تلقاه مثلا فى حفلة ساهرة تغنى فيها
ويكون هو من بين المدعويين اليها .. ثم تلاحظ انه غادر
الحفلة قبل نهايتها .. فتعود الى مسكنها وتطلبه
بالتليفون لتعاتبه وتسأله : هل صوتها لم يعد يعجبه ؟
والا فلماذا غادر الحفلة قبل أن يسمع الوصلة الأخيرة ؟
وهكذا .. ولكنهما كفا عن تبادل الزيارات .. ومع

ذلك فان الملكة نازلي لم تكن مطمئنة تماما الى وفاء
حسينين . . ولم تكن غيرتها وشكوكها تهدا يوما الا
لتثور أياما ، وذلك لأن حسين لم يكن «أولا» حريصا
على اطمئنان الملكة نازلي وثقتها في وفائه ، بل العكس
هو الصحيح ، أي انه كان حريصا على أن يشير دائما
غيرتها عليه وشكها في اخلاصه ووفائه . . ولأنه «ثانيا»
كان يجتاز مرحلة السن الحرجة التي يمر بها كل رجل
وامرأة . وكان - رحمه الله - يومئذ في الخمسين من عمره
وكان حسين طوال عمره موضع اعجاب النساء ،
فقد كان فيه كل ما يعجب المرأة . . كان مشوق القامة ،
حلو الحديث ، حسن الهمد ، جذابا ، مؤدبا . . اذا
اقبل على سيدة يتحدث معها خيل اليها ان حسين
لا يرى سواها ولا يهتم بسواها . . وكان الى جانب هذا
رياضيا ممتازا وبطلا مبرزا من أبطال السيف ، ورحالة
مشهورا جاب مجاهل الصحراء وجابه أخطارها ،
واكتشف واحة أو واحتين ودوى نبا اكتشافاته في جوانب
العالم ، وكرمه الدول والهيئات العلمية العالمية . .
ونال من الاوسمة والنياشين الاجنبية ما لم ينل مصري
في مثل سنه . .

وكانت ثقافته واسعة متعددة الالوان . . كان يستطيع
أن يتحدث بسهولة وانطلاق - مثلا - في الشعر العربي
القديم ، والشعر العربي الحديث ، وفي المسرح ، والفرق
بين المدرسة الانجليزية في التمثيل ، والمدرسة الفرنسية
وفي الصيد والقنص ، وفي الطيران ، وكان يتحدث في
«الموضة» وتطوراتها ، وكان يمكنه أن يناقش - وعلى
قدم المساواة - أية سيدة خبيرة في الازياء !

لم يكن عجيبا إذن أن تقبل عليه السيدات ، وأن يلقي
عندهن من العظوة والقبول ما لا يلقاه كثير من الرجال !

وقد قالت عنه ابنة رامزي ماكدونالد زعيم حزب العمال السابق ، ورئيس أول وزارة بريطانية للعمال ، قالت عن حسنين انه أجمل رجل قابلته في حياتها .. وقالت عنه الرحالة الانجليزية روزويتا فوربس : انه ساحر خطر مخيف !

كان يمكنه اذن ، وبحكم منصبه الرفيع ، وبفضل الاوساط والبيئات التي يتحرك فيها .. كان يمكنه أن يختار أى عدد يشاء من الصداقات والصدقات من بين من نسميهم « سيدات الطبقة الراقية » ولكن حسنين كان « ذواقة » وكان ذوقه شعبيا أصيلا !

كان يجد راحة و متعة ما بعدهما راحة و متعة في الجلوس - في غير كلفة - مع بنات الشعب من الراقصات والمغنيات !

وكان حديثه ممتعا حقا وهو يشرح لون الجمال أو « الحلوة » في كل منهن ! ..

ما أجمل المطربة ل .. مثلا ما أجملها لو لبست « الملاية اللف وعققت مندبل الظرافة على جبينها فوق الحاجبين » .. ودقات « شبشبها » مع رنة الخلخال !

ويحاول - رحمه الله - أن يقنع المطربة المذكورة ، بلبس « الملاية اللف » ومن تحتها القميص « التوللى » ! وهكذا .. دخلت اسمهان ، ثم خرجت من حياته ولو الى حين !

ودخل معها في نفس الوقت عدد عديد من المغنيات والراقصات ..

وأمسى رجال القصر والحاشية يتندرون « بغزوات » حسنين .. مع الراقصة فلانة .. أو المطربة علاثة ..

ووبد فاروق في هذه القصص مادة يتشفي بها من امه الملكة نازلى التي جحدت ذكرى ابيه الملك احمد

فؤاد .. وفرطت في واجبات مقامها السامى بصفتها
أم ملك مصر ..

مضى فاروق يتشفى - ولم يدرك انه يخدم مصلحة
حسين بنقل هذه الاخبار الى أمه الملكة نازلى ..

وأخيرا .. قاضت كأس الصبر ، وحزمت الملكة
نازلى حقائبها وسافرت غاضبة ثائرة الى فلسطين ..

ولم يكن في وسعها - والحرب العالمية الثانية قائمة
- أن تسافر الى أوروبا ..

سافرت اذن الى فلسطين وأقامت في القدس بفندق
الملك داود .. وكان هذا في أواخر عام ١٩٤٢ ..

وطالت غيبتها عن مصر .. وبدأت الاخبار ترد على
القصر ، وكيف أن صاحبة الجلالة نازلى ملكة مصر
أمضت السهرة في رقص متواصل مع بعض الضباط
الانجليز ..!

وكننا - كما قلت - في زمن الحرب .. وكانت القدس
مملوءة بالضباط الشبان الانجليز ..!

ومرة أخرى لجأ فاروق الى حسين وطلب منه أن
ينقذ الموقف وأن يسافر الى القدس ويعود ومعه الملكة
نازلى ..

ولكن حسين رفض هذه المرة ان يلبي نداء
« مولاه » وينقذ الموقف . واعتذر من عدم السفر
بأسباب شتى لم يكن من بينها السبب الصحيح ..

. وكان السبب الصحيح لامتناعه عن السفر الى القدس
هو خوفه من أن يقابل اسمهان في فندق الملك داود ،
فان اسمهان كانت قد عادت الى زوجها حسن الاطرش
أمير جبل الدروز وعقد قران الاثنيين في شهر أغسطس
عام ١٩٤١ في حفلة كبيرة أقيمت في دمشق وشهدها
الجنرال كاترو ..

وكانت اسمهان تضيق بالحياة مع زوجها.. وبالحياة في جبل الدروز.. ومن ثم كانت تقوم برحلات عديدة في كل شهر تقريبا الى القدس وبيروت.. وخصوصا القدس وكانت تختار الإقامة بفندق الملك داود..

وكان حسنين يعرف هذا.. ومن هنا اعتذر من عدم السفر الى القدس.. والا فماذا يكون الموقف، أو ماذا يكون موقفه وماذا يفعل إذا التقى بأسمهان؟.. هل يتجاهلها؟.. أو يحييها كما يجب أن يحيى الصديق صديقه؟!

وماذا يكون موقفه إذا وجد نفسه في إحدى قاعات الفندق.. أو في قاعة الرقص مع نازلي ملكة مصر.. واسمهان أميرة جبل الدروز؟

وكانت اسمهان إذا دار الشراب برأسها قادرة على عمل كل شيء.. جسورة جريئة لا تهاب أحدا ولا تبالى بشيء..

وكان حسنين يعرف هذا.. ومن هنا رفض أن يسافر لأنه خاف من أن تنتهز اسمهان فرصة وجوده ووجود الملكة نازلي لكي تفتح «محضر تحقيق» مع نازلي.. تحقق فيه معها في موضوع «محضر التحقيق» الذي كانت جلالتهما أجرته بشأنها مع حسنين..!

وتظهر الحقيقة ويقع حسنين بين مطرقة الملكة نازلي وسندان اسمهان!

وهكذا.. اعتذر حسنين من عدم السفر.. ولكنه اقترح على الملك فاروق أن يعهد بهذه المهمة الى «رفعة» رئيس الوزراء مصطفى النحاس «باشا» وقال: ان رفعتة هو خير من يصلح للقيام بهذه المهمة لأن جلالته الملكة نازلي وفدية «هكذا!» مثل المرحوم والدها عبد الرحيم صبرى باشا الذي كان من أخلص الوفديين

وأصدقهم تأييدا للزعيم سعد زغلول .. ولأنها تحترم
النحاس « باشا » وتكن له صداقة أكيدة .. ومن هنا
لن ترفض لرفعه طلبا أو مشورة ..

وفوتح مصطفى النحاس « باشا » في الامر .. وسر
« رفعة » سرورا كبيرا وقال : انه يعد هذا التكليف
من جانب « الفاروق » شرفا وثقة يعتز بهما مدى
الحياة !

وسافر السيد مصطفى النحاس ومعه السيدة حرمه
الى القدس .. ونجح في مهمته ، واستجابت الملكة
نازلي فعلا لرجائه ، وعادت الى مصر ..

عادت ، ولكن على شرط .. ولا أعرف ما اذا كانت
نازلي قد فاتحت النحاس « باشا » في موضوع « شرطها »
هذا أو لم تفاتحه .. ولكني أعرف انها لم تكذب تعود
الى مصر حتى فاتحت ابنتها الملك فاروق في أمر زواجها
برئيس ديوانه أحمد محمد حسنين .. وطلبت منه أن
يصدر أمره الى حسنين بأن يتزوجها ! .. لأن حسنين
— كما سبق أن قدمت — كان صارحها بأنه لا يمكن أن
يتزوجها خوفا من أن يطرده الملك من خدمته وهو رجل
فقير .. الى آخره ..

ولكن اذا أمره الملك أن يتزوجها فلا خوف عليه
اذن من الطرد .. وهل يطرد فاروق زوج أمه ؟ !
ولم يشأ فاروق أن يتقهقر أمام أمه نازلي أو يسلم
لها بطلبها دون قيد أو شرط .. لأنه وافق ، ولكن
بشرط .. !

وهذا الشرط أن تكتفى نازلي بعقد زواج عرقي ! ..

وهكذا كان .. وتزوج أحمد حسنين ابن المرحوم
الشيخ محمد حسنين العالم الأزهرى بالملكة نازلي ،
أرملة الملك أحمد نواد ، ووالدة صاحب الجلالة فاروق

الاول ملك مصر ..

وكان أحد شهود عقد الزواج المرحوم الاستاذ سليمان نجيب مدير دار الاوبرا .. وكان حسنين يثق كل الثقة في حذره وكتمانه .. ومثله الملك فاروق .. ولقد حاولت أن أعرف اسم الشاهد أو الشهود الآخرين .. وكذلك اسم المحامي الشرعى الذى عقد هذا الزواج العرفى ، فلم أوفق ..

وربما كان الشاهد الآخر هو المرحوم مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية .. أو لعله كان أحد خدم فاروق المقربين ..

ربما .. وربما .. ولكنى لا أستطيع أن أقطع بقول

واختارت الملكة نازلى سراى الدقى التى ورثتها عن ابيها عبد الرحيم صبرى لتكون داراً للزوجية .. تقابل فيها « عريسها » حسنين ! .. لأن نازلى - ولعلها المرة الاولى - خجلت أو استحييت من ابنها أن تقابل زوجها فى جناحها بقصر القبة أو بقصر عابدين حيث كان يجتمع بها زوجها الاول الراحل .. أحمد فؤاد ! ..

ولم تمض شهور معدودات على عقد هذا الزواج ، حتى بذت أولى ثمراته .. يوم رشح فاروق رئيس ديوانه أحمد حسنين باشا للوزارة الجديدة التى كان مقدرأ لها أن تخلف وزارة النحاس باشا فى شهر ابريل عام ١٩٤٣ ..

وسوف أتناول بالتفصيل هذه المرحلة من حياة احمد حسنين حين أعرض للجانب السياسى منها. واكتفى الآن بعرض: دعوس المسائل، أو العناوين:

١- قامت وزارة « فبراير » عام ١٩٤٢ ، برئاسة مصطفى النحاس « باشا » على كره من الملك فاروق .

وحسنين الذي كان يعد حادث ٤ فبراير لطمة على وجهه
وفشلا مخجلا لسياسته كرئيس لديوان الملك ..

٢ - أقسم حسنين لفاروق على أن يرد له اعتباره ..
وأن ينتقم من السفير البريطاني مايلز لامبسون .. ومن
رئيس الوفد مصطفى النحاس ..

٣ - قدر حسنين ان الفرصة مواتية لإقالة مصطفى
النحاس ووزارته من الحكم .. في أبريل عام ١٩٤٣ ..

٤ - قال فاروق لحسنين باشا انه يطلق يده في
الموضوع وانه يعهد اليه شخصيا بتشكيل الوزارة
الجديدة التي تقوم بالحكم بعد اقالة مصطفى النحاس
باشا ووزارته ..

٥ - اختار حسنين باشا فعلا أعضاء وزارته ..
وأعد كشفا بأسمائهم ..

وبينما اجراءات الاقالة وتشكيل الوزارة الجديدة في
مراحلها الاخيرة .. كانت عيون الانجليز بالمرصاد !
واتصل الخبر بمايلز لامبسون .. وأبرق الى لندن
بالتفاصيل .. وجاء الرد فورا من لندن في شكل انذار
وهو ان الحكومة البريطانية ترى ان الحرب توشك ان
تدخل في مرحلة دقيقة حاسمة وهي غزو أوروبا التي
تحتلها جيوش هتلر ومن ثم فانها - أي لندن - لاتسمح
بأجراء أي تغيير أو تعديل في الأوضاع القائمة في مصر ..
وتنصح ببقاء وزارة الوفد ومصطفى النحاس باشا في
الحكم !

وحمل السفير البريطاني مايلز لامبسون هذا الانذار
الى الملك فاروق ..

وطويت وزارة حسنين باشا !
وكنت أود أن أقف بالحديث هنا عن قصة نازلي ،

وحسنين . . . وحسنين واسمهان . . . وأن أنتقل الى الجانب السياسى من حياة أحمد حسنين باشا . . .

ولكننى وقد عرضت لعلاقة حسنين باسمهان . . . أرى أن أمضى فى القصة الى نهايتها . . . وكيف ان اسمهان عادت واتصلت بحسنين فى عام ١٩٤٤ ، وما كان لهذا الاتصال من أثر فى حياة زوجها المرحوم أحمد سالم . . . وبسببه أطلق عليها الرصاص ، ثم حاول الانتحار . . . الى آخره . . .

وما كان لهذا كله من أثر فى العلاقة بين الزوجين : الملكة نازلى ، وحسنين . . . والقال والقيلى . . . اللذان أحاطا بحسنين عقب حادثة أحمد سالم واسمهان . . .

ووزارة الوفد ، وكيف أرادت أن تستغل هذه « الفضيحة » ضد عدوها رئيس الديوان أحمد حسنين؟

. وهل كان هذا كله - أى لحكاية حسنين ، واسمهان ، وأحمد سالم - هل كان سببا لعدم اختيار حسنين باشا لرئاسة الوزارة التى خلفت وزارة النحاس باشا التى أقيمت فى ٨ أكتوبر عام ١٩٤٤ ؟ مع انه كان المرشح الوحيد لرئاسة الوزارة قبل ذلك بعام أو نحو ذلك فى أبريل عام ١٩٤٣ . . .

كانت اسمهان قد ضاقت بحياة الزوجية وقيودها . . . وضاقت بفترة زوجها حسن الاطرش . . . وضاقت بالحياة المملة الرتيبة فى قصر زوجها بالسويداء عاصمة جبل الدروز . . . ومن هنا راحت تلتمس أوهى الأسباب للسفر حيننا الى بيروت ، وحيننا الى القدس . . . حيث الحياة مرحة طليقة لا قيود ولا رقابة زوج محب غيورا!

بل وأمكنها أن تقنع زوجها الامير حسن الاطرش ، بالمغضور منها الى مصر مرة ومرتين . . . ونشرت الصحف

خبر حضور سعادة الأمير حسن الاطرش محافظ جبل
الدروز ومعه زوجته الاميرة آمال الاطرش !
وآمال هو اسمها الحقيقي .. أما « اسمهان » فاسم
مستعار لدنيا المسرح والفناء ..

عادت اذن الى مصر .. في صحبة زوجها ، وفي يدها
جواز سفر دبلوماسي أعطتها اياه سلطة الانتداب الفرنسي
في سوريا بصفتها زوجة زعيم درزي كبير ، ومحافظ
لجبل الدروز ..

وكان الاستاذ زكي سعد أحد مديري البنك الدولي
الآن .. كان يومئذ مديرا لادارة الجوازات والجنسية ،
وأنا أعرف - ومما سمعته منه شخصا - انه لم
يكن يحسن الظن كثيرا بالمطربة اسمهان ، وانه كان
يعارض في اقامتها بمصر .. وكان يرفض تجديد الاذن
لها بالاقامة .. بل وحدث مرة انه استمضى رئيس
الوزراء والحاكم العسكري العام - وكان يومئذ صاحب
الدولة حسين سري باشا - استمضاه امرا باخراج
اسمهان من الديار المصرية ..

وجاءتني اسمهان يومئذ تبكي ! .. وزرت « صاحب
الدولة » رئيس الوزراء في مكتبه .. وتفضل الرجل
يومها واستجاب لوساطتي وألغى أمر الاخراج ، وأمر
وكيل وزارة الداخلية بتجديد اذن الاقامة لاسمهان لمدة
عام ! ..

وها هي ذي اسمهان تعود الى مصر .. والاستاذ
زكي سعد لا يستطيع أن يمنعها من الدخول ، فقد عادت
بصفتها زوجة لرجل له جاهه ونفوذه ومقامه الرسمي
في قطر عربي شقيق ..
وطابت لها الاقامة في مصر .. ولما عادت الى سوريا

مع زوجها بعد الزيارة الاولى .. فادرت مصر وهي
كارهة ..

وفي الزيارة الثانية لمصر .. كانت اسمهان قد انتوت
أمرا ، وهو أن لا تعود مع زوجها الى جبل الدروز ..
وطلبت منه أن يطلقها .. ورفض هو الطلاق ..
وهنا فعلت ما كانت تفعله في كل مرة تريد فيها الطلاق
وهو محاولة الانتحار ، وتناولت عددا كبيرا من أقراص
الأسبيرين .. وطلقت زوجها حسن الاطرش .. وتركها
في القاهرة وعاد وحده الى جبل الدروز ..

وغاب عن اسمهان أن زواجها كان « حصانة » لها
عند سلطات الامن العام وإدارة الجوازات .. فلما طلقت
سقطت عنها « الحصانة » المذكورة ..
ولم يتردد الاستاذ زكى سعد في أن يصدر أمره
بخروجها من مصر ..

وخرجت اسمهان من مصر .. وسافرت الى القدس
وأقامت كمادتها في فندق الملك داود ..

وكانت تمضي أيامها في التنقل بين بيروت « فندق
سان جورج » وبين القدس .. ولكنها لم تجرؤ على
العودة الى سوريا أو جبل الدروز ، لأنها كانت تعلم أن
زوجها السابق الأمير حسن الاطرش حاقده عليها ، وأنه
صاحب نفوذ وسلطان وأتباع موالين مخلصين مطيعين
طاعة عمياء ..

وإن رصاصة طائشة - أو يقال عنها كذلك في محضر
التحقيق - قد تصيب منها مقتلا !

ومن هنا وزعت أيامها - كما قلت - بين القدس ،
وبيروت .. ولم يلبث المال الذي كان بيدها أن تبسده
فقد كانت - رحمها الله - مسرفة كل الأسراف .. وجاء
يوم عجزت فيه عن تسديد حساب الفندق ..

وحجزت ادارة فندق الملك داود على حقائب ثيابها
واضطرت اسمهان أن تبيع الحلى القليلة التى كانت
تقتنيها وأن تقترض من هنا ومن هناك ..

وبينما هى فى هذه الورطة أو هذه المحنة زار القدس
الاستاذ اسكندر الوهابى وكان يشغل يومئذ منصبا
كبيرا بوزارة الخارجية المصرية .. وأعجب باسمهان ،
وسحره صوتها وفتنتها ..

وكان طبيعيا أن ترجوه اسمهان أن يتوسط بما له
من نفوذ فى أمر السماح لها بالعودة الى مصر .. لىكى
تستأنف الغناء والعمل فى السينما .. وعاد الاستاذ
اسكندر الوهابى الى مصر ، وتحدث الى الاستاذ حسين
سعيد خال الملكة فريدة - وكانت لا تزال يومئذ ملكة
مصر - وأطنب له فى وصف اسمهان وفى جمال صوتها
وفى فتنتها وسحرها .. الخ ..

وكان الاستاذ حسين سعيد يشغل يومئذ منصب
مدير ستوديو مصر للسينما وسافر حسين سعيد الى
القدس وقابل اسمهان ..

ووقع بدوره أسير فتنتها وسحر صوتها ..
ووقع معها - بالنيابة عن ستوديو مصر - عقدا
للعمل فى الافلام التى تنتجها وتخرجها شركة مصر
للسينما والتمثيل ونص فى العقد على أن أجر اسمهان
عن عملها فى أول فيلم هو ثلاثة عشر ألف جنيه ، وهو
مبلغ يزيد كثيرا على الاجر الذى كانت تحصل عليه
كبيرات الممثلات والمطربات فى ذلك الوقت ..

وعاد الاستاذ حسين سعيد الى القاهرة ليبدل
مساعدته الحميدة من أجل الاذن لاسمهان بالعودة الى
مصر ، وسمعنا يومئذ انه بدل هذه المسامحة عند السيدة

حرم « رفعة » رئيس الوزراء يومئذ مصطفى النحاس
« باشا » ..

ونترك القاهرة .. ونعود الى القدس .. حيث كانت
اسمهان لا تزال مقيمة بفندق الملك داود في انتظار
وصول الاذن لها بالعودة الى مصر ..

هذا .. وقد سددت ديونها للفندق من العربون
السخى الذى حصلت عليه بموجب نصوص عقدها مع
شركة مصر للسينما والتمثيل ..

وذاث يوم نزل بالفندق الاستاذ احمد سالم والفنانة
المعروفة تحية كاريوكا ، وكلاهما كان صديقا لاسمهان

غير ان تحية لم تلبث ان غادرت القدس الى لبنان
وحلب لاحياء بعض حفلات الرقص التى كانت تعقدت
عليها ..

وتركت احمد سالم فى القدس ينتظر هودتها ..
ولكنها عندما عادت من حلب وجدت ان احمد سالم
قد تزوج اسمهان بعقد زواج شرعى صحيح ..



ونعود الآن الى القاهرة والى ادارة الجوازات والجنسية
.. وجدت الادارة المذكورة ان امامها طلبا قويا مؤيدا
بأسباب قوية مشروعة .. هذه السيدة - اسمهان -
كانت تعمل فى مصر وفى محطة الاذاعة كمطربة محترفة
.. وأفراد أسرتها .. ووالدتها وشقيقاها الاثنان يقيمون
فى مصر ..

وبيدها عقد اتفاق على العمل مع شركة مصر للسينما
والتمثيل ..

ثم هى أصبحت بموجب عقد شرعى صحيح زوجة
لمصرى ، هو احمد سالم رحمة الله .

وفوق هذا وذاك لا يمكن لها ان تفعل وساطة أو

شفاعة السيدة حرم رئيس الوزراء ..
وأخيراً ، لا أخيراً ، بسبب قوى آخر ، لعله أقوى
الأسباب وقد قص على الأستاذ زكى سعد نفسه هذه
التفاصيل ونحن في قطار القاهرة - دمياط ذات يوم في
صيف عام ١٩٤٥ - قال سيادته - وهو كما قدمت -
لم يكن يحسن الظن كثيراً بأسمهان ، قال لى :

- كان في أمكاني إلا أقيم أى وزن لعقد أسمهان مع
ستوديو مصر للسينما ، وأن أرفض الاذن لها
بالعودة الى مصر .. كذلك لم يكن لزواجها من أحمد
سالم أى وزن من الجهة القسانونية لأن أسمهان وعية
اجنبية والقانون القائم يومئذ لا يعترف بزواج المصرى
من اجنبية إلا بعد موافقة وزارتي العدل والداخلية ..
فاذا لم يحصل الزوجان على هذه الموافقة فان زواجهما
لا يمكن أن تترتب عليه أية نتائج بالنسبة لنا في ادارة
الجوازات والجنسية ..

ومضى الأستاذ زكى سعد في حديثه وقال :

- كان يمكننى اذن أن أرفض الاذن لها بالدخول الى
مصر ، ولكنى تلقيت تقريراً من قنصلية مصر بالقدس
جاء فيه : ان الأمير حسن الاطرش اقام قناصة من
الدروز على الحدود بين فلسطين وسوريا وامرهم باطلاق
الرصاص على زوجته السابقة أسمهان اذا هى حاولت
العودة الى سوريا ، وهذا الخطر القاتل قد يكمن لها
كذلك عند حدود لبنان - فلسطين ! ولهذا السبب
راجعت نفسى وضيميرى اذ لم يكن في استطاعتى أن
أحكم بالنفى المؤبد على أسمهان في القدس ، أو بالموت
اذا هى حاولت مغادرة فلسطين الى سوريا أو لبنان ..

راجعت نفسى وسمحت لها بدخول مصر والاقامة
فيها وقد زارتنى في مكتبى عقب وصولها الي القاهرة ،

فحدثتها طويلا عن السبب الحقيقي الذي حملنى على
السماح لها بدخول مصر ، ثم قلت لها : « اننا نعدك
ابنة لمصر لانك أمضيت فيها من سننى حياتك أكثر مما
أمضيت فى وطنك .. ولا مانع عندنا مطلقا من أن تقيمى
فى مصر ما طابت لك الإقامة فيها ، ولكن على شرط أن
لا تسمع عنك السلطات الا ما يسر » ..

وهكذا عادت أسمهان الى مصر ..
ولقد فهمت هى من حديث الاستاذ زكى سعد معها
ان السماح لها بالعودة الى مصر لم يكن بسبب عقدها
مع ستديو مصر ، ولا بسبب زواجها من أحمد سالم ..
وكانت تزوجته لكى تستطيع العودة الى مصر ..

ولكن هذا الزواج لا دخل له بموضوع اقامتها فى
مصر ، ولا يقدم ولا يؤخر ، كما فهمت من حديث مدير
الجوازات والجنسية ..

وكان لهذه الحقيقة اثر فى نفس أسمهان ، اثر لم
يلبث أن بدأ فى سلوكها مع زوجها أحمد سالم ، وذلك
أن أسمهان بدأت تضيق بحياة الزوجية وبقيود الزواج
وبغيرة أحمد سالم وبسؤاله أين كانت ؟ وأين أمضت
سهرتها ؟ ومع من ؟ ومن الذى كان يحدثها بالتليفون؟
ولماذا قطعت حديثها التليفونى عندما دخل ؟ !

وبدا الخلاف والخصام بين الزوجين ..
وذاث يوم ، ذهبت أسمهان الى مسكن تحية كاريوكا
تطلب مقابلتها ..
وكان طبيعيا أن تعجب تحية وتدهش .. ما سر هذه
الزيارة وما وراءها ؟ ..

لقد كانت آخر مقابلة بينهما - بين تحية وأسمهان -
بفندق الملك داود بالقدس ، يوم عادت تحية من حلب

« سوريا » ووجدت أسمهان قد اختلطت منها أحمد سالم وتزوجته ..

وكان شتم وسب وخصام بين أسمهان وتحية ! ..
وها هي ذى أسمهان تزور تحية .. وتطلب مقابلتها !
وتحية طيبة القلب .. ولقد رحبت بأسمهان وأحسنست استقبالها ..

وقالت أسمهان :

- عاوزه منك خدمة ؟ ..

- بكل سرور ..

قالت :

- عاوزه تطلبى أحمد سالم اليوم بالتليفون فى الساعة كذا .. وسوف أرد أنا على التليفون .. وتطلبى منى أن تكلمى زوجى أحمد سالم ..

وشرحت أسمهان لتحية السر والسبب ..

ووافقت تحية .. وأية امرأة لا توافق فى مثل ظروفها على السخرية والهزاء من رجل كان تخلى عنها من أجل امرأة أخرى ..

وكانت أسمهان وأحمد سالم يعيشان معا فى ذلك الوقت فى « فيلا » استأجرتها أسمهان بشارع الهرم ..

وفى الساعة المحددة دق جرس التليفون عند أسمهان وكان زوجها أحمد سالم موجوداً معها .. وتناولت هى السماعة ..

وسمعتها أحمد سالم تقول : « أيوه موجود ! .. ومين عاوزه ؟ ! وعائزاه ليه ؟ طيب .. حاضر .. ما تزعليش أهو جاي يكلمك ! »

ثم التفتت الى أحمد سالم وقالت بابتسامة ذات معنى أو معان :

— تحية كاريوكا عايزه تكلمك ياسى أحمد !

وكانت مفاجأة للمسكين .. وقام وتناول سماعة التليفون وقد وقفت بجانبه أسمهان .. تنصت الى الحديث ..

ولم يكذ أحمد سالم يقول : « آلو » حتى انطلقت تحية بصوت عال مجلجل تعاتبسه وتوبخه على اخلافه وعوده ومواعيده وتقول له انها لم تطلب مقابلته ، وانه هو الذى طلب مقابلتها وألح وألحف فى الرجاء حتى قبلت .. وحددت له الساعة .. فلماذا لم يحضر فى الميعاد المتفق عليه .. ودى مش أخلاق .. ومش آداب الى آخره ..

هذا .. والمسكين فاغر فاه — وقد أخذته المفاجأة — لا يعرف ماذا يقول ! ؟

وانتهت تحية حديثها وقطعت المواصله التليفونية .. ولم تترك له أسمهان وقتا يفيق فيه من دهشته .. بل أخذت بخناقه تهزه بعنف وتقول له :

— يا انا .. يا انت فى البيت ! مش ممكن أعيش معاك .. طلقنى !

ومشهد عاصف .. وبكاء ودموع .. واقسام وايمان وأسرع أحمد سالم — رحمه الله — الى غرفة الحمام ، وتناول زجاجة ما ، فيها مطهر مما يستعمله النساء فى بعض أمورهن وأفرغ ما فى الزجاجة فى جوفه ، يريد الانتحار ..

وعلا الصراخ والعيويل .. ودقت تليفونات .. وأسرع الى « الفيلا » أصدقاء وصديقات الزوجين ..

وحضر الطبيب على عجل .. وغسلت معدة الزوج المسكين وتم الصلح بين أحمد وأسمهان ..

وخرجت أسمهان من المعركة .. فى شكل « شهيدة »

يخونها زوجها .. ويفازل امرأة أخرى .. ومع ذلك
تصفح عنه وتغفر له وترضى بالحياة معه !..

ومن حق هذه الزوجة بعد ذلك أن تقول لزوجها :
« حسبك » ولا تشدد معي في الحساب أين كنت ؟ ومع
من كنت ! ؟

ولكن أحمد سالم لم يكن ذلك الزوج .. فقد مضى
يدقق في الحساب ويحاسب زوجته عن كل كبيرة
وصغيرة وعن كل ساعة لا تمضيها معه .. أين كانت ؟
ومع من كانت ؟ !

وأخيرا داخله الشك في أمرها .. ولكنه لم يصارحها
بشكوكه .. بل مضى يراقبها ويتبعها دون أن تعلم !..
ورآها - دون أن تراه - رآها تخرج من دار حسنين
باشا بميدان عبد المنعم في الدقي ..

وذهب الى دكان بقالة قريب ، وطلب حسنين باشا
بالتليفون في داره .. ولما رد حسنين قال له انه لا يعرف
كيف يبدأ حديثه ؟.. فهو يحترم حسنين باشا ويقدر
صفاته الممتازة .. ولكنه كزوج يفار على زوجته وله
حقوق .. ثم قال :

- ومن حقي أن أسأل رفعتك ماذا كانت تفعل
زوجتي عندك ؟ ولماذا تزورك من غير علمي ومن غير اذن
مني ؟ بل - وأنت جنتلمان - لماذا تستقبل في دارك
سيدة متزوجة من غير أن يكون زوجها معها ؟..

فاذا كنت دعوتها لزيارتك ، فان من حقي أن أسألك
لماذا لم تدعني معها ؟.. واذا كانت هي قد زارتك من
غير أن تدعوها فان المسألة تحتاج الى تحقيق في
الاسباب والظروف ..

الى آخره ..

وأصفي حسنين الى «عقاب» أو حسابا أعمدة معالم

في صبر حلیم . . ولما تكلم كان في صوته حزن وأسف !
حزن وأسف المظلوم البريء الذي اتهمه أحمد سالم
في أغلى ما يعتز به وهو شرفه وعفته ونزاهته !

قال - رحمه الله - بصوت هاديء حزين :
- عيب يا أحمد ! دا انت زي ابني . . ومراتك
زي بنتي . . وانا كنت فاكر انها قالت لك ، وانك عارف
بزيارتها لي . .

ومضى حسنين يقول : انه - مثل جميع من في البلد -
يعجب بصوت آمال « اسم اسمهان الحقيقي » ويهمه
حقيقة أن لا تفنى الا ما يوافق طبقات صوتها . .

ومضى حسنين باشا - رحمه الله - في حديث فني
عن الموسيقى والأغاني والصوت وطبقاته . .

ثم قال : ان آمال زارته لكي تستأنس برأيه في
أغاني فيلمها الجديد القادم : فيلم « غرام وانتقام » . .
وانتهت المحادثة !

وتظاهر أحمد سالم بأنه صدق حسنين واقتنع . .
ولكنه - طبعاً - لم يصدق حرفاً مما قاله حسنين . .

وعاد الى داره ، أو دار اسمهان ليسألها : لماذا
زارت حسنين باشا ، ولماذا لم تستأذنه في هذه الزيارة ؟

وأجابت : بأن حسنين صديق قديم ، وانها عرفت
من قبل أن تعرف أحمد سالم ، وليس في نيتها أن
تقاطع أصدقاءها القدامى من أجله . . كما انه ليس من
عاداتها أو طبعها أن تستأذن أحداً في زيارتها . . وانها
حرة تزور من تشاء في أي وقت تشاء . .

- واذا لم يعجبك . . فأنت حر ! وطلقني وارح بالك
وبإلى . .

وكلام كثير في هذا المعنى . .

ومرة أخرى حاول المسكين الانتحار .. وأسنعفوه
وانقذوه ..

وبدا أحمد سالم يسرف في شرابه .. يحاول أن يخدر
أعصابه الشائرة ..

وكانت أسمهان كذلك تدمن الشراب ..
وهكذا مضت الحياة بينهما في شراب وعراك ..
وذات مساء انتصف الليل ولم تعد أسمهان .. وجلس
أحمد سالم ينتظر ..

والساعة الأولى صباحا ، ولم تعد أسمهان ، وتناول
أحمد سالم التليفون وسأل عنها في دار صديقة لها -
كانت تكثر يومئذ من التردد عليها - وقالت الصديقة
المذكورة أن أسمهان كانت زارتها بعد ظهر اليوم ولكنها
انصرفت قبل الثامنة مساء ..

وأخيرا .. وفي نحو الساعة الثالثة صباحا ، عادت
أسمهان ووجدت زوجها قائما ينتظر ! وشيء ما في عينيه
أخافها وحبس ألفاظ التحدى في فمها ..

سألها أين كانت ؟ فتلعثمت واضطربت .. وأخيرا
قالت : انها كانت عند صديقتها فلانة !

وذكرت اسم الصديقة التي كان أحمد سالم سألها ،
وعرف منها أن أسمهان تركتها قبل الساعة الثامنة
مساء !

قال - رحمه الله - وهو يصر على أسنانه :
- كنت عندها لدوقت ؟ ..

قالت : نعم ..

قال : ولكني سألتها عنك فقالت انك انصرفت من
قبل الساعة الثامنة ..

وسكتت أسمهان .. فقد أحسنت للمرة الأولى
بالخوف من زوجها أحمد سالم !

وَعَادَ يَسْأَلُهَا :

- كُنْتُ فِيهِ لِدَلُوقَتِ ؟ .. عِنْدَ حَسَنِينِ ؟
وَوَثَبَ وَاقْفَا .. وَلَكِنِّهَا كَانَتْ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى الْبَابِ !
وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَدْ أَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ مَسْدَسًا ..
صَوَّبَهُ إِلَيْهَا وَهِيَ تَجْرِي وَأَطْلُقُ النَّارَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصْبِهَا
وَهَرَبَتْ أَسْمَهُانَ وَلَجَّتْ إِلَى دَارِ أَحَدِ جِيرَانِهَا حَيْثُ
أَمْضَتْ مَا بَقِيَ مِنَ اللَّيْلِ ..

وَاتَّصَلْتُ بِالتَّلِفُونَ بِاللَّوَاءِ سَلِيمِ زَكِيِّ حَكَمْدَارِ بُولِيَسِ
الْقَاهِرَةِ يَوْمَئِذٍ وَكَانَتْ صَدِيقَةً لَهُ وَأَسْرَتَهُ وَأَبْلَفْتَهُ أَنْ
زَوْجَهَا أَحْمَدُ سَالِمٌ أَطْلُقُ عَلَيْهَا الرِّصَاصَ يَرِيدُ قَتْلَهَا ،
وَظَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَحْمِيَهَا ..

وَأَوْفَدَ اللَّوَاءُ سَلِيمَ زَكِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْإِمْرَأَةَ إِلَى إِمَامِ
إِبْرَاهِيمَ لِيَحَاوِلَ إِصْلَاحَ الْأَمْرِ مَا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، وَكَانَ
سَلِيمُ زَكِيُّ يَعْرِفُ بِحُكْمِ صِدَاقَةِ أُسْرَتِهِ لِأَسْمَهُانَ أَوْ آمَالِ
الْأَطْرَشِ .. كَانَ يَعْرِفُ كُلَّ مَا يَحْدُثُ فِي بَيْتِ الزَّوْجِيَّةِ .

وَذَهَبَ الْإِمْرَأَةُ إِلَى إِمَامِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى « الْفَيْلَلَا » الَّتِي
كَانَتْ أَسْمَهُانَ تَقِيمُ فِيهَا هِيَ وَزَوْجُهَا أَحْمَدُ سَالِمٌ ..
وَوَجَدَ أَحْمَدُ سَالِمٌ مَتَمِدًّا فَوْقَ فِرَاشِهِ .. وَقَدْ شَدَّ
فَوْقَهُ الْغَطَاءَ .. وَكَانَهُ يَحَاوِلُ أَنْ يَخْفَى تَحْتَهُ شَيْئًا مَا
كَانَ بِيَدِهِ !

وَأَنْطَلَقَ أَحْمَدُ سَالِمٌ يَسِبُ وَيَشْتُمُ فِي أَسْمَهُانَ وَفِي
حَسَنِينِ وَحَاوَلَ إِمَامُ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَهْدِيَهُ مِنْ ثَوْرَتِهِ ، ثُمَّ
حَاوَلَ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهُ وَلَكِنْ أَحْمَدُ سَالِمٌ صَاحِبُ بَهْ أَنْ يَقِفَ
فِي مَكَانِهِ وَلَا يَقْتَرِبَ وَأَعْلَنَ أَنْ بِيَدِهِ مَسْدَسًا وَأَنَّهُ سَوْفَ
يَطْلُقُ الرِّصَاصَ عَلَى كُلِّ مَنْ يَحَاوِلُ الْقَبْضَ عَلَيْهِ !
وَدَارَتْ مَنَاقِشَةٌ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ ..

إِمَامُ إِبْرَاهِيمَ يَتَكَلَّمُ بِهِدْوً وَلُطْفًا يَحَاوِلُ أَنْ يَهْدِيَهُ مِنْ

ثورة أحمد سالم وأن يقنعه أن ليس هناك ما يخشاه . .
ويحاول في نفس الوقت أن يقترب قدما بقدم وخطوة
بخطوة من الفراش الممدد فوقه أحمد سالم . . !

وأحمد سالم يصف أسمهان بأقبح النعوت ويروى ما
فعلته وما تزال تفعله معه وكيف انها تخونه مع حسنين !
وفي لحظة ما . . اعتقد امام ابراهيم انه أصبح على
قرب كاف من الفراش ، فوثب على أحمد سالم محاولا
الامساك بيده التي تمسك بالمسدس . .
وانطلقت رصاصة أصابت الاميرالاي امام ابراهيم ،
وأعقبته رصاصة أخرى دخلت في صدر أحمد سالم ،
واستكنت في إحدى رثتيه !

وكانت الضجة الكبرى ، وخرجت الصحف تحمل
العناوين بالبنت الكبير وتروى مأساة أحمد سالم وأسمهان
ولكن الصحف لم تنشر شيئا من أقوال أحمد سالم
عن أحمد محمد حسنين باشا رئيس ديوان الملك . . لأن
البوليس والسلطات كتمت الأمر عن الصحف . .

ونقل أحمد سالم تحت الحراسة - أو مقبوضا عليه -
الى القصر العيني ، وقد بقي أياما طويلة في خطر الموت . .
وقد وجهت اليه تهمة الشروع في قتل زوجته أسمهان
وتهمة مقاومة واطلاق الرصاص على الاميرالاي امام
ابراهيم اثناء القيام بواجبه . .

قلت ان الصحف لم تنشر شيئا من أقوال أحمد سالم
عن أحمد حسنين لأن البوليس كتم الأمر عن الصحف ،
والنيابة لم تستطع استجواب أحمد سالم لخطورة حالته
ولكن الحكومة - حكومة الوفد أو وزارة - فبراير -
سمعت طبعاً بكافة التفاصيل وكذلك سمع بها القصر

وجميع من فى القصر . .
وعرفت نازلى ان زوجها احمد حسنين قد «عاد» الى
اسمهان . . او ان اسمهان قد عادت الى حسنين !
أما الوفديون فقد سروا سرورا كبيرا وحمدوا الله
الذى مكن لهم من عدوهم رئيس الديوان احمد حسنين
وأعود هنا بالقارىء الى الوراء . .

سبق ان قلت ان حسنين كان أقسم بعد حادث {
فبراير الذى عده لطمة على وجهه . . أقسم على ان ينتقم
للقصر ولنفسه من سفير بريطانيا ومن مصطفى النحاس
وانه اعتقد فى شهر ابريل ١٩٤٣ ان الفرصة مواتية
لانتقام ولاقالة الوزارة ، ورد اللطمة للسفير وللنحاس
ولكن لندن أرسلت انذارا الى القصر تقول فيه : انها
لا تسمح فى الظروف الحاضرة بتغيير الوزارة أو اجراء
اى تعديل فى الاوضاع . .

وعرف الوفديون يومئذ ان انقلابا أو اقالة كانت توشك
ان تقع . . وان وراءها حسنين باشا رئيس الديوان !
واضمروا الشر للرجل . .

وأصبح العداء سافرا بين حكومة الوفد ورئيس الديوان
وذات يوم - وقبل حادث احمد سالم واسمهان بشهور
قليلة - ذات يوم تقدم نائب وفدى الى «معالي» وزير
المعارف بسؤال عن المدارس الصناعية التابعة لوزارته
وعن نشاط « ورشها » فى صناعة الاثاث والرياش . .
وهل لهذه المدارس ديون عند بعض كبار الموظفين ؟ . .

ووقف وزير المعارف يجيب على السؤال ويقول ان
الموظف الكبير الوحيد المدين لاحدى المدارس الصناعية
هو صاحب المقام الرفيع احمد حسنين باشا رئيس الديوان
وان رفعتة كان أوصى احدى المدارس الصناعية على صنع
طقم كذا وعدد موائد ومقاعد كيت . .

وان المدرسة الصناعية المذكورة انجزت الطلب وأرسلت
الاثاث المطلوب الى حسنين باشا . . وبعثت معه بالفاتورة
وقدرها كذا جنيها وكذا مليمات . .

ولكن حسنين لم يدفع وان المدرسة طالبتة مرة
ومرتين . . فلم يدفع . .

وأخيرا حولت المدرسة الاوراق الى وزارة المعارف
ومضى وزير المعارف يقول ان الوزارة قد بح صوتها من
مطالبة حسنين باشا بسداد الدين . . ولكنه لم يدفع !

وكانت فرصة ! . . ووقف أكثر من نائب وفدى ليخرج
لسانه لرئيس الديوان ويسخر منه ويشمت به ويطالب
الحكومة بأن تكون حازمة وان تفعل كذا وكذا مع هذا
المدن المماطل الذي اسمه أحمد محمد حسنين !

ووقف النائب الاستاذ فكرى أباطة يدافع عن حسنين
باشا ويقول للنواب الوفديين - وكان صديقنا يومئذ
كما كان دائما من نواب المعارضة - وقف يقول لهم ما
معناه ان هذا الدين ينهض دليلا على شرف ونزاهة
وأمانة أحمد محمد حسنين ! . . وان هذا الرجل الذي
يشغل هذا المنصب الكبير الخطير في القصر والذي كان
يمكنه ان يستغل منصبه - كما فعل آخرون غيره - ليجمع
ثروة طائلة . . هذا الرجل عاجز عن سداد دين لايزيد
عن مائة أو مائتين من الجنيهات . .

عاجز عن سداد الدين لأنه رجل فقير وشريف ونزيه
وأمين . .

وهاج النواب الوفديون ضد صديقنا فكرى أباطة . .
وعاد هو يقول ان حملتهم هذه ضد رئيس الديوان هي
صفار في صفار . .

واشتد هياجهم وصاح بعضهم ان فكرى أباطة يشتم
المجلس . .

واستمر فكري أباطة في الكلام . .
وأخيرا طلب منه رئيس المجلس أن يكف عن الكلام
وان يجلس . .
ولكن فكري مضى في كلامه ولم يجلس . .

هذا وثورة النواب تزداد وهياجهم يزداد وفكري أباطة
ماض في الكلام والدفاع عن رئيس الديوان وأخيرا أمره
رئيس المجلس بأن يخرج ويفادر قاعة المجلس ورفض
فكري أباطة أن يخرج . .
ودقت الاجراس . . وأسرع حرس المجلس . . وأمرهم
الرئيس باخراج النائب المحترم فكري أباطة من قاعة
الجلسة . .

وحمل الحراس صديقنا فكري أباطة . . وخرجوا به
وهو يصيح بأعلى صوته مخاطبا نواب الوفد : « يامساكين
انكم تلعبون بالنار . . انكم تلعبون بالنار ! »

وبعد ساعة واحدة من هذا الحادث في جلسة مجلس
النواب ذهب سير والتر سمارت الموظف الكبير يومئذ
بالسفارة البريطانية وقابل رئيس الوزارة مصطفى النحاس
وقال له مامعناه ان الحكومة البريطانية التي تؤيد بقاء
وزارة رفعتة ضد رغبات القصر تعد نفسها والحالة هذه
مسئولة عن تصرفات الوزارة . . وانها لا تفر تصرفات
نوابه في جلسة اليوم وتنظر الى هذه الحملة ضد رئيس
الديوان بعدم الارتياح . . وترجو من رفعة رئيس الوزارة
أن يعمل شيئا يزيل به الاثر السيء الذي خلفته هذه
الحملة الظالمة في النفوس . .

واقترح جنابه أن يحذف من مضبطة الجلسة كل ما
دار وكل ما قيل حول هذا السؤال وحول حسنين باشا
ووافق السيد مصطفى النحاس . .

وفي اليوم التالي اجتمع مجلس النواب . . ووقف
النائب فكرى أباطة ويده مضبطة الجلسة السابقة وقال
ان في المضبطة نقصا يريد أن ينبه اليه !
وسأله رئيس المجلس عن النقص المذكور ، فقال :
— لم أجد شيئا في مضبطة الجلسة عن حادث طردى
من المجلس ! . .

وصاح النواب المحترمون :

— ما حصلش . .

وسألهم فكرى أباطة :

— ألم تطردونى من الجلسة ؟

— أبدا . . ما حصلش ! . .

— والكلام اللي قلتوه عن حسنين باشا ؟

— ما حصلش . . .

— والكلام اللي قلته أنا ؟

— ما حصلش . . .

وفهم فكرى أباطة . . وسأل قبل أن يجلس :

— يعنى ما حصلش سؤال . . وما حصلش جواب

من وزير المعارف . . وما حصلش حاجة أبدا ؟ . .

وصاحوا جميعا :

— برافو عليك . . ادنت فهمت ! . . ما حصلش !

وهكذا انتهت هذه المهزلة . . ولكنها خلفت وراءها في

نفوس الوفديين حقدا جديدا — ان جاز هذا التعبير —

ضد رئيس الديوان حسنين باشا لأن حذف كل ما دار

حوله في الجلسة السابقة قد فوت على الوفديين غرضهم

في النشر والتشهير به !

ومن هنا كان سرورهم كبيرا بحادث أحمد سالم

وبأسمهان . . وبالذور الذى لعبه عدوهم حسنين باشا

في الحادث المذكور . .

وارسلوا أحدهم الى احمد سالم في مستشفى قصر
العينى يعرض عليه أن يوكل عنه أحد كبار المحامين الوفديين
وكان غرض الوفديين هو أن يقف المحامى الوفدى
الوكيل عن أحمد سالم . . يقف في محكمة الجنايات
ويروى علنا وعلى رءوس الاشهاد قصة حسنين وأسْمهان
وكيف ان احمد سالم هو الضحية المسكينة لرئيس
الديوان الى آخره . . الى آخره . .

وما من شك في انها كانت تكون الضربة القاضية على
احمد حسنين !

ولكن القدر شاء غير ما دبر الوفديون . . ذلك انه لم
تمر أيام على الحادث المذكور حتى سافرت أسْمهان
بسيارتها الى رأس البر . . وانقلبت بها السيارة في
الترعة . . وغرقت ولاقت منيتها قبل الاوان . .
وكان هذا في شهر يولية . .

وفي شهر اكتوبر - وقبل أن تعرض قضية احمد
سالم على محكمة الجنايات أقيمت وزارة الوفد . وهكذا
نجح احمد حسنين من أكبر فضيحة كان يمكن أن تهدد
مستقبله ولكنه لم ينج من أثرها وكان من آثارها انه بعد
أن كان في شهر ابريل ١٩٤٣ المرشح الوحيد لرئاسة
الوزارة التى تخلف وزارة الوفد . . عدل عن اختياره
الى اختيار المرحوم الدكتور أحمد ماهر . .

وكانت ثورة القضب في صدر أحمد سالم قد ماتت
بموت أسْمهان . . ومن هنا لم يقل شيئا عن حسنين
باشا عندما نظرت قضيته أمام محكمة الجنايات . .

الكتاب الثاني

أحمد محمد حسنين
في الحياة العيامة

على ماهر.. والاعتداء على الدستور والحياة النيابية

المذكرات التي أدونها هنا نقلا عن أحمد حسنين باشا لم أسمعها منه في جلسة واحدة أو في جلستين بل في عدة جلسات تمت بين عامي ١٩٤١ و ١٩٤٢ .
والذي لاحظته - وأسجله هنا - أن حسنين كان حريصا أو محترسا الى حد ما في حديثه عن على ماهر . أيام كان هذا رئيسا للديوان ثم رئيسا للوزارة . ولم يتحدث حسنين معي بصراحة ويفرغ ما في صدره أو معظم ما في صدره عن على ماهر الا بعد خروج على ماهر من رئاسة الوزارة .
كذلك ربما كان لوقف المعارضة الشديدة الذي وقفته دائما من على ماهر أثر في اطمئنان حسنين الى وهو يتحدث عن صاحب المقام الرفيع .



١ - قال لي حسنين بصراحة انه هو المسئول الى حد كبير عن تعيين على ماهر رئيسا لديوان الملك وانه قال لفاروق ذات يوم : « أظن يامولانا انه قد حان الوقت لكي نعين على ماهر رئيسا للديوان » .

٢ - وان على ماهر أخطأ في اقالة الوزارة النحاسية الوفدية في ديسمبر ١٩٣٧ لأنه كان من رأيه - رأى حسنين - أن يبقى النحاس في الحكم أطول مدة ممكنة

حتى «تبان» سيئات حكمه وحكم الوفدين أمام الشعب بشكل قاطع حاسم .

٣ - وان الملك فاروق كان يثق في أول الامر في على ماهر وكان لعلى ماهر عند فاروق نفس النفوذ الذي كان يتمتع به مكرم عند النحاس . ولكن على ماهر بدأ يدس لمحمد محمود رئيس الوزراء بعد أسبوعين اثنين من أيام وزارته . . .

٤ - وان على ماهر كان دائما يدس لخصومه على أساس ان هذا ذو ميول انجليزية وان ذلك كذلك . . . فبعد ثلاثة أسابيع بدأ على ماهر يصب في أذن فاروق كلاما عن محمد محمود وكيف انه ذو ميول انجليزية . وهكذا نجح في اضعاف ثقة فاروق في محمد محمود .

٥ - وان على ماهر عندما تولى منصب رئيس الديوان كان له نفوذ كبير عند فاروق الى درجة ان فاروق كان يخافه ويعمل له حسابا . بل كان اذا تأخر دقائق عن موعد ما مع على ماهر اقبل يعتذر لعلى ماهر عن تأخره عن الميعاد .

ويقول احمد حسنين ان على ماهر نجح كرئيس للديوان في أول الامر نجاحا كبيرا . . « ويومئذ حمدت الله » . . هكذا يقول حسنين . . فقد وفيت الدين الذي وضعه الملك فؤاد في عنقي وأديت أمانتي وهانذا قد نجحت في تعيين رئيس ديوان يعرف واجبه .

٦ - يعتقد حسنين ان على ماهر كان أفضل رئيس ديوان وانه لولا مطامعه وشهوته في تولى رئاسة الوزارة لكان خيرا له ولفاروق وللبلد لو بقى رئيسا للديوان .

٧ - بعد اقل من شهر واحد من تولية محمد محمود رئاسة الوزارة - بعد اقالة وزارة النحاس - بدأ على ماهر يدس له عند فاروق ويضع العراقيل في طريق الوزارة .

وعندما وضع الهدف الذى يسعى اليه على ماهر وهو اسقاط محمد محمود لكي يتولى هو رئاسة الوزارة . وأدرك فاروق ماهنالك هبطت قيمة على ماهر فى نظره الى حد ما . . بعد أن عرف أن على ماهر له مطامع شخصية وشهوات وأغراض مثل غيره من زعماء مصر .

ومن هنا فقد على ماهر كثيرا من نفوذه عند فاروق وبعد أن كان فاروق يعتمد على «على ماهر» أمسى على ماهر هو الذى يعتمد على تأييد فاروق .

٨ - كان على ماهر هو الذى أشار بإقالة وزارة النحاس فى شهر ديسمبر ١٩٣٧ وبإسناد رئاسة الوزارة الى محمد محمود . ومع ذلك فقد سعى - بعد شهر قليلة - الى مقابلة النحاس سرا وفى ظلام الليل على كورنيش رمل الاسكندرية لكي يتآمر معه على اسقاط وزارة محمد محمود . ولما عرف فاروق بخبر هذه المقابلة مط شفتيه . . وتوالى هبوط أسهم على ماهر .

٩ - كان على ماهر وهو رئيس للوزارة يقول لفاروق « جاءنى السفير مايلز لمبسون اليوم وطلب منى كذا ولكنى رفضت وقلت له مش ممكن . . » ثم يعود بعد يومين ويقول لفاروق « جاءنى السفير اليوم وطلب منى كيت وكيت . . وأظن يامولانا تقدر نساوم ونعطيه ماكان طلبه منذ يومين فى مقابل أن يتنازل عن طلباته الاخيرة »

وهكذا أدركنا فى القصر ان على ماهر كان يلبي طلبات الانجليز بينما هو يتظاهر بأنه صامد امامهم كالطود الشامخ

١٠ - لما توفى حسن صبرى باشا كان على ماهر هو السياسى الوحيد الذى أستشاره فاروق يومئذ فى الموقف . ولم يعرف أحد بهذا الخبر أو بمقابلة على ماهر لفاروق لأن المقابلة لم تنشر فى بلاغ ديوان كبير الامناء . ولقد خرج على ماهر يومئذ من مقابلة فاروق وقال

لخاصته « الوزارة في جيبى » ويظهر انه كان رشح لرئاسة الوزارة صديقه محمد محمود خليل الذى اشاع الخبر بين أصدقائه وتلقى منهم التهاني .

١١ - ولكن حسنين رشح لرئاسة الوزارة حسين سرى . وكانت مفاجأة غير سارة لعلى ماهر .

هذه هي المذكرات التى وجدتتها مدونة في كراسة . ولعل القراء قد لاحظوا انها مدونة بأسلوب أشبه ما يكون بالاختزال . . بل هي تكاد تكون رعوس موضوعات . . كل رأس منها يصلح موضوعا لحديث مستفيض .

ولكننى أكتب هنا قصة أحمد محمد حسنين لا قصة على ماهر أو مصطفى النحاس أو محمد محمود . ومن هنا لن أعرض لأحد من هؤلاء الا بالقدر الذى يقتضيه الحديث عن المرحوم أحمد حسنين .
وأبدأ برئاسة الديوان . .

قلت في الفصول السابقة ان المرحوم احمد حسنين كان ذا مطامع واسعة . وكان يسعى لأن يكون الرجل الاول في الدولة بعد الملك . . وكان البرنامج الذى وضعه ذا خطوات . .

الخطوة الاولى رئاسة ديوان الملك .

الخطوة الثانية رئاسة الوزارة .

وبين الخطوتين . . خطوة لا بد منها للتثبيت والتأمين

ودعم المركز . . وهى الزواج من نازلى أم الملك . .

ولكن بعض أصدقاء حسنين ينكر على قولى انه كان ذا مطامع . . وانه كان يريد رئاسة الوزارة . . ويحاول أن يدفع عن حسنين هذه « التهمة » كأنما الطموح نقيصة أو سبة يجب أن تدفع وتفنند . .

وقد يجد هذا البعض من أصدقاء حسنين في صدر

هذا الفصل ما يؤيد قوله . . فيسألنى لماذا أشار حسنين على فاروق بتعيين على ماهر رئيسا للديوان . . ولم يطلب المنصب لنفسه اذا كان - كما تقول - طموحا طامعا في المناصب ؟

والجواب : ان حسنين كان يعرف يومئذ - في اواخر عام ١٩٣٧ - ان الوقت لم يحن بعد لتوليته المنصب المذكور . . وان فاروق يحب على ماهر ويشق فيه الى حد كبير باعتباره « رجل أبيه » الملك أحمد فؤاد وموضع ثقته . . وان فاروق يريد ان يعين على ماهر رئيسا للديوان لكي يقف بجانبه كما وقف الى جانب أبيه أحمد فؤاد .

وكانت الخصومة وأسباب الخلاف قد ظهرت وتعددت بين فاروق وحكومة الوفد برئاسة مصطفى النحاس . . وكانت رئاسة الديوان في حاجة يومئذ الى رجل قوى او « أزرق الناب » في السياسة ومناوراتها لكي يستطيع الوقوف في وجه الاغلبية الوفدية الكبيرة . . ولم تكن لفاروق ثقة كبيرة يومئذ في كفاءة حسنين كسياسي ومناور أزرق الناب .

كذلك لم يكن من مصلحة احمد حسنين ان يصطدم يومئذ بالوفد وحكومة الوفد ومصطفى النحاس وهو الاصطدام الذي كان لابد من وقوعه بين الوفد وبين الذي يتولى رئاسة الديوان .

وأمر آخر يعرفه كل الذين عرفوا احمد حسنين ودرسوا أخلاقه . . وهو انه كان يريد الشيء . . ولكنه ينكر انه يريد او يشتهي . . وكان يتطلع الى المنصب ولكنه يزعم انه زاهد فيه لا يريد .

كانت سياسته - اذا أراد أو اشتهى أمرا ما - أن يناور ويداور ويحاول أن يحمل أصحاب الشأن على أن

يعرضوا عليه الامر أو الشيء الذي يريدہ ويشتهيہ . .
تماما كما فعل في أمر زواجه من الملكة نازلي .
اما أن يطلب الشيء صراحة ، فلا . . لم يكن هذا من
خلق أو سياسة حسنين . . وفي ضوء هذه الحقائق
وهذه الاخلاق وهذه السياسة نفهم لماذا تطوع حسنين
وأشار على فاروق بتعيين على ماهر رئيسا للديوان .

لأن فاروق كان يحب ويثق الى حد كبير في على ماهر
ولأن على ماهر كان الوارث الطبيعي للمنصب المذكور . .
ثم سبب آخر وهو أهمها جميعا . . كان حسنين يعرف
على ماهر ، ويعرف عنه ما لا يعرفه فاروق . . وكانت
الوسيلة الوحيدة لأن «ينكشف» على ماهر أو «يكشف
عن حقيقة نفسه» هي تعيينه في منصب رئيس الديوان
بالقرب من فاروق . .

أو بعبارة أخرى كان تعيين على ماهر في رئاسة الديوان
هو الخطوة الأولى للقضاء على نفوذ على ماهر عند فاروق
وقد صح ما توقعه حسنين . . ونجحت سياسته
و «انكشف» على ماهر أمام فاروق . . وهبطت أسهمه
هبطت أثناء توليه رئاسة الديوان . . وتوالى هبوطها
بعد توليه رئاسة الوزارة . .

ثم لم يمض عام ١٩٤١ حتى كان على ماهر قد فقد
نفوذه القديم عند فاروق . .

وأعود الآن الى بداية الحديث عن رئاسة الديوان . .

قلت في فصل سابق ان الدكتور عباس الكفراوي
طبيب فاروق فاتحني ذات يوم وكنا في قصر كنرى هاوس
بالقرب من لندن - في أمر منصب رئيس الديوان الشاعر
واقترح على أن أفاتح حكومة الوفد في أمر تعيين الاستاذ
نجيب الهلالي في المنصب المذكور .

واعتقد ان عباس الكفراوي لم يرشح نجيب الهلالي

لرئاسة الديوان الا بعلم واذن فاروق . ولكن حكومة الوفد لم توافق على هذا الترشيح لأن الاستاذ نجيب الهلالي لم يكن يومئذ وفديا صميما بل كان لايزال حديث العهد بالوفدية . .

ولأنه كان خصما للأستاذ محمود فهمى النقراشي الذي كان له نفوذه ولم يكن قد خرج أو أخرج بعد من الوفد .

وثالثا وأخيرا لأن حكومة الوفد كانت ترغب في تعيين الاستاذ عبد الفتاح الطويل المحامي المعروف رئيسا للديوان . وكان الاستاذ الطويل قد تولى من قبل منصب الوكيل البرلماني لشئون القصر .

وكان حسنين - اذا عرضنا قبل عودتنا الى مصر لحديث المنصب الشافر وأسماء المرشحين لرئاسة الديوان - كان يقول : « ياريتنى كنت أنفع . لكن ياخسارة ما انفعش أبدا لأنى يامحمد زى ما انت عارف ما افهمش حاجة فى السياسة . وده منصب سياسى عاوز واحد يفهم فى السياسة » .

وكان يكررها لعل وعسى أن أقاطعه وأقول : « بل أنت تنفع . . أو أنت خير من يصلح رئيسا للديوان » ؟

وعدنا الى مصر فى أواخر شهر يولية ١٩٣٧ وواجهت حكومة الوفد فى أول شهر من تولية فاروق سلطاته الدستورية عدة مسائل أو مشاكل منها حكاية المرحوم يوسف الجندى ويمين الولاء التى يقسمها الجيش وهل تكون للملك وحده أو للملك والدستور . . وحكاية التاج التى أشرت اليها فى فصل سابق . . ثم منصب رئيس الديوان . .

وقد رشحت حكومة الوفد على التوالى للمنصب المذكور الأستاذ عبد الفتاح الطويل . الأستاذ نجيب

الهلالى . الدكتور حافظ عفيفى . الاستاذ محمد أمين يوسف .

ورفض فاروق هذه الاسماء ورشح من جانبه على ماهر . ورفضت حكومة الوفد هذا الترشيح .

قالت نازلى ملكة مصر السابقة ذات يوم عقب وفاة زوجها الملك أحمد فؤاد . . قالت لشقيقها حسين صبرى :

— ان فاروق طفل وعنيد ، وأنا أخاف عليه من هذا « الطقم » القديم الموجود فى السراى « طقم » سعيد ذو الفقار وشوقى وعبد الوهاب طلعت وغيرهم . . وأخشى أن يملأوا رأسه بالكلام الفارغ ضد الوفديين أو يوغروا صدره ضد مصطفى النحاس كما كانوا يفعلون مع « المرحوم » ابيه . . وهذه تكون مصيبة لأن فاروق اذا اصطدم بالوفد فسوف يأكله مصطفى النحاس . . وأنا أعلم ان لك أصدقاء بين كبار الوفديين وأطلب منك أن تذهب وتقول لهم بلسانى وثيابة عنى ان نازلى تقول لكم : « فاروق ابنكم فخذوه وربوه وعلموه . . وانها تضعه امانة فى أيديكم ولكنها تنصحكم فى نفس الوقت أن تبعدوا عنه بل وعن السراى كل هذا « الطقم القديم » . .

وهكذا قدرت الملكة الأم أنها تستطيع أن تنقذ ابنها الغلام وتنقذ عرشه اذا هى أسلمته امانة الى الوفديين الأقوياء أصحاب الحكم والاعلية « يربونه ويعلمونه » . . ويبعدون عنه رجال « الطقم » القديم .

أو بعبارة أخرى لقد أرادت نازلى أن تلجأ الى شهامة الوفديين . وكان رجال « الطقم » القديم — كما أسمتهم — هم : سعيد ذو الفقار كبير الامناء ، وشوقى باشا السكرتير الخاص ، وعبد الوهاب طلعت باشا مدير الادارة العربية .

وذهب حسين صبرى باشا الى صديقه السيد عبد الحميد البنان وأبلغه رسالة شقيقته الملكة السابقة ونقل عبد الحميد البنان الرسالة الى أحمد ماهر ومصطفى النحاس . .

ولكن الوفد أو حكومة الوفد لم تعمل بمشورة نازلى فلم تطلب اقصاء أو طرد أى موظف كبير من موظفى القصر . . بل أبقوا القديم على حاله . ولو أنهم كانوا عملوا بنصيحة نازلى وتقدموا الى مجلس الوصاية طالبين فصل أو نقل فلان وفلان وفلان من كبار موظفى السراى لأجابهم مجلس الوصاية الى طلبهم . . خصوصا ان رئيس المجلس المذكور الأمير محمد على توفيق كان يكره جميع كبار موظفى السراى بالجملة والقطاعى .

وشريف صبرى عضو المجلس هو شقيق الملكة السابقة نازلى . وكان طبيعيا أن ينفذ مشورة شقيقته . والعضو الثالث عبد العزيز عزت باشا كان رجلا مسالما ويميل - اذا مال - الى جانب الوفديين .

ولكن حكومة النحاس الوفدية أهملت أولعها استهانت بالأمر كله ولم تر داعيا أو ضرورة لعمل أى شىء . وكان الوفديون يعتقدون يومئذ ان الجؤ قد صفا لهم . وانهم باقون فى الحكم الى ما شاء الله . . فخصمهم القوى العنيد الملك أحمد فؤاد قد مات . . وأسباب الخصام والصدام بينهم وبين الانجليز الذين كانوا اصحاب الكلمة الاولى فى شئون مصر وحكم مصر . . هذه الاسباب قد زالت بعد عقد معاهدة عام ١٩٣٦ ، وعلى العرش غلام صغير أو «ولد» كما كانوا يصفون فاروق فى مجالسهم الخاصة - ولد صغير لايجرؤ على الوقوف أمامهم . . وهم اصحاب الاغلبية الساحقة فى مجلسى البرلمان . صفا لهم الجؤ اذن وطاب . . فما الحاجة اذن وما

الضرورة لاجراء عملية قاسية مثل فصل أو طرد عدد من كبار موظفى السراى . .

وهكذا بقى « الطقم » القديم . وتولى فاروق سلطاته الدستورية وليس فى القصر كله مسئول واحد أو موظف كبير واحد يحب الوفديين أو يرضى أن يقول فيهم كلمة واحدة طيبة . . حتى ولو كانت كلمة يفرضها العدل والانصاف . . لأنهم جميعا كانوا من رجال الملك أحمد فؤاد . . الطاغية المستبد الذى لم يكن يؤمن بشيء اسمه الشعب أو حقوق الشعب أو الدستور أو الحياة النيابية وكان « رجاله » هؤلاء من نفس رأى « مولاهم » أحمد فؤاد

واقترحت حكومة الوفد أول ما اقترحت تعيين الاستاذ عبد الفتاح الطويل رئيسا لديوان جلالة الملك . وقالت فى تأييد أو فى تزكية هذا الاقتراح ان الاستاذ الطويل سبق له أن تولى منصب الوكيل البرلمانى لوزارة شئون القصر . . وانه والحالة هذه على علم وخبرة بهذه الشئون وانه على علاقات طيبة مع جميع موظفى القصر . . الذين يذكرونه ويذكرون العمل معه بالحمد والثناء .

وهنا قال كبار موظفى القصر : نعوذ بالله من عبد الفتاح الطويل والعمل مع عبد الفتاح الطويل . . لقد كان كذا وكذا . . ولقد قاسينا من العمل معه كيت وكيت . . ثم . . ما معنى أن يكون رئيس الديوان وفديا من صميم الوفديين . .

وكان هذا هو اعتراض فاروق . . فقد قال : ان رئيس الديوان بطبيعة عمله ومنصبه هو حلقة الاتصال بين الملك أى رئيس الدولة وبين الوزارة . . وهو الحكم والميزان . . وهو مطالب بتسوية أى مشكلة أو خلاف فى الرأى قد يقوم بين القصر والوزراء . . ومن هنا يجب أن يكون رجلا مستقلا الرأى محايدا لا يميل مع الهوى

لا رجل حزب قد أقسم يمين الولاء والطاعة لرئيس حزبه مصطفى النحاس والآن فكيف يمكن لرجل حزبي مثل عبد الفتاح الطويل إذا اختلف القصر مع الوزارة في أمر من الأمور كيف يمكن له أن يتحرر من هواه الحزبي والآن يميل بكفة الميزان ؟ غير معقول .
ثم قال فاروق :

— أنا أريد أن يكون إلى جانبي رئيس ديوان يقول دائما كلمة الحق ويسوى المشاكل ويصون حقوقى لا رجل وفدى سوف يكون همه أن يأخذ منى لكى يعطى حكومة حزبه وإذا وقعت في خلاف مع النحاس وجدت اننى قد وقعت في خلاف مع النحاس وعبد الفتاح الطويل وتصبح المشكلة مشكلة مع رئيس الحكومة ومع رئيس الديوان .

وطبعاً لم يكن هذا الرد المنطقي القوي من تفكير فاروق الذى كانت سنه يومئذ ثمانية عشر عاماً هلالية أو سبعة عشر عاماً ميلادية والذى كان نصف أمى لم ينل من العلم الا قشوراً بل أقل من القشور والواقع أنه كان الرد الذى لقنه آياه السيد عبد الوهاب طلعت

وكان عبد الوهاب طلعت لا يزال يومئذ الصديق المخلص للسيد على ماهر وكان يقوم بدور همزة الوصل أو « ضابط الاتصال » بين على ماهر وفاروق ينقل الى على ماهر أولاً بأول كل ما يدور بين القصر والوزارة ويعود بآراء على ماهر وفتاواه في المشاكل وبما ينبغى أن يقوله فاروق لرئيس الحكومة .

وعدل مصطفى النحاس عن ترشيح الاستاذ عبد الفتاح الطويل وعرض بدلاً منه اسم دكتور حافظ عفيفى سفير مصر يومئذ في لندن وهو يقول :
— لقد اعترضتم على تعيين رجل وفدى في منصب

رئيس الديوان . . وهاهو حافظ عفيفى . . رجل مستقل
كان موضع ثقة المرحوم الملك أحمد فؤاد . . ولم يكن
وفديا في يوم من الأيام . . بل لقد كان في وقت ما حرا
دستوريا ومن ألد خصوم الوفد والوفديين .
وجاء الرد من القصر :

— كله إلا كده . . كله إلا حافظ عفيفى . . انه رجل
متهم بالعيب في الذات الملكية .
وكيف ذلك ؟

كان فاروق قد زار إنجلترا صيف عام ١٩٣٧ قبل
عودته الى مصر . وكان الدكتور حافظ عفيفى قد
« تشرف » بالمقابلة بصفته سفير مصر هناك . .

وجاء « ابن الجلال » الذى قال لفاروق ان حافظ
عفيفى خرج بعد المقابلة يقول : « ده لسه عيل صغير
وبكره الوفديين يحطوه في جيبهم » وهذه هى تهمة العيب
في الذات الملكية التى تمنع من تعيين حافظ عفيفى في
منصب رئيس الديوان .

وكيف تطلبون تعيين حافظ عفيفى رئيسا لديوان
الملك وهو الذى قال عن الملك انه : « لسه عيل ؟ » .

وأثناء هذه المفاوضات والمناقشات حول رئيس
الديوان ومن يرشح له . . كان الخلاف قد بدأ بين الاستاذ
مكرم عبيد وعثمان محرم من جانب ، والنقراشى
ومحمود غالب من الجانب الآخر .

وتطور الخلاف واشتد . . وقرر النحاس أو مكرم
عبيد أو كلاهما معا ان التعاون مع النقراشى وزميله
محمود غالب داخل هيئة الوزارة أصبح أمرا مستحيلا .
وانتهى الامر بخروج الاثنين من الوزارة .

ورأى الوفد — أو النحاس ومكرم عبيد — ان من
الصواب استرضاء النقراشى الذى كان معدودا يومئذ

من كبار أقطاب الوفد وله نفوذه وله أنصاره وخصوصا بين شباب الوفد وأعضاء الهيئة الوفدية . . رأوا أن يترضوه فعرضوا عليه منصب مندوب الحكومة المصرية لدى شركة قناة السويس وكان المنصب شاغرا يومئذ . ولم يشغل هذه الوظيفة أو هذا المنصب مكافأة سنوية قدرها خمسة آلاف جنيه .

وتم العرض في « بيت الأمة » وفي مكتب سعد زغلول وكان الوفد لا يزال يجتمع ويعقد اجتماعاته في بيت سعد وكان رئيس الوفد مصطفى النحاس يستقبل زائريه في مكتب سعد زغلول .

وفي هذا المكتب استقبل النحاس « زميله » النقراشي وعرض عليه المنصب المذكور وأبدى النقراشي شكره وقد بدا عليه التأثير الشديد وقام وعائق مصطفى النحاس . واعتقد الجميع ان المسألة قد سويت . . وان السحابة انقشعت وان خروج النقراشي من الوزارة لن يؤثر على علاقاته مع زملائه أعضاء الوفد . . أو على مركزه في هيئة الوفد .

ولكن جريدة « البلاغ » لم تسكت بل انتهزت هذه الفرصة وخرجت بمقال لصاحبها الصحفي الكبير تعاتب فيه - أو تعيب فيه - على النقراشي قبوله للمنصب ذي الخمسة آلاف جنيه .

وجريدة « البلاغ » كانت معدودة يومئذ لسان حال القصر وكان صاحبها المرحوم الاستاذ عبد القادر حمزة قد بدأ يشن هجومه العنيف على الوفد ورئيس الوفد وحكومة الوفد . .

وقالت الجريدة في مقالها المذكور انها لا تصدق هذا الخبر بل وترفض أن تصدق أن رجلا مشهودا له بالنزاهة والاعتزاز بالنفس مثل محمود فهمى النقراشي

يرضى أن يساوم على مبادئه وعلى نزاهته . . . فيتراجع
عن خطوة خطاها . . . الى آخره .
وكلاما كثيرا في هذه المعاني . وكان للمقال أثره
المقصود . . . وأعلن النقراشي - رحمه الله - انه لم يقبل
المنصب المعروض وانه ماض في سياسته وفي معارضة
مشروعات عثمان محرم وزير الاشغال .

وتكهرب الجو من جديد . . . وعاد الخلاف الى ما كان
عليه . . . وبدأ ان فصل محمود النقراشي من عضوية
الوفد المصري أمر لا بد منه . . . وهنا ارتفعت أسهم
الاستاذ عثمان محرم الذي كان اختلف مع النقراشي . . .
ومكرم عبيد الذي كان اختلف مع محمود غالب . . .
وارتفعت كذلك أسهم نجيب الهلالي . . . لأنه - كما ذكرت
في مقال سابق - كان خصما للنقراشي وكان بين الاثنين
عداء أو كراهية لا يعرف أحد على وجه التحقيق كيف
بدأت . . .

ارتفعت أسهم الاستاذ الهلالي في دوائر الوفد . . .
وبين يوم ويوم أصبح مقربا من رئيس الوفد مصطفى
النحاس وسكرتير الوفد مكرم عبيد ومعدودا من كبار
أقطاب الوفديين . . .

وتذكر النحاس ومكرم عبيد ان محمد التايبي كان
ارسل اليهما من انجلترا خطابا ذكر فيه خلاصة حديث
دار بينه وبين الدكتور عباس الكفراوي طبيب فاروق
الخاص . . . وكيف ان طبيب الملك يرشح نجيب الهلالي
لمنصب رئيس الديوان . . . تذكرنا هذا الخطاب وهذا
الترشيح . . . فتقدما الى القصر يقترحان تعيين الاستاذ
الهلالي رئيسا للديوان .

وقال فاروق : « اشمعني دلوقت ؟ لقد رفضتم
تعيين الهلالي أيام كان مستقلا والآن ترشحونه بعد أن

أصبح وفديا ؟ .. كلا .. «
وأصر فاروق على أن رئيس الديوان يجب أن يكون
رجلا مستقلا .. ومن غير رجال الأحزاب ..

وعادت حكومة الوفد ورشحت لمنصب رئيس الديوان
المرحوم الاستاذ محمد أمين يوسف الذى كان يشغل
منصب وزير مصر المفوض فى واشنطن وكان موجودا
يومئذ « فى اجازة » .

وعاد رسول الوفد يحمل رد القصر على هذا الترشيح
بالرفض .. لماذا ؟ لأن فاروق كان قد اجتمع بمحمد
أمين يوسف على ظهر الباخرة النيل اثناء عودة «جلالته»
من رحلته الى أوروبا .. وعودة المرشح المذكور بالاجازة
من أمريكا وقد لاحظ فاروق ان وزيره المفوض كثيرا ما
يرفع الكلفة بينه وبين « مولانا » فيضحك مثلا أمامه
بصوت عال . وفى كلمة واحدة فان «مولانا» لم يستخف
دم الاستاذ محمد أمين يوسف ..

وانتهى الوفد الى هذه النتيجة وهى ان فاروق مصمم
على رفض أى مرشح وكل مرشح تقدمه حكومة الوفد .
لأنه يريد تعيين على ماهر رئيسا للديوان ..
وبعث مصطفى النحاس رسولا الى القصر يقول بلسانه
ان على ماهر رجل «مستحيل» والتعاون معه أمر مستحيل
كما تدل السوابق .. وان حكومة الوفد النيابية الدستورية
لايمكنها ان تقرر تعيين السيد على ماهر فى هذا المنصب
الخطير لأنه رجل سبق له ان اشترك مع محمد محمود
باشا ثم مع اسماعيل صدقى باشا ومن قبلهما مع احمد
زيور باشا فى الاعتداء على الحياة النيابية وعلى الدستور
والوفد حامى الحريات وحامى الحياة النيابية وحامى

الدستور لا يستطيع أن يوافق على تعيين هذا الذى
اعتدى على الحريات وعلى الحياة النيابية وعلى الدستور
وتأزم الموقف بين فاروق وحكومة الوفد . ولم يكن
الخلاف حول الذى يعين رئيسا للديوان سوى سبب
واحد أو مصدر واحد من مصادر الخلاف فقد كان
هناك أكثر من مصدر وأكثر من سبب واحد . .
كان هناك مثلا « القمصان الزرق » وهى الهيئة أو
المنظمة التى أنشأها الوفد على غرار القمصان السود
فى ايطاليا الفاشية و«القمصان البنى» فى المانيا النازية .
وقال فاروق يومئذ - أو قيل له - ان النحاس باشا
يمهد بقمصانه الزرق لإقامة نظام ديكتاتورى يحكم به
مصر كما يحكم موسوليني فى ايطاليا وهتلر فى المانيا .
وكانت هناك مسألة التاج الذى يشتهيه فاروق وكان
يريد أن تقام له حفلة كبرى يدعى إليها ملوك ورؤساء
الدول فى العالم . . وكان المفروض أن تكتب جميع
الطوائف والطبقات بتكاليف صنع هذا التاج .
وكان الوفد - أو حكومة الوفد - يعارض أولا فى
حكاية التاج هذه ويقول ان التاج أمر مخالف للشريعة
الاسلامية ، ولكن فاروق طلب من المرحوم الاستاذ الشيخ
المرافى شيخ الجامع الأزهر يومئذ أن يعلن ان ليس فى
« التاج » شىء يخالف الاسلام . وتحدث شيخ الأزهر
فعلا الى جريدة « المصرى » فى هذا المعنى وأعلن أن
الاسلام عرف ولا يزال يعرف التاج والتيجان وأن ليس
فى حمل التاج ما يخالف تعاليم الاسلام . « وكان الشيخ
المرافى - رحمه الله - كما هو معروف رجل القصر » .
وهنا تراجع الوفد . . ووافق على مشروع التاج ،
ولكن موافقته كانت من طرف اللسان !
وخاف خصوم الوفد أن تكون حكاية التاج هذه سببا

في اطالة عمر وزارة الوفد اذ ان جمع المال اللازم من طبقات الشعب قد يستغرق شهورا .. وعمل التاج - وكان المقرر ان يكلف بصنعه محل «كارتييه» الجواهرجي الشهير في باريس - سوف يستغرق شهورا .. ثم الاستعدادات الضخمة لحفلة التتويج التي سوف يدعى اليها ملوك ورؤساء حكومات العالم .. الى آخره .. كل هذا قد يستغرق عاما او عامين ..

خاف اذن خصوم الوفد ان يكون مشروع التاج سببا في اطالة عمر وزارة مصطفى النحاس فقالوا لفاروق ان الوفد لم يعدل عن معارضته ويوافق على تقديم التاج الا لانه يجد فيه فرصة طيبة لتحريض الشعب ضد «مولانا» ونشر اسباب التذمر والشكوى من صاحب الجلالة .. ذلك لان في البلاد ازمة اقتصادية وأسعار القطن في هبوط .. ولسوف يجمع أعوان الحكومة والوفد المال من الاهالي ومن الفلاحين بالقوة والاكراه ويقولون لهم ان هذه اوامر الملك الشاب لانه يريد ان يضع على رأسه تاجا وتقام له « زفة » يدعى اليها ملوك العالم ؟

واقتنع فاروق .. وأمر باصدار بلاغ الى الصحف يعلن فيه عدم رغبته في التاج مراعاة للحالة الاقتصادية في البلاد وشفقة ورحمة برعاياه المخلصين .

ولكن فاروق أحس مرارة الخيبة في فمه فقد كان يشتهي فعلا تاجا يضعه على رأسه ومن ثم ازداد كرهه للوفد ولمصطفى النحاس الذي كان السبب في حرمانه من تاجه المنشود .

وأدركت مما كنت أسمعه من أفراد الحاشية المقربين الى فاروق ان الامور تسير من سييء الى أسوأ . وكنت يومئذ أقوم - بصفة غير رسمية - بما يشبه مهمة « ضابط الاتصال » بين فاروق وحكومة الوفد .

وكننا في أوائل شهر سبتمبر . وذات مساء زرت
«رفعة» رئيس الوفد ورئيس الحكومة في داره في سيدى
بشر برمى الاسكندرية وكان يجلس مع «رفعته» الدكتور
محمد صلاح الدين . .

ولكننى لم أكد أبدا الحديث فيما جئت من أجله حتى
أشار النحاس الى صلاح الدين أن ينسحب فانسحب .

وتحدثت طويلا الى « رفعته » وكان حديثى كله فى
معنى واحد وهو أن « جلالة الملك » قد بدأ يسئ الظن
بالوفد ورئيسه لأنه أصبح يعتقد أن النحاس باشا
يكرهه ويريد الاعتداء على حقوقه . . وأن بعض كبار
الوفدين يتحدث فى المجالس الخاصة عن فرصة الانتقام
من الملك فاروق لما فعله معهم أبوه الملك فؤاد .

ورفع النحاس باشا يديه واستعاذ بالله وقال ان هذه
كلها أكاذيب من صنع خصومه وانه - وأقسم بالله
العظيم - « يجب فاروق ويستبشر به ويرى الخير فى
وجهه » .

ثم استطرد يقول :

- وأنا لا أفكر ، ومعاذ الله أن أفكر فى الاعتداء على
حق واحد من حقوقه الدستورية ، ولكننى فى نفس الوقت
لا ولن أفرط فى حق واحد من حقوق الأمة وحقوق
حكومتها النيابية التى كفلها الدستور .

وكان « رفعته » يشير الى مسألة تعيين رئيس الديوان
وحق الحكومة فى اختيار الذى يعين فى المنصب المذكور .
ثم قال انه لا يستطيع أن يمنع « بالقوة » تعيين على
ماهر باشا رئيسا للديوان ولكن

- وليكن هذا مفهوما منذ الآن . . ولكننى لن أوافق
على هذا التعيين . .

قلت :

وأمر آخر يأخذونه عليكم وهو ان الوزارة لم تقم حتى الآن بعمل ما تظهر به ارتياحها وسرورها بخطبة جلالة الملك .

وكان فاروق قد أعلن خطبة الأنسة صافيناز ذوالفقار قال وهو يدق بيده المائدة الصغيرة :
- أهى دى معاهم حق فيها . . أيوه معاهم حق . .
تمام معاهم حق . .

ثم قال انه سوف يقيم بعد غد حفلة شاي في حديقة انطونيادس ابتهاجا بالخطبة الملكية السعيدة .

وأقيمت الحفلة ودعى اليها جميع الشيوخ والنواب وكبار موظفى القصر . وتخلف عن حضور الحفلة مكرم « باشا » عبيد بسبب وعكة أصابته .

وحضر الحفلة النقراشى « باشا » . . وما أن رآه الشيوخ والنواب الوفديون حتى أحاط به عدد كبير منهم يرحبون به ويرجونه أن يسوى الخلافات التى بينه وبين زملائه أعضاء الوفد .

وبينما هم كذلك أقبل مصطفى النحاس ، ورأى النقراشى فتقدم منه ومد اليه يده ، وتصافح الرجلان ، وصفق الحاضرون وهتف الاستاذ حسن يس بحياة النحاس

وردد الحاضرون الهتاف ثم هتف بحياة النقراشى ، وردد الحاضرون الهتاف ، وهنا تعانق النحاس والنقراشى ودوى التصفيق الحاد وعلا الهتاف .

وتفاءل الحاضرون خيرا واستبشروا بعودة المياه الى مجاريها بين النقراشى ومصطفى النحاس .

وبعد الحفلة ذهبت أعود الاستاذ مكرم عبيد فى داره وصعدت اليه فى غرفة نومه وكان مستلقيا فى فراشه ولا بد ان أحدهم كان أبلغه بالتليفون خبر مقابلة النحاس مع النقراشى وكيف تصافحا وتعانقا وصفق لهما الشيوخ

والنواب ، لأنه سألني عن التفاصيل فرويتها له ..
وعلت فمه ابتسامة يعرفها أصدقائه .. وقال :
- كده .. طيب لما نشوف ..

ثم تناول سماعة التليفون الموضوع بجانب فراشه
وطلب دار « رفعة » الرئيس ، وكان النحاس باشا قد
عاد الى داره مباشرة بعد انتهاء حفلة الشاي ، وبعد
حديث قصير عن وعكة مكرم وما الذي يشكو منه قال
الاستاذ مكرم وهو يضحك ضحكته القصيرة المتقطعة :
- مبروك يا باشا ..

ولابد ان النحاس باشا سأل « مبروك على ايه ؟ »
لأنه قال مع الضحكة القصيرة المتقطعة - مبروك الصلح
مع النقراشي ..

ولم أسمع طبعاً ماذا قال مصطفى النحاس ، ولكنني
فهمت من رد مكرم عبيد ان النحاس انكر أن هناك
صلحاً لأن مكرم قال :

- أنا كمان استغربت الخبر وقلت مش معقول ..
وانتهى الحديث ، وعادت الابتسامة الطبيعية المشرقة
الى فم الاستاذ مكرم عبيد .. ذلك لأن الاستاذ مكرم
عبيد كان لا يزال يؤمن الايمان كله في ذلك الوقت ان كل
عضو يختلف مع رئيس الوفد مصطفى النحاس يجب
أن يبتز من جسم الوفد بلا تردد أو رحمة ..

كان هذا هو مبدأ مكرم عبيد في عام ١٩٣٧ وهو نفس
المبدأ الذي طبقه عليه مصطفى النحاس في عام ١٩٤٢ .
ولقد كان لاختلاف النقراشي مع مصطفى النحاس
ومكرم عبيد نتيجة لم تخطر ببال أحد في أول الامر .
لقد توقعوا مثلاً - وهو ما حدث فعلاً - أن يفضب
أحمد ماهر لفضب صديقه وزميله النقراشي وأن يقف
الى جانبه يؤيده ويدافع عنه وعن رأيه .. ولكن أحداً

لم يتوقع أن تفضب السيدة الجليلة صفة زغلول كل هذا الغضب من أجل النقراشى الى حد ان تهدد باغلاق بيت الامة او بيت سعد في وجه الوفد ومصطفى النحاس اذا استمر هذا الخلاف .. وهو ما حدث فعلا بعد ذلك ببضعة شهور .

ان أحدا من أعضاء الوفد لم يكن يتوقع هذه الفضية من جانب « أم المصريين » . ولكنها غضبت ولم تخف انتقادها لمصطفى النحاس ومكرم عبيد وسياسة الاثنيين التي توشك ان تمزق الوفد - تراث سعد - شيئا وأحزابا ..

وقيل يومئذ ان السيدة الجليلة لم تكن تنتظر سوى حادث ما - أى حادث - لكى تعلن سخطها وغضبها على مصطفى النحاس ومكرم عبيد .. وان حكاية النقراشى لم تكن السبب الحقيقى وان كانت السبب المباشر لغضب السيدة أم المصريين .

وقال لى الاستاذ مكرم عبيد فى حديث طويل ان السيدة الجليلة غاضبة من الوفد منذ زمن طويل وانها كانت تتحين الفرصة التى تعلن فيها هذا الغضب ..

قال : لقد أدخلوا فى روعها انها «جان دارك» مصر ..

سألته : من هم الذين أدخلوا هذا فى روعها ؟

قال : بعض أقاربها وأنسابها ..

ومضى الاستاذ مكرم عبيد فى حديثه فقال :

- لقد قالوا لها اننا اخطأنا فى حقها يوم سافرنا الى لندن لامضاء المعاهدة « معاهدة ١٩٣٦ » ولم نصحبها معنا لكى تشترك مع بقية زعماء مصر فى امضاء المعاهدة بصفتها أرملة سعد زغلول .. ولقد عاتبتنا حضرتها على هذا .. كما لامنا بعض الناس اننا لم نطلب من مجلس الوصاية الانعام عليها بالوشاح الاكبر من نيشان محمد

على . . أسوة بالدين أنعم عليهم منا بالوشاح المذكور . .
وذات مرة استدعتني الى مقابلتها وقالت لى انها لاحظت
اننا لم نعد نستشيرها فى أمورنا وفى شئون البلد كما كنا
نفعل من قبل . . وانها قد أصبحت فى نظرنا كمية مهمة
قال مكرم :

— واستغفرت الله وأكدت لها انها ما زالت عندنا كما
كانت موضع الاحترام والتقدير ولكن اذا كنا لم نعد
نستشيرها كما كنا نفعل فذلك لأنه ليس هناك ما
نستشيرها فيه . . وقد كنا نسألها الرأى أيام كنا فى
المعارضة وكنا نعرض عليها بيانات الوفد ونداءات رئيس
الوفد الى الأمة وما أشبه . .

أما اليوم فى أى الأمور أستشيرها أنا مثلا ؟ هل
أذهب اليها كوزير للمالية واستشيرها فى امر الاعتماد
المخصص لبناء دار جديدة لمحكمة مصر الشرعية ؟ أو
يذهب اليها زميلى وزير الخارجية ويستشيرها فى امر
فتح قنصلية جديدة لمصر فى مدينة ميلانو . .
أذن فقد كانت السيدة الجليلة — يرحمها الله — غاضبة
ساخطة على الوفد ورئيسه وسكرتيره ولم تكن تنتظر
سوى الفرصة الملائمة لإعلان هذا الغضب . .

وقد سنحت الفرصة وأعلنت أم المصريين غضبها وانها
تقف الى جانب النقراشى وكان النقراشى — رحمه الله —
من أنسابها وزوجا لسيدة كريمة من بنات الأسرة . .
وهكذا . . كسب النحاس ومكرم خصما جديدا قويا
فى شخص زوج سعد وأم المصريين وكانت صفية هانم
زغلول صديقة لنازلى ملكة مصر . . وكانت نازلى تحترم
أم المصريين احتراما شديدا . . ولا عجب فقد كانت
الآنسة نازلى صبرى تقبل يد صفية هانم زغلول قبل
أن تصبح سلطانة مصر وزوج السلطان أحمد فؤاد . .

وزارت أم المصريين القصر . . واستقبلها فاروق وأمه
نازلى بالتحية والاكرام . .
ولم تخف السيدة الجليلة رأيها وخيبة أملها في مصطفى
النحاس ومكرم عبيد وسياستهما التى توشك أن تمزق
الوفد شيئا وأحزابا . .
وأدرك فاروق انه اذا وقع خلاف بينه وبين الوفد
وحكومة الوفد فان أرملة سعد زغلول أم المصريين سوف
تقف الى جانبه وتؤيده أمام الشعب الذى كان ولا يزال
يقدر ذكرى زوجها الراحل العظيم .

وهكذا . . لم يكن قدمضى على عودة فاروق من رحلته
الى أوروبا وممارسته لسلطاته وحقوقه الدستورية
شهران اثنان - من ٢٨ يولية الى آخر سبتمبر ١٩٣٧ -
حتى كانت حكومة الاغلبية الوفدية تواجه جبهة قوية
معارضة مكونة من :

رأس الدولة فاروق

جميع كبار موظفى القصر او «الطاقم» القديم الذى
ترعرع ونما فى عهد الطاغية أحمد فؤاد .
على ماهر وأعوانه وأذنايه فى القصر وخارج القصر .
أحزاب الاقلية . الاحرار الدستوريين والوطنيين
والاتحاديين « ولم يكن حزب السعديين قد تكون بعد » .
وفوق هذا وذلك خلاف فى صفوف الوفد يوشك أن
ينتهى بخروج النقراشى واحمد ماهر ومعهما عدد من
الشيوخ والنواب .

كل هذه العوامل مجتمعة أضعفت هيبة الوفد فى نفس
فاروق .

ومن ثم أقدم على ما كان مترددا فى الاقدام عليه خوفا
من صولة الوفد وشوكته . . وتحدى حكومة الوفد ،

وأصدر أمره «الكريم» بتعيين على ماهر رئيسا للديوان .
وكان هذا في شهر أكتوبر ١٩٣٧ . . .

اذن فقد أقدم فاروق على اتخاذ الخطوة التي كان
مترددا في اتخاذها . . فأصدر أمره بتعيين على ماهر
باشا رئيسا لديوانه .

وكان هذا التعيين أو هذه الخطوة ايذانا بسياسة
التحدى التي سار عليها فاروق ورجاله . . سياسة
التحدى للوفد ورئيس الوفد وحكومة الوفد وأغليبيتها
اللاحقة في مجلسي البرلمان . . وايدانا بسياسة الاستهانة
والاستهتار بسلطة البرلمان وحقوق الشيوخ والنواب
ممثلي الأمة . . أو بعبارة أخرى : سياسة استهانة القصر
واستخفافه بالحكم النيابي وحقوق وحریات وسلطات
الشعب .

ولسوف يقول التاريخ ان المسئول عن هذه السياسة
وهذا الاتجاه الخطير الذي سارت فيه سياسة القصر
ابتداء من بحريف عام ١٩٣٧ . . المسئول هو رئيس
الديوان السيد على ماهر . . .

ولقد سمعتها بنفسى من جميع كبار موظفى القصر ولا
أحب أن أذكر هنا أسماء حتى لا أخرج أحدا منهم .

وكان احمد حسنين - رحمه الله - قال لى ذات يوم
ونحن على ظهر الباخرة « النيل » فى طريق عودتنا مع
فاروق الى مصر - وقد أكون أشرت الى هذا الحديث -
قال :

- ان أخشى ما أخشاه أن يسير فاروق فى نفس
الطريق التى سار فيها أبوه من قبل . . ولقد صحبتنا
خمسة شهور وعرفت الملك ودرست أخلاقه عن قرب
ولعلك لاحظت انه عنيد وانه اذا داس احد على طرفه
شب على قدميه وضرب المعتدى بشدة وعنف . . ولهذا

أرجوك أن تقنع أصحابك الوفديين بأن فؤاد قد مات . .
وان فاروق لا ماضى له معهم وانه فى امكانهم بشىء من
السياسة والكياسة أن يكسبوه . وعليهم أن يقدروا
مركزه وشعوره بأنه لا يزال غلاما وان أقاربه الأمراء سوف
يضحكون ويسخرون منه ويعيرونه بحدائثة سنه وقله
خبرته اذا هو أظهر ضعفا أمام الوفديين ويعقدون المقارنات
بينه وبين أبيه . . قل للوفديين أن يجعلوا لهذه المسألة
تقديرا فى حسابهم فلا يقدموا على عمل يكشف عن ضعف
هذا الملك الشاب أو يثير سخرية أقاربه الأمراء . . والا
فانه لن يسكت بل سوف يشب على قدميه ويرد الصاع
صاعين . . ويوم يسير فاروق فى نفس الطريق التى سار
فيها أبوه الملك أحمد فؤاد أى طريق اقالة الوزارات وحل
مجالس النواب فانه سوف يسير فى الطريق ويندفع فيها
الى نهاية الشوط لأنه شاب وعنيد ومعتز بحب الشعب
له والتفاهة حوله . . وليس له - ما كان لأبيه - من
خبرة ومرونة ودهاء . .

وهذه هى خلاصة حديث أحمد محمد حسنين على
ظهر الباخرة « النيل » قبل وصولنا الى الاسكندرية
بيومين اثنين .

وفى اليوم السابق على وصولنا الى الاسكندرية . .
وكنت متكئا بدراعى على حاجز السفينة شعرت بيد على
كتفى فالتفت واذا به فاروق . وألقيت فى الماء بالسيجارة
التى كانت فى يدي .
وقال فاروق :

- لعلك كنت «سارحا» فى مصر التى نصل اليها غدا
وانا أيضا أفكر فيها كثيرا فى هذه الايام وفى المسئوليات
التى سوف أحملها على كتفى .
ثم قال - من حديث طويل - انه لا يعرف شيئا عن

أحوال البلد ولم يدرس بعد سياسة البلد وسياسة
الأحزاب وان أمامه خمس سنوات سوف يقضيها في
الدرس والبحث .. وانه لن يتدخل في شئون الحكم الا
بأقل قدر ممكن ثم - وهذه كلماته بحروفها :
- وفي البلد اقلية تحكم وسوف أتركها تحكم ..
والشعب وحده هو الذي يغيرها اذا شاء ..

ووصلنا الى الاسكندرية في صباح اليوم التالي .
وارتدى فاروق ورجال حاشيته سترة الردنجوت .
وكان اول من صعد الى ظهر الباخرة المرحوم سعيد
ذو الفقار باشا كبير الامناء وخلفه المرحوم مراد محسن
باشا ناظر الخاصة ..
وأسرع فاروق ليقابل كبير أمنائه الشيخ في منتصف
الطريق احتراماً من الفتى للشيخ العجوز ورحمة به ..
ومد فاروق يده ليصافح كبير أمنائه وعلى فمه
ابتسامة ترحيب .. واذا بالشيخ كبير الامناء ينحني
فوق يد فاروق ويلثمها .. وأشهد ان فاروق حاول
في رفق ان يسحب يده حتى لايلثمها الشيخ العجوز ..
ثم تركها ..
وتقدم مراد محسن باشا ولثم بدوره يد الملك ..
وتراجع الرجلان بظهريهما الى الورا ..
ثم صعد رئيس الوزراء والوزراء .. وبعضهم اكتفى
بالانحناء فوق يد الملك الغلام .. وبعضهم الآخر لثم
« اليد الكريمة » .
وأعتقد ان هذه اللحظة كانت نقطة التحول في أخلاق
فاروق او في نظرتة الى البلد وكبار البلد من سياسة
وزعماء .. فقد كانت هذه اول مرة ينحني فيها شيوخ
مسنون في مثل سن ابيه او جده ويلثمون يده .

ثم لم يمض يومان أو ثلاثة حتى تحدث مصطفى النحاس
رئيس الوزراء عن « حكمة جلالة الملك المحبوب وعن
ارشاداته السامية ونصائحه الغالية » ..

حكمة وارشادات ونصائح غلام أمي أو نصف أمي ؟
وكان فاروق يعرف عن نفسه وعن جهله أكثر مما يعرف
الناس.. ماذا كان ينتظر من شاب حديث السن والخبرة
ورث الملك والعرش والسلطان والثروة الطائلة والصحة
والشباب والوسامة - يومئذ - ووجد من حب الشعب
وتهليله ما وجد.. ومن خضوع كبار البلد وزعمائه
ولثمتهم ليده وتراجعهم بظهورهم الى الورااء امامه ..
ماذا كان ينتظر منه الا ان يدور رأسه وتنقلب فيه
الاضاع والموازن؟! ..

وأعود الى أصل الحديث : كان تعيين على ماهر رئيسا
للدیوان بالرغم من معارضة حكومة الاغلبية الدستورية
ايدانا ببدء سياسة التحدى والاستهانة بالحكم النيابي
وبالدستور .

وبدأت سياسة المرمطة المقصودة ، ورأسم خطوطها
« رفعة » رئيس الديوان على ماهر « باشا » .

كل طلب تتقدم به حكومة الوفد مرفوض ، المراسيم
التي ترسلها الوزارة الى القصر للامضاء .. تعطل وتبقى
في الديوان .

وفي الصحف - بين الحين والحين - غمز ولمز في حكومة
الوفديين

وفي جريدة « البلاغ » بالدات - وكانت يومئذ كما سبق
ان قلت لسان حال القصر وعلى ماهر رئيس الديوان -
فيها ويقلم صاحبها الصحفي الكبير القدير مقالات نقد
مرير لمصطفى النحاس وحكومته .

مثلا : مصطفى النحاس رجل مصاب بلوثة في عقله !

ومصطفى النحاس يهدف لقلب نظام الحكم ويسلح عصيات قمصانه الزرق بالخناجر ! ومصطفى النحاس قليل الادب في حق «سيد البلاد» لأنه يتأخر عن مواعيده مع فاروق ، ولأنه يخلع طربوشه ويمسح عرقه أمام فاروق .. الى آخره .. الى آخره .

وكنا نعرف ان وراء هذه الحملة السيد على ماهر رئيس الديوان ، ثم بدأ الخلاف بين الوزارة ورئيس الديوان حول مدى حقوق الملك الدستورية .. وما هي التعيينات التي تتم بمراسيم والتعيينات التي ينفرد بها الملك ويصدر بها « أمرا ملكيا كريما » .

وتمسكت الوزارة بنصوص الدستور .. وخصوصا بالنص القائل ان الملك يحكم بواسطة وزرائه ، لانه غير مسئول .. وان الملك يسود ولا يحكم ..

وقال على ماهر ان الملك يسود ويحكم معا . وهكذا مضى رئيس الديوان « ينفخ » في رأس الملك الشاب ، ويفهمه - بالقول والعمل - ان ليس في البلد كله مخلص لجلالته سواء ، لانه حريص على حقوقه .. ولانه ينزع له في كل يوم حقوقا جديدة تزيد في سلطة الملك وسلطانه .

وهكذا وضع على ماهر أساس سياسة المزايدة في حقوق الملك على حساب حقوق الشعب والبرلمان .

هذا بينما وقفت أحزاب الاقلية المعارضة وزعمائها بتفرجون شامتين في الوفد وحكومة الوفد مسرورين فرحين بالمرمطة التي يتلقاها مصطفى النحاس .

ولقد نسوا انه اذا كان هذا هو نصيب الاغلبية من الاحترام والتقدير أو الهزء والاستهانة فماذا يكون مبصرهم ونصيبتهم هم اذا تولوا الحكم ؟ ولكنهم لم يفكروا ولم يقدرُوا ، أولم يهتموا لأن شهوة

الحكم كانت عندهم أقوى من كل شيء . . وكان كل نهمهم أن يخطموا الوفد والوفديين حتى ولو حطموا معهم حقوق البلد ودستور البلد أو باعوها للجلاد ثمنا لرءوس الوفد والوفديين .

وكان الخلاف بين الوفد والنقراشي باشا قد بلغ مداه وأصدر الوفد قرارا يفصل النقراشي من عضوية الوفد. واتخذ النقراشي «مكتبا» له بشارع المدايغ - شريف الآن - ولم يكن المكتب للتجارة أو السمسرة أو المحاماة أو لعمل ما مما تفتح المكاتب من أجله ، ولكنه كان للمعارضة وهكذا كان مكتب المرحوم النقراشي باشا أول مكتب فيما أعلم يفتح للمعارضة . . وكان النقراشي يقابل أنصاره في المكتب المذكور . .

وبدأ الناس يتحدثون عن أحمد ماهر وكيف انه ضالع مع صديقه وزميله النقراشي وانه ينتظر الفرصة لإعلان خروجه على زعامة مصطفى النحاس . . وكان المرحوم أحمد ماهر يومئذ رئيسا لمجلس النواب

وكانت الوزارة تتخبط في سياستها أو قل ان شئت انه لم تكن لها سياسة مرسومة . كانت مثلا تعارض فاروق في مسائل صغيرة وكانت ترفض له طلبات صغيرة وتقف منه موقف « العناد » ومن ثم تحمله على الاعتماد على دعاة السوء من خصوم الوفد وتفريه بالاصفاء اليهم والى مشورتهم . هذا بينما كانت في نفس الوقت تتساهل في أمور خطيرة وترفض أن تتخذ قرارات حاسمة أو تتخطو خطوات جريئة يفرضها الموقف المضطرب مخافة أن يكون في هذه القرارات أو هذه الخطوات ما يخالف نصوص الدستور أو روحه ومعناه .

وضعت هيبة الحكومة ، وارتفع مقام القصر وراح كل موظف كبير في الدولة يتطلع الى القصر ويلتمس رضا القصر ، وعمت الفوضى .

واذكر انى كتبت يومئذ مقالا في «آخر ساعة» وجهت فيه الحديث الى «رفعة» مصطفى النحاس باشا وقلت فيه ما معناه : «أخشى من فرط حرصك على الدستور أن تضيع الدستور» .

وكان أموان على ماهر باشا يتحدثون صراحة في كل مجلس عن قرب سقوط وزارة الأغلبية البرلمانية الوفدية وكان الأحرار الدستوريون يتحدثون عن قرب عودتهم الى الحكم . . .

وسافرت أنا الى أوروبا في مساء ٢٧ نوفمبر عام ١٩٣٧ على ظهر إحدى البواخر . وفي صباح اليوم التالي دخل على خادم الباشا يحمل الشاي ونسخة من البرقيات التي أذاعها ماركوئي أثناء الليل .

وبينها برقية من القاهرة تقول ان مصريا اسمه كذا أطلق الرصاص على رئيس وزراء مصر ، بينما كان في سيارته في طريقه الى حفلة عامة .

وأرسلت برقية الى النحاس باشا هنأته فيها بنجاحه ثم قلت له : «أحكم أو اترك الحكم» .

وفي يوم ٣١ ديسمبر ١٩٣٧ أصدر فاروق أمره الملكي بإقالة وزارة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا .

وهكذا تحققت مخاوف أحمد محمد حسنين . وخطا فاروق اول خطوة في نفس الطريق التي سار فيها أبوه أحمد فؤاد .

خطاها بمشورة رئيس ديوانه السيد على ماهر . ونفس السيد على ماهر كان مستشار الملك أحمد

فؤاد وزجله الاول في حزب الاتحاد أو حزب البراي أو حزب « القش » كما سماه الزعيم الخالد سعد زغلول . وكان هو صاحب الفتوى في اقالة وزارة النحاس الاولى في يونية عام ١٩٢٨ . وكانت هذه اول اقالة في تاريخ الحكم النيابي في مصر . فالسيد علي ماهر الذي اُفتي وفتح باب الاقالات أمام أحمد فؤاد في عام ١٩٢٨ ، هو نفس السيد علي ماهر الذي اُفتي وكتب صيغة الاقالة وفتح نفس الباب أمام فاروق في آخر ديسمبر ١٩٣٧ . واندفع فاروق في نفس الطريق حتى بلغ نهاية الشوط فلا حرمة للدستور ولا للبرلمان ولا للشعب وممثليه ولا لحقوق الاغلبية ..

أمر كريم مكتوب بخط جميل علي ورق مصقول وممهور بامضاء «سيد البلاد» فاروق يكفي لشل الدستور وتعطيل نصوصه لفظا ومبنى ومعنى وطرد الحكومة التي اختارها الشعب لغير ما سبب سوى السبب الذي يفتي به رئيس الديوان .. على هواه .

ولم يفاجأ الوفديون بهذه الاقالة ، فان شائعات اقالة الوزارة كانت قد ملأت الجو . كما كان أنصار علي ماهر وزعماء الاحرار الدستوريين - كما سبق ان ذكرت - قد ملأوا البلاد أخبارا عن قرب سقوط حكومة الوفد ، وعودتهم هم الى الحكم .

ولكن الوفديين لم يكونوا قد فقدوا كل امل .. ذلك ان موظفا من موظفي وزارة المالية اسمه أمين عثمان كان نجمه بدأ يلمع لا لسبب الا لانه صديق شخصي للسفير البريطاني سير مايلز لامبسون ولرجال السفارة ولكبار رجال الانجليز في مصر .

وكان هذا الموظف أو النجم الصاعد من «محاسيب»

الاستاذ مكرم عبيد الذى كان أتى به من وظيفته المتواضعة فى الاسكندرية وأسبغ عليه رعايته وعطفه . وكان أمين عثمان يقوم بدور الوسيط ويسهل أو يسوى الأمور بين الوزارة والسفير البريطانى وقال أمين عثمان للوفديين : « لا تصدقوا هذه الشائعات . وعندى تأكيد من سير مايلز لمبسون أن حكومته لن تسمح باقالة الوزارة » .

قالها المرحوم أمين عثمان لمصطفى النحاس . وقالها لمكرم عبيد . وقالها لكل من قابله من أعضاء الوفد . .

وبدا يومئذ ان الأمر سباق بين على ماهر رئيس الديوان وبين أمين عثمان وسيط الوفد أيهما الذى يسبق صاحبه ويفوز بثقة وتأييد السفارة البريطانية . هل يفوز على ماهر فتطلق السفارة يده فى اقالة الوزارة وتقف على الحياد ؟ أو يفوز أمين عثمان وتتدخل السفارة وتحول دون الاقالة ؟

وهكذا كان الأمر . . اكبر سلطتين فى الدولة . . القصر والوزارة الدستورية البرلمانية كلاهما يلتمس تأييد السفارة والسفير البريطانى . وقاز على ماهر فوزا مبينا . . على أمين عثمان . . وكانت الاقالة . .



واجتمع مجلس النواب . . وأمر رئيس المجلس أحمد ماهر بتلاوة مرسوم الاقالة ثم قال انه لايسمح بالتعليق عليها . . وهاج النواب الوفديون . . ووقف أكثر من واحد منهم يعلق ويعقب على الاقالة . .

وأحمد ماهر يدق جرس الرياسة ويطلبها من النواب عنم الكلام . . واشتد هياج النواب . . وكانت جلسة صاخبة . . وأخيرا أمر أحمد ماهر بوليس المجلس باطفاء

الانوار . . ورفع الجلسة وغادر منصة الرئاسة .
واضطرب النواب ان يغادروا المجلس، ومن هناك ذهبوا
الى النادي السعدي ، ولم يتردد المرحوم احمد ماهر
في الذهاب معهم فقد كان رحمه الله لا تنقصه الشجاعة
ووقف احمد ماهر بين صيحات الغضب والاستنكار
والسخط والشتائم والاثام بالخيانة وقف يهاجم سياسة
مصطفى النحاس الخاطئة التي ادت الى اقالة الوزارة . .
واشتد هياج النواب وهياج اعضاء الوفد . .
وغادر احمد ماهر قاعة الاجتماع ، وانسحب معه
تسعة وعشرون شيخا ونائبا من اعضاء الهيئة الوفدية،
خرج ، وخرجوا ولم يعودوا لانهم أسسوا الحزب
السعدي وانتخبوا احمد ماهر رئيسا للحزب ومحمود
فهى النقراشي وكيلًا للحزب .
وأعلنت المغفور لها صفية هانم زغلول انها كانت فتحت
بيت الامة أو بيت سعد لابناء سعد يجتمعون فيه . .
ولكنهم - وقد اختلفوا وتفرقوا - فانها تغلق بيت سعد
ولا تسمح لأحد منهم بعقد أى اجتماع فيه . .
واقبلت وزارة الاغلبية الوفدية بفتوى من رئيس
الديوان على ماهر . . وكانت الفتوى « ان أعمال الوزارة
تجافي روح الدستور » .
لان الوزارة قالت : ان الملك يسود ولا يحكم . . بينما
روح الدستور - هكذا يزعم رئيس الديوان - تنص على
ان الملك يسود ويحكم .
واذن ففي موقف الوزارة مجافاة لروح الدستور . .
وهكذا اقبلت وزارة مصطفى النحاس وخلفتها في الحكم
وزارة مؤلفة من الأحرار الدستوريين ومن كبار المستقلين
برئاسة المرحوم محمد محمود باشا .

وكان محمد محمود هو « الوريث » السياسي الطبيعي لمصطفى النحاس . فقد كان حزبه هو حزب المعارضة . وكان - رحمه الله - زعيم المعارضة . ومن هنا لم يكن في استطاعة على ماهر أن يقفز الى رئاسة الوزارة مباشرة بعد اقالة مصطفى النحاس . والا لكانت المسألة « مكشوفة » . . . ترك « رفعتة » اذن محمد محمود يتولى رئاسة الوزارة . . . ولكن الى حين !

واستصدرت الوزارة أمرا بحل مجلس النواب . . . وأجريت انتخابات جديدة وكانت « جديدة » حقا في نوعها فان التنافس بين المرشحين الوفديين وخصومهم من رجال الاحزاب الأخرى لم يكن يدور حول مبادئ أو اختلاف في السياسة الداخلية أو الخارجية . كلا . . . بل كان يدور حول مدى اخلاص الطرفين لفاروق . . .

وكان بعض المرشحين يلصقون اعلانات الدعاية لأنفسهم على جدران القاهرة مكتوبا فيها « انتخبوا فلانا مرشح السراى » ، أو « لا تنتخبوا فلانا لانه مفضوب عليه من جلالة الملك المحبوب » ، ولم تجر الحكومة المؤتلفة هذه الانتخابات في يوم واحد . . . بل أجرتها على عدة أيام . . . أجرتها أولا في الوجه القبلى ثم أجرتها في الوجه البحرى . . .

وحشدت قوات من الجيش ورجال البوليس وبعثت بها الى مراكز الانتخابات في الوجه القبلى للمحافظة على الامن العام . . .

ثم عادت وتقلت نفس القوات الى الوجه البحرى للمحافظة على الامن العام وكان واضحا ان قصد الحكومة هو الإرهاب والتأثير في حرية الانتخابات . . . وادرك رجال

الإدارة في الأقاليم أن المطلوب هو إسقاط مرشحي الوفد
فعملوا على إسقاطهم . . وأسفرت نتائج الانتخابات
الأولى - في الوجه القبلي - عما يشبه الفوز لحزب
الأحرار الدستوريين دون السعديين . .
وهنا شكوا السعديون إلى السراي من أن رجال الإدارة
المؤتمرين بأوامر رئيس الوزارة وزعيم الأحرار الدستوريين
محمد محمود يضطهدونهم ويعملون على إسقاطهم لكي
ينجح مرشحو الأحرار الدستوريين .

وصدرت الأوامر من رئاسة الديوان رأساً إلى مديري
الأقاليم « بمساعدة » مرشحي حزب السعديين . .
وانقلبت الموازين في انتخابات الوجه البحري ورجحت
كفة السعديين . أما حزب الوفد فقد سقط جميع
مرشحيه في الوجهين البحري والقبلي ماعدا اثني عشر
مرشحاً فقط . .

اثني عشر نائباً للوفد بعد أن كان له في المجلس السابق
المنحل فوق المائة نائب . . وسقط في هذه الانتخابات
زعيم الوفديين مصطفى النحاس وسكرتير الوفد مكرم
هبيد وجميع أعضاء الوفد وكبار الوفديين . .

ولم ينجح من الوفديين البارزين سوى الأستاذ عبد
الحميد عبد الحق الذي تولى زعامة المعارضة في مجلس
النواب الجديد . .

واجتمع المجلس الجديد في شهر إبريل عام ١٩٣٨ .
وفي شهر يولية - على ما أذكر - بعث السيد علي ماهر
رئيس الديوان إلى السيد مصطفى النحاس رئيس الوفد
يطلب منه أن يقابله سرا على الكورنيش في مكان ما برمل
الأسكندرية . . وفي ظلام الليل . .
أما لماذا طلب أن تكون المقابلة على الكورنيش . . لا في

دار أحدهما فإن السبب بسيط ..
خاف «رفعتة» أن يراه أحد وهو يدخل دار مصطفى
النحاس .. أو أن أحدا يرى النحاس وهو يدخل داره
وسوف يكون من الصعب تفسير أو تبرير هذه الزيارة.
أما إذا رآهما أحد معا وهما يتحدثان على الكورنيش
فان من السهل أن يقال ساعتئذ ان المقابلة تمت بطريق
الصدفة ..

النحاس باشا يحب المشي على قدميه .. وكذلك
« رفعة » رئيس الديوان فاية غرابية في أن يلتقى الاثنان
مصادفة على الكورنيش بينما كل منهما يتنزه سائرا
على قدميه ؟

وكان غرض على ماهر من هذه المقابلة هو «التفاهم»
مع زعيم الوفديين . والتفاهم على أساس اسقاط وزارة
محمد محمود خصم الوفد العنيد !
وهكذا ولما يمض على وزارة محمد محمود ستة شهور
بدأ السيد على ماهر يعمل على اسقاط الوزارة التي كان
قد جاء بها وداس بها على الاغلبية البرلمانية وعلى جسد
الدستور ! ..

لماذا ؟ لكي يتولى هو رئاسة الوزارة ..

ولا أطيل الحديث ...

نفس العقبات ونفس العراقيل التي كانت توضع في
طريق مصطفى النحاس .. وضعت في طريق محمد
محمود .. ونفس الاشاعات التي كان يذيعها ويروج لها
اعوان وأذئاب على ماهر في عهد وزارة مصطفى النحاس،
عادت وبعثت من جديد ..

وأحس محمد محمود - رحمه الله - وكان المرص أنهك
قواه وأعصابه - أحس أن بقاءه غير مرغوب فيه فاستقال

ونال على ماهر مشتهاه ، وانتقل من رئاسة الديوان الى رئاسة الوزارة . وكانت الحرب العالمية الثانية على الابواب . . وهتلر يدق طبول الحرب في كل صباح ، وموسوليني يخطب في كل يوم عن حرايه التي عددها ثمانية ملايين والتي تنتظر اشارة منه بالهجوم . .

وكان وضع على ماهر فريدا في بابه فهو رئيس وزارة حزبية برلمانية ولكنه لاينتسب الى حزب ما وليس له في البرلمان حزب ما . .

على من كان يعتمد اذن ؟ على من كان اعتماده في بقائه رئيسا للوزارة ؟ على فاروق . . وعطف فاروق . . لا على البرلمان . فقد كان الاحرار الدستوريون - احد شقى حكومته المؤتلفة - ناقلين عليه بسبب مؤامره ضد زعيمهم محمد محمود . وكان نفس شقيقه المرحوم الدكتور احمد ماهر زعيم السعديين اى الشق الآخر من حكومة على ماهر . كان احمد ماهر ضده في السياسة فقد كان ينادى بوجوب دخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء بريطانيا وفرنسا . . بينما كان شقيقه على ماهر يقول بوجوب تجنب مصر ويلات الحرب . ولم يكن هذا رايه في اول الامر كما سوف نرى . .

ولكن الحزبين - الاحرار الدستوريين والسعديين - صدعا بأمر القصر وأذعنا لمشيئة فاروق وأيدا سياسة على ماهر . .

ومن هنا أصبح على ماهر يعتمد على فاروق . . بعد أن كان فاروق يعتمد على السيد على ماهر . . وأصبح فرضا على رفعة رئيس الوزارة أن يعمل ما يمكن عمله استبقاء لعطف فاروق اذا هو شاء الاحتفاظ بمنصبه في رئاسة الوزارة . .

وأعلنت الحرب في أول سبتمبر ١٩٣٩ ، وفي اليوم
التالى دعا على ماهر باشا مجلس الوزراء للاجتماع ..
وقال لزملائه الوزراء انه دعاهم للاتفاق على صيغة قرار
اعلان الحرب ضد ألمانيا ..
وبهت الوزراء .. وقال أحدهم وهو الاستاذ عبد
الرحمن عزام :

- ولكن لماذا نعلن الحرب يا رفعة الباشا ؟ !
أجاب رفعة الباشا :

- طبقا لنصوص معاهدة عام ١٩٣٦
وانبرى الاستاذ عبد الرحمن عزام يفند هذا الرأى
ويفسر مواد معاهدة ١٩٣٦ وأن ليس فى المعاهدة المذكورة
شئ يلزم مصر بدخول الحرب الى جانب بريطانيا ؟ !

وبعد مناقشة طويلة طلب عبد الرحمن عزام من على
ماهر أن يترك له هذه المسألة ليسويها مع السفير
البريطانى سير مايلز لامبسون ..
ووافق على ماهر ، وذهب عبد الرحمن عزام وقابل
مايلز لامبسون وناقشه طويلا فى نصوص المعاهدة ،
وأستطاع أن يقنعه ان من مصلحة بريطانيا نفسها عدم
اعلان مصر الحرب .. على ألمانيا ..

وهكذا سويت المسألة ..
ومع ذلك فان السيد على ماهر زعم فيما بعد انه
صاحب الفضل فى تقرير سياسة تجنب مصر ويلات
الحرب . ولقد رأيتم كيف كان يريد أن تعلن مصر
الحرب ضد ألمانيا غداة اعلان الحرب ! ..

والواقع ان على ماهر باشا لم تكن له سياسة معينة
ازاء الحرب العالمية الثانية .. أو لعل سياسته ازاء
الحرب والدول المتحاربة كانت مثل سياسته الداخلية

أزاء الأحزاب وزعماء الأحزاب أى سياسة انتهازية ..
كان يعتقد فى أول الأمر ، أى فى أول شهور الحرب
أن النصر لبريطانيا وفرنسا ومن هنا أراد كما رأينا أن
تعلن مصر الحرب ضد ألمانيا ثم عدل عن هذا الرأى مكتفيا
بتقديم جميع المساعدات والتسهيلات الممكنة لبريطانيا.

ولقد أعلن فيما بعد - وبعد خروجه من الوزارة -
أعلن أن السيد على ماهر تلقى خلال الشهور العشرة
التي تولى فيها الحكم ثلاثة وثلاثين خطاب شكر من
الجنرال ويلسون القائد العام للقوات البريطانية فى
الشرق الأوسط ..

وقد شكر فيها القائد البريطانى رفعة رئيس وزراء
مصر على الولاء الصادق والتعاون المخلص الذى يلقاه منه

ولقد ظل على ماهر على ولائه وإخلاصه لبريطانيا
وقضية بريطانيا من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ الى شهر
يونية ١٩٤٠ ..

أما من شهر يونية والشهور التالية فإن رفعتة نقل
ولائه وإخلاصه من بريطانيا وحلفائها الى ألمانيا وحليفاتها
إيطاليا ..
لماذا ؟ ..

كان على ماهر يعتقد فى أول الحرب كما قلت أن النصر
لبريطانيا وفرنسا .. ولكن انتصارات المحور بدأت تتوالى
وراحت دول أوروبا تسقط واحدة بعد واحدة تحت
سنانك جحافل هتلر ..

بولندا ، الدانمرك ، النرويج ، هولندا ، بلجيكا ،
وظل على ماهر على ولائه وإخلاصه لأنه كان يعتقد الأمل
على فرنسا وخط دفاعها المشهور « ماجينو » ..
ولكن هتلر حطم « ماجينو » وأنهارت فرنسا وأستسلمت
ولم يحل منتصف يونية ١٩٤٠ حتى كان هتلر يدخل

باريس والى جانبه جورج مارين من تحت قوس النصر
فى ميدان « الاتوال » ..

وهنا تحول على ماهر باخلاصه وولائه الى المانيا .
ولا أستطيع أن ألوم الرجل . فلعله كمصرى مخلص كان
يطلب الخير والامان لبلاده ومن هنا حرص على أن يقف
دائما الى جانب الفريق الغالب المنتصر ..

وعلى كل حال فان على ماهر باشا لم يضيع وقتا قبل
ان يطلق لسانه بالسخرية والتشهير ببريطانيا وفرنسا
وضعف جيوشهما ..

وصرح ذات مساء فى مجلسه الخاص بأنه لن يمضى
شهر واحد حتى تستسلم بريطانيا ..

ورد عليه وزير جريته اللواء صالح حرب باشا :
— بل شهراين يا رفعة الرئيس ، فسوف تقاوم
انجلترا شهرين ، ثم تسقط ..

واتصل خبر هذا الحديث بالسلطات البريطانية فى مصر

وكان فاروق بدوره قد بدأ يسخر من بريطانيا وفرنسا
و«ينكت» عليهما فى مجالسه . وكان يحيط به يومئذ بعض
الامراء الشبان من المتحمسين للامانيا النازية مثل عمر
الفاروق وعباس حليم ..

كذلك كان خدمه الخصوصيون من الايطاليين مثل
بوللى وبيترو . ويروى أن فاروق خرج مرة للصيد .
وكان معه بعض رجال السلك السياسى الاجنبى ومنهم
السفير البريطانى مايلز لامبسون ..

وأراد سير مايلز لامبسون أن يطرى مهارة فاروق فى
اصابة الهدف . فقال له عبارة اعجاب فى هذا المعنى ..
وعلى الفور قال له فاروق :

— طبعا لأن بندقيتى صناعة المانية ..
ثم قهقه فاروق . وقهقه معه مدعووه من الامراء الشبان

ورأت حكومة لندن ان على ماهر باشا الذى كان قائدها جنرال ويلسون قد شكره فى ثلاثة وثلاثين خطابا على صادق ولائه وحسن تعاونه . . . قد انقلب الى النقيض واخذ يقيم العراقيل والعقبات امام السلطات البريطانية العسكرية فى مصر . . .

وها هو ذا ملك البلاد يقفوا اثره . . . وارسل وزير خارجية بريطانيا يومئذ لوردها ليفاكس برقيته المشهورة « على ماهر يجب ان يخرج » . . .

وكان هذا اول انذار بريطانى او اول تدخل مكشوف واعتداء مفضوح على سيادة مصر المستقلة منذ عقد معاهدة ١٩٣٦ او معاهدة الشرف والاستقلال كما اسموها وذهب السفير البريطانى سير مايلز لامبسون الى القصر وقابل فاروق وابلفه نص البرقية او الانذار ، ثم قال :

انه ينصح بقيام وزارة وفدية او على الاقل وزارة يرضى عنها الوفد ويؤيدها ويبادر فاروق وارسل عبد الوهاب طلعت « باشا » لمقابلة النحاس « باشا » فى كفر عشنا وعرض ظروف الموقف عليه . . .

وكان رفعة رئيس الوفد قد ترك القاهرة خوفا من الغارات الجوية ولجأ الى ضيافة أصهار السيدة زوجته فى كفر عشنا . . .

وقابله عبد الوهاب طلعت « باشا » وابلفه نص برقية لورد هاليفاكس ونصيحة سير مايلز لامبسون ، ثم قال ان « جلالة الملك » يستشير فيما يجب ان يفعله . . .

ولكن . . . بينما كان مصطفى النحاس « باشا » يتأهب للعودة الى القاهرة وجمع أعضاء الوفد وعرض الامر عليهم واستصدار قرار برأى الوفد وما يجب عمله . . . اذا بالامر الملكى يصدر الى حسن صبرى بتشكيل الوزارة وكانت مفاجأة للوفد ، ومفاجأة للسفير البريطانى . . .

مفاجأة أغضبت النحاس كما أغضبت سيرمايلز لامبسون .

وأسرع أحمد حسنين الى السفارة وقابل السفير ليسأله عن سبب غضبه ؟ وقال سير مايلز : « وهذه التفاصيل التي أرويها هنا قصها على المرحوم حسنين » قال :

— لقد كان كلامي واضحا وهو ان الحكومة البريطانية تنصح بإسناد الحكم الى وزارة وفدية او على الاقل الى وزارة يؤيدها الوفد . .

وقال حسنين وقد تظاهر بالدهشة :

— ولكن حسن صبرى باشا صديقكم . . وقد اخترناه بالذات لهذا السبب . . قال السفير :

— نعم حسن صبرى صديقى . . ولكن يا باشا الصداقة شيء والسياسة شيء آخر . . ووزارة حسن صبرى لا هى وزارة وفدية ولا هى وزارة يؤيدها الوفد وأجاب حسنين وهو يمعن فى اظهار الدهشة والاسف : — اذن فهذه غلطتى أنا ، وأنا المسئول عن هذا الخطأ ولكننى أقول انصافا لنفسي اننى حرصت عند اختيار اعضاء الوزارة على أن يكونوا جميعا من أصدقائكم . . حرصا على توافر التعاون الذى لا بد من وجوده فى الظروف الحاضرة بين السلطات البريطانية والسلطات المصرية . . ومن هنا اخترنا حسن صبرى . . ومحمود فهمى القيسى اليس صديقا لكم ؟ . .

وراح حسنين باشا يذكر أسماء اعضاء الوزارة الجديدة ويشفع كل اسم منها بنفس السؤال : « اليس صديقا لكم ؟ » ثم أنهى حديثه ودفاعه بأن الغلطة غلطته هو . . وأنه المسئول عن هذا الخطأ المؤسف ولكن يشفع له حسن نيته . .

ورضى سير مايلز أو تظاهر بالرضا ، ووقفت المسألة
عند هذا الحد . . .



وكان على ماهر باشا مفيظا حائقا . . بسبب
ارغامه على الاستقالة وترك الحكم . .
وأشاع أنصاره وذيوله أنه ذهب ضحية شجاعته
ووطنيته ومواقفه ضد مطالب الإنجليز . . وصدق فريق
كبير من الجمهور هذه الدعوى . . وتمتع على ماهر باشا
« بالبطولة » ولقب « البطل » بضعة أسابيع . .

ولكن الحقائق لم تلبث أن تكشفت فعرف الجمهور
أن السيد على ماهر كان يريد - غداة قيام الحرب -
أن تعلن مصر الحرب ضد ألمانيا وتقف الى جانب بريطانيا
وفرنسا . . وان السيد على ماهر تلقى خلال الشهور
التي أمضاها في رئاسة الحكم ثلاثة وثلاثين خطابا من
الجنرال ويلسون يشكر فيها رفعته على ولائه وصادق
تعاونه مع السلطات البريطانية . .

تكشفت هذه الحقائق . . وسقط ثوب البطولة من
رفعة الرئيس السابق . .
ومع ذلك فان على ماهر « باشا » لم يسكت . . بل
انطلق يقيم العراقيل ويخلق المتاعب في طريق وزارة
حسن صبرى وكان رفعته لا يزال محتفظا بشيء من
نفوذه عند فاروق . .

وذهب عبد الوهاب طلعت « باشا » صديق على ماهر أو
الذى كان صديقه الى يوم استقالته من رئاسة الوزارة .
ذهب الى حسن صبرى باشا وقال له ان على ماهر
يشنع عليك ويتهمك بانك صنيع الانجليز . . وانك . .
ولكن المرحوم حسن صبرى باشا لم يتركه يتم حديثه
بل قال له :

- ان على ماهر صديقى .. وانا لا اسمح لك بان
تظعن فى اخلاقه امامى .. وخصوصا انك كنت صديقا له

وقال حسنين باشا وهو ينهى هذه التفاصيل :
- وهكذا ألقى حسن صبرى باشا درسا فى الاخلاق
على عبد الوهاب طلعت .. وعلى ماهر فى الوقت نفسه .

ثم حدثنى - رحمه الله - عن سبب اختيار حسن
صبرى باشا رئيسا للوزارة .. وعدم الاخذ بنصيحة
سير مايلز لامبسون وهى اسناد الحكم الى وزارة وفدية
او وزارة يؤيدها الوفد .. قال :

- لقد كان رأيى دائما ان الوفد هو القوة الشعبية
الوحيدة فى هذا البلد وانه بهذه الصفة أحق بالحكم من
جميع الاحزاب الاخرى لانه يتمتع بثقة الناخبين . وانا
اعتقد كذلك ان الوفد قوة يمكن استغلالها فى استخلاص
حقوق البلاد من الانجليز .. ولقد عملت ولا ازال اعمل
على تسوية جميع الخلافات بين الملك ومصطفى النحاس
وازالة اسباب سوء التفاهم التى خلفها عام ١٩٣٧ وما
تلاه .. وهذه خطوة لا بد منها قبل عودة المياه الى
مجارىها الطبيعية اى قبل عودة الوفد الى تولى الحكم .
ومن هنا تفهم لماذا رفضت ان اعمل بنصيحة سيرمايلز
لامبسون .. لان العمل بهذه النصيحة كان معناه ان
الوفد .. وهو القوة الشعبية الوحيدة ، وقوتها فى
استخلاص حقوقنا من انجلترا ، انما يعود الى الحكم
بارادة الانجليز وهذا امر ليس فى مصلحة البلاد ولا فى
مصلحة الملك ولا فى مصلحة الوفد نفسه .. واظن انك
توافق على انه من مصلحتنا جميعا انه اذا عاد الوفد الى
الحكم فيجب ان يعود بالطريق الشرعى السليم او
بموافقة صاحب العرش .. لا بارادة الانجليز ..

ثم قال - رحمه الله - وهو يتتبع :
- ورأيت أن تقوم بمناورة تمويه وتضليل ذرا للرماد
في عيون السفير البريطاني فطلبت من الملك أن يوفد عبد
الوهاب طلعت لمقابلة النحاس «باشا» في كفرعشما ..
لكي الفت انظار السفارة وعيونها الى كفرعشما وأصرفها
عما يجري في القاهرة .. وهكذا بينما كان عبد الوهاب
طلعت في كفرعشما كنت أنا قد اتصلت بحسن صبرى
وأعضاء وزارته وأعددت المراسيم بتشكيل الوزارة ..
وفوجيء السفير البريطاني بوزارة حسن صبرى وبالأمر
الواقع .. صحيح أن حسن صبرى باشا صديق للسفير
وللانجليز ولقد اخترناه لهذا السبب كسرا لحدّة التحدى
فقد كان اغفال نصيحة السفير البريطاني تحديا منا
لأشك فيه .. ولكن حسن صبرى مع ذلك مصرى
وطنى مخلص لبلاده قبل كل شيء ..

هذا هو مجمل حديث المرحوم احمد محمد حسنين
عن الظروف والاسباب التي دعت لاختيار المرحوم حسن
صبرى باشا رئيسا للوزارة في شهر يونية عام ١٩٤٠ ،
وللتاريخ وحده أن يحكم على سياسة حسنين باشا ..
وهل أصاب فيها أو أخطأ ؟ .. وهل قيام وزارة وفدية
أو وزارة يؤيدها الوفد في يونية ١٩٤٠ ، كان يجنب مصر
مذلة حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وهل اغفال «نصيحة»
السفير البريطاني كان السبب في وقوع الحادث المشؤوم
المذكور أم لا ؟ ..

كل هذه الاسئلة فرضية سوف يجيب عنها التاريخ .

تولت اذن وزارة حسن صبرى باشا الحكم .. وكان
اول طلب جاءها من السلطات البريطانية هو « اعتقال
على ماهر بسبب نشاطه العدائى ضد بريطانيا وحلفائها»

ورفض حسن صبرى هذا الطلب بالرغم مما كان يعرفه
عن نشاط على ماهر ضد وزارته ومساغبه لاسقاطها ،
والاشاعات التى كان يذيعها عنه وعن الوزارة ..
ولكنه - اى حسن صبرى - اوفد رسولا الى على
ماهر يبلغه ما حدث وينصحه بالاخلاق للسكينة والكف عن
« التشنيع » فى مجالسه الخاصة على بريطانيا وحلقائها
ولم يعمل السيد على ماهر بالنصيحة .. بل استمر
فى نشاطه العدائى ضد الانجليز وضد حسن صبرى
الذى رفض ان يعتقله ..

وعاد المرحوم حسن صبرى واوفد رسولا آخر الى
السيد على ماهر وكان الرسول فى هذه المرة هو الدكتور
احمد ماهر شقيق على ماهر ..
وكانت النصيحة هذه المرة ان يفادر على ماهر باشا
القاهرة الى قصره الاخضر فى ريف البحيرة ..
وعمل على ماهر بالنصيحة وسافر الى القصر الاخضر
واقام فيه يومين اثنين ثم عاد الى القاهرة ..

ولا اعرف لماذا او كيف ؟ ولكن حسن صبرى باشا -
وبعد شهر واحد من توليه الحكم - تقدم الى فاروق
يلتمس تعيين احمد حسنين باشا رئيسا للديوان ..
وكانت حجته ان المنصب المذكور شاغر منذ عام .. وانه
ما دام حسنين باشا هو الذى يقوم فعلا باعمال رئيس
الديوان فان من المرفوب فيه ان يعين رسميا فى المنصب
المذكور ..

واعتقد - وان كنت اعترف ان ليس تحت يدي دليل
يبرر هذا الاعتقاد - اعتقد ان حسن صبرى باشا انما
تقدم بهذا الطلب استجابة لرغبة وتلميح من حسنين
باشا . او لعله اراد ان يكافئ حسنين على حسن صتيعة

يوم أشار باختياره رئيسا للوزارة التي خلفت وزارة
على ماهر ..

وعلى كل حال فان فاروق رفض في اول الامر ان يعين
حسنيين رئيسا للديوان .. لانه كان يريد ان يحتفظ
بالمنصب المذكور لعلى ماهر باشا .. ولم يكن ينتظر
سوى الفرصة المناسبة التي تتحسن فيها العلاقات بين
الانجليز وعلى ماهر .. لكى يعيده رئيسا للديوان ..
ولكن حسن صبرى لم يسكت بل مضى يكرر هذا
الطلب او هذا الترشيح .. وفاروق يرفض .. حتى
نشا ما يشبه الازمة الوزارية لان حسن صبرى جعل
بقاءه في رئاسة الوزارة رهنا بتعيين احمد حسنيين رئيسا
للايوان ..

واخيرا - وكان ذلك في شهر أغسطس ١٩٤٠ على
ما اذكر - وافق فاروق وصادر الامر بتعيين احمد محمد
حسنيين باشا رئيسا لايوان « جلالة الملك » ..
وتحقق لحسنيين باشا ما كان يتمناه منذ عام ١٩٣٧

ولكن الاجل لم يطل بالمرحوم حسن صبرى باشا ..
فبينما كان يلقي « خطاب العرش » في يوم السبت
الثالث من شهر نوفمبر ١٩٤٠ أصيب بنوبة قلبية ..
وفاضت روحه - رحمه الله - في قاعة مجلس النواب.

وفي مساء نفس اليوم صدر مرسوم ملكي يكل الى
عبد الحميد سليمان باشا القيام بأعمال رئيس الوزارة.
ريثما تتم المباحثات والاستشارات بشأن اختيار الذي
يخلف حسن صبرى باشا في رئاسة الوزارة ..

وكان هذا المرسوم مناورة تمويه وتضليل اخرى من
حسنيين باشا رئيس الايوان لان السفارة البريطانية
فهمت - كما فهم الناس - من انابة عبد الحميد سليمان

باشا للقيام بأعمال رئيس الوزراء أن أمر اختيار الرئيس الجديد للوزارة قد يطول ويستغرق بضعة أيام .. ولكن السفارة والسفير والوفد والاحزاب .. كل هؤلاء فوجئوا بعد يوم واحد باختيار حسين سرى « باشا » رئيسا للوزارة ..

وقص على حسنين - رحمه الله - تفاصيل ما حدث في مساء يوم وفاة حسن صبرى باشا ، فقال :
- كلمنى الملك بالتليفون فقلت له : « هل يأذن لى مولانا بمقابلته ؟ » . فقال : « أيوه .. لكن خليك فى مكتبك وأنا جاى عندك » ..

وجاء فاروق وجلس وقد تكلف هيئة الجدة . وعرض على رئاسة الوزارة .. وكان على ماهر باشا هو السياسى الوحيد الذى استقبله الملك سرا بعد وفاة حسن صبرى باشا واستشاره فى الموقف .. وأدركت ان ترشيحى لرئاسة الوزارة جاء من جانب على ماهر . وانه مقلب من رفعتة .. لكى يتخلص منى نهائيا .. يعنى أبقى رئيسا للوزارة أسبوعين أو شهرا ، ثم اقال او أرغم على الاستقالة وأخرج من السراى الى دارى الأبقى فيها نهائيا أدركت هذا بالبديهة .. ولأن فاروق الذى كان يعارض ويرفض تعيينى رئيسا للديوان لا يمكن أن يكون هو صاحب فكرة تعيينى رئيسا للوزارة .. الفكرة اذن فكرة على ماهر ولغرض خفى ..

ومضى حسنين فى حديثه ، فقال :
- واعتذرت بأدب من عدم قبول المنصب الكبير .. وقال لى الملك : « لا تتسرع .. فكر شويه كمان ، وسوف أعود اليك » ..
وتركنى وانصرف .. وهنا دخل على عبد الوهاب

طلعت باشا فطلبت منه أن يواتيني بدوسيهات رؤساء
الوزارات والوزراء السابقين ..
وفي إدارة المحفوظات بقصر عابدين ملف أو «دوسيه»
خاص لكل رئيس وزارة سابق وكل وزير سابق وكل
زعيم سياسي من السياسة المصريين ..
وعاد الملك وسألني :

— هيه ؟ ..

وقلت له :

— يا تقعدني جنبك .. يا تخرجني من السراي ..
قال : يعني ايه ؟ ..

قلت : أنا لا أصلح لهذا المنصب .. ثم ان الناس
سوف تقول ان حسنين ربي فاروق وكسب نفوذا عنده
لكي يستغل هذا النفوذ ويعمل نفسه رئيس وزارة ..
بينما في البلد عشرات ممن يصلحون خيرا منه لهذا المنصب
وهنا تساءل فاروق : زي مين يعني ؟ ..

قال حسنين : هذا ما أبحث فيه الآن ..

قال فاروق : ضروري هذا المساء .. تقول لي مين ..

قلت : سمعا وطاعة .. سوف أقدم اسم المرشح هذا

المساء ..

وخرج فاروق .. ووضعت أمامي «الدوسيهات» التي
كان جاءني بها عبد الوهاب طلعت .. وفتحت بعضها ..
حتى يظن من يدخل وينظر اليها انني كنت أبحث فيها ..
ولكنني لم أحاول أن أبحث لأنني كنت اخترت فعلا اسم
المرشح لرياسة الوزارة ..

وعاد فاروق بعد نحو ساعة وسألني : « مين بقى

ياسيدي الذي ترشحه ؟ »

قلت : حسين سري ..

وصاح فاروق : « أعوذ بالله ، ده راجل بتاع الانجليز
مش ممكن .. شوف لك حد تانى .. »

وتركنى وخرج ..

وجلست أنتظر عودته .. وكنت أعرف ان فاروق
لايستريح الى حسين سرى ولا يحبه رغم وجود صلة
النسب العائلية ورغم اجتماعه به مرارا في سهرات
الأسرة ، فقد كان حسين سرى زوجا للسيدة خالة
« الملكة فريدة » ..

كنت أعرف هذا ولكننى مع ذلك صممت على التمسك
بترشيح حسين سرى لرياسة الوزارة ..
وعاد فاروق وسألنى : « هيه ؟ وجدت مين غير
حسين سرى ؟ »

قلت : مش لاقى حد تانى يامولانا .. مافيش أمامى
غير حسين سرى ..

وانفجر فاروق غضبا وصاح :

– ايه الحكاية ؟ دى مؤامرة انجليزية والا ايه ؟ ..

وظفرت دمعة من عينى – هكذا قال لى حسنين ..
ولا أدرى هل كانت دمعة صادقة أم كانت دمعة تمثيل ،
فقد كان حسنين – رحمه الله – يجيد التمثيل ويعرف
كيف يندمج فى دوره ..

وتأثر فاروق – فقد كنا لانزال فى عام ١٩٤٠ وكان
قلب فاروق لم يتحجر بعد – تأثر فاروق وتقادم من
حسين وقبله واعتذر اليه ..

ثم قال : لكن يا حسنين مش فاهم سر تمسكك
بحسين سرى .. أشمعى يعنى حسين سرى وده بتاع
الانجليز ؟

وأجاب حسنين :

– معاذ الله أن أرغم مولانا على قبول أمر ما ، ولكننى

أعتقد اننى أستطيع أن أخدم جلالتك وأخدم البلد وأنا
في منصب رئيس الديوان وحسين سرى في منصب رئيس
الوزراء .. فاذا لم يوافق مولانا فانى التمس منه أن
يتركنى أروح بيتى ..
- يعنى أيه .. تفوتنى ؟ ..

قال حسنين :

- لا يامولانا .. وانما علشان يكون مولانا حر في
اختياره وفي سياسته ..
وعاد فاروق يتساءل :

- يعنى عايز تسيبني دلوقت ؟ ..

وهنا انطلق حسنين يتحدث عن حبه واخلاصه لفاروق
وعن الخدمات التي أداها له .. وعن كيف كان يأمل انه
قد كسب ثقة «مولاه» الملك .. ولكنه قد أدرك مع الأسف
من حديث اليوم أن «مولاه» لا يثق فيه ..

واغرورقت عيناه مرة أخرى ..

واغرورقت عيناه فاروق .. وقبل حسنين مرة أخرى
وهنا راح حسنين يشرح لفاروق سبب ترشيحه لحسين
سرى .. فقال :

- يعرف مولاي أن سياستي هي هي لم تتغير منذ
أول يوم استلمتك فيه وأنت أمير .. وسياستي هي أن
تكون لك حقوقك .. وحسين سرى مهما يكن رأى مولانا
فيه فانه نسيبك وهو أحرص الناس على حقوقك ..
ونحن في ظروف حرب عالمية ومفاجآت دولية خطيرة ..
والحكم الآن في أيدي احزاب أقلية لا تمثل البلاد .. والوفد
صاحب الاغلبية الحقيقية مقصي عن الحكم .. وتعيين
رجل مستقل غير حزبي مثل حسين سرى في رئاسة
الوزارة قد يخفف ولو قليلا من حدة خصومة الوفد
للسراى .. ثم أن حسين سرى رجل مقبول عند الانجليز ..

وسوف يسكتون على تعيينه كما سبق ان سكتوا على
تعيين حسن صبرى ولا يلحون ولا يندرون بوجوب قيام
وزارة وقديّة .. يعنى اننا بتعيين حسين باشا سرى
نتفادى الاصطدام الآن بالانجليز .. وحسين سرى كذلك
هو الوحيد الذى سوف يرضى بتنفيذ سياستى ، بل
ويرضى بمساعدتى فيها .. وسياستى هى التمهيد
لعودة الوفد الى الحكم بعد ان يقدم الوفد لمولانا الترضية
الكافية والضمانات الكافية على عدم تكرار ما فعلوه فى
سنة ١٩٣٧ ..

ولما انتهى حسنين من بيانه او من دفاعه .. هز
فاروق رأسه موافقا وقال :

- وهو كذلك .. فتشوا على حسين سرى ..

وكان الوقت بعد منتصف الليل ..

وراح الرسل والتليفونات تبحث عن حسين سرى ..
ووقف عبد الوهاب طلعت باشا بباب السراى ينتظر
وصول رئيس الوزارة الجديد .. فلما وصل استقبله
بالاحضان وهناه .. فكان اول المهنيين ..

قال حسنين : « ويظهر ان عبد الوهاب باشا اراد ان
يفهم حسين سرى انه هو صاحب الفكرة او صاحب
الفضل فى اختياره لرياسة الوزارة .. »

وأشهد ان حسنين - رحمه الله - كان مخلصا فى
تنفيذ سياسة التمهيد لعودة الوفد الى الحكم .. وكان
يصارح بها الساسة والزعماء الذين يطمئن اليهم ويثق
فى سلامة تقديرهم وحكمهم ومنهم الدكتور محمد حسين
هيكل رئيس حزب الاحرار الدستوريين ..

روى لى حسنين ان الدكتور هيكل زاره ذات يوم
بعد قيام وزارة حسين سرى وقال له :

- قل لى بقى يا ابو الحسن .. وسيبك من شغل

المشيخة والدروشه بتاهتك .. ايه بالضبط سياستك
دلوقت ؟ ..

فشرت له سياستي وهي التمهيد لعودة الوفد الى
الحكم لأنه صاحب الاغلبية الحقيقية .. هذا مع قيام
حياة نيابية سليمة ووجود معارضة صالحة قوية تؤدي
مهمتها على الوجه الصحيح .. هذا مع الحد من طغيان
الاغلبية والعمل على وجود معارضة قوية ..
ووافقني الدكتور هيكل على سياستي هذه وتمنى لى
التوفيق فى تنفيذها ..

قامت وزارة حسين سرى فى نوفمبر عام ١٩٤٠ ،
وأقبل صيف ١٩٤١ ، وذهب مصطفى النحاس باشا ،
ومكرم باشا الى مصيف رأس البر ليمضيا الصيف ..
فى أمان من الغارات الجوية ..

وذات يوم هبط على رأس البر الاستاذ مصطفى أمين
الذى كان يومئذ رئيسا لتحرير مجلة « الاثنين » ..

وقال مصطفى أمين للأستاذ مكرم عبيد انه جاء يحمل
رسالة من رئيس الديوان أحمد حسنين باشا . وفحوى
هذه الرسالة انه اذا التمس « رفعة » رئيس الوفد
مصطفى النحاس باشا مقابلة « جلاله الملك » فان التماسه
سوف يجاب فى الحال ..

وكان مصطفى النحاس لم يقابل الملك فاروق مند
أقيلت وزارته فى ديسمبر ١٩٣٧ وكان المعنى الواضح
من هذه الرسالة أو هذه المقابلة المطلوبة ان السراى تخطو
الخطوة الاولى فى سبيل التمهيد لعودة المياه الى مجاريها
بين صاحب العرش ، وبين الوفد صاحب الاغلبية فى البلاد
ورحب الاستاذ مكرم عبيد بهذا الطلب .. وذهب
لفوره وأبلغه للسيد مصطفى النحاس ..

ولكن النحاس باشا تشكك في صدق الرسالة وفي صدق الرسول مصطفى أمين وقال ما معناه : « ان هذا كله كلام فارغ وتخدير أعصاب » ..

وكان رفعتة ولاشك متأثرا بمناورة كفر عشنا يوم زاره عبد الوهاب طلعت باشا ليستشيره باسم فاروق في الموقف السياسي بعد تلفراف لورد هاليفاكس .. وكيف فوجيء بعدها بتأليف وزارة حسن صبرى باشا

تشكك اذن مصطفى النحاس باشا في جدية رسالة الاستاذ مصطفى أمين ..

وأخيرا قال الاستاذ مكرم عبيد : ان الدليل على جدية أو عدم جدية الرسالة هو أن يطلب الاستاذ مصطفى أمين بالتليفون حسنين باشا ويحدثه أمامنا في الموضوع ووافق مصطفى النحاس باشا وطلب مصطفى أمين قصر عابدين بالتليفون .. وقال : امطوني حسنين باشا وأعطوه حسنين باشا .. وقال مصطفى :

— مكرم باشا واقف جنبى وعاوز يسمع منك الكلام الذى طلبت منى ابلاغه لمصطفى النحاس باشا ..

وناول مصطفى أمين سماعة التليفون لمكرم باشا عبيد وقال حسنين لمكرم نفس الكلام الذى كان نقله اليه مصطفى أمين . وأضاف ان مقابلة النحاس للملك أمر مرغوب فيه وخطوة أولى لا بد منها .. وسأله الاستاذ مكرم عبيد :

— وهل احضرانا أيضا الى القاهرة مع مصطفى باشا ؟ وقال حسنين باشا :

— نعم .. يستحسن لو معاليك حضرت كمان .. وهنا قال مكرم باشا :

— اذن وأنا ألتبس مقابلة جلالة الملك باسم مصطفى

النحاس وباسمى ..
وأجاب حسنين باشا :
- والالتماس مقبول ..
وحدد حسنين موعدا للمقابلة « الملكية الكريمة » .

وغادر النحاس باشا ومكرم باشا مصيف رأس البر
الى القاهرة ..
وفي القاهرة عرف مكرم باشا ان المقابلة مقصورة على
النحاس باشا وحده ..
وغضب مكرم وتساءل عن معنى دعوته للحضور الى
القاهرة وهل دعوه للحضور لكي ييلفوه ان الملك يريد أن
يستقبل النحاس باشا وحده ؟ ..

وتمت المقابلة .. بين فاروق والنحاس ..
وتحدث فاروق عن الموقف واما يلقاه من عنيت الانجليز
واضطهادهم له وسأل رئيس الوفد هل يقف الوفد الى
جانبه اذا اصطدم يوما بالانجليز ؟ ..
وتحمس مصطفى النحاس وأعلن انه وجميع الوفدين
يفتدون « الملك » بدمائهم ورقابهم ..
ومرر « رفعتة » يده على عنقه تأكيدا لمعنى الفسداء ،
ثم أخرج من جيبه مصحفا وأقسم عليه انه ورجال الوفد
مخلصون لفاروق وانهم .. وانهم .. الى آخره ..
وهكذا محت هذه المقابلة جميع الآثار السيئة التي
كانت خلفتها اقالة وزارة النحاس باشا في ديسمبر ١٩٣٧ .
وخرج النحاس باشا من مقابلة فاروق ، وهو يدهو
له ولعرشه بالعز والتأييد ..

وغاد النحاس ومكرم الى مصيف رأس البر ..

ولم يمض على عودتهما أيام معدودة حتى أقام بعض كبار الوفدين من المصيفين حفلة تكريم لمصطفى النحاس - ولعلها كانت حفلة موعزا بإقامتها - وقام النحاس وألقى خطبة شن فيها على الانجليز حملة شعواء . وأذكر انه قال بين ما قاله ان انجلترا تزعم انها تحارب من أجل الديمقراطية والحريات ، بينما هي تحارب الديمقراطية وتضطهد الحريات في مصر . . . ثم دعا رئيس الوفد لجلالة الملك المفدى . . . فاروق ، وأعلن اخلاصه واخلاص الوفدين لصاحب العرش المجيد

وكان هذا - كما قلت - في أواخر صيف عام ١٩٤١ واهتزت مقاعد وزارة حسين سرى تحت أصحابها . . . وحسب الناس ان أيام هذه الوزارة «الائتلافية» المؤلفة من أحزاب الاقلية . . . حسبوا ان أيامها معدودة وان الوفد يوشك ان يعود الى الحكم ولكن . . .

ولكننى أعود اليوم الى الحديث عن سياسة حسنين وهي التمهيد لعودة الوفد الى الحكم وكيف سار فيها وكيف عمل على تنفيذها . . . وهل هو خطأ في مماطلته وتسويفه . . . ؟

قال لى المرحوم حسنين باشا في حديث طويل في مساء يوم ٩ مارس عام ١٩٤٢ :

- لقد كان دائما من رأيي ان نظام الحكم القائم في مصر نظام غير طبيعي وغير مأمون ولا مرغوب فيه ، اذ ان الحكم كان في يد أحزاب الاقلية . . . بينما تقوم الاغلبية بمهمة المعارضة . . . وهذا وضع مقلوب ومن هنا بدأت أعمل لتصحيح الأوضاع واعادة الامور الى سيرها الطبيعي . . . أى اقلية تحكم واقلية تعارض . . .

وذات يوم - وقد أحسست ان الجو المناسب مهياً
تماماً قلت للملك : « اظن يامولانا ان وزارة حسين سرى
تعبت خلاص »
فقال لى : « أيوه.. والورقة اللى فاضلة هى مصطفى
النحاس » ..

وكنّا فى اواخر صيف ١٩٤١ وكانت احاديث الخلاف
بين السعديين والدستوريين وبينهم وبين رئيس الوزارة
حسين سرى على الالسنه فى الاندية والمجتمعات.. وكان
حسين سرى يرسل من وقت لآخر لسانه بكلام مقلع
شديد فى حق بعض اقطاب السعديين حتى انه تحدث
مرة امام بعض الكبراء فقال عن قطب سعدى كبير انه
ياوى اللصوص فى عزبته ويحميهم وان له دوسيتها خاصا
بين دوسيات المشبوهين بوزارة الداخلية.. ومع ذلك
- هكذا قال حسين سرى - ومع ذلك فان السعديين
يطلبون منى تعيين « المشبوه المذكور » وزيرا ! ؟..

ومضى حسنين يقول : وكانت اخبار هذا الخلاف
تصل الى الملك اولاً بأول . ومن هنا وافقنى على رايى
عندما قلت له ان وزارة حسين سرى تعبت خلاص..
ثم قال حسنين :

- لكن الملك دخل على فى صباح اليوم التالى لحديثنا
وقال انه يرحب بقيام وزارة على رأسها مصطفى النحاس
بس بشرط ان تكون وزارة ائتلاف تمثل فيها جميع
الاحزاب ..

ولابد ان يكون الملك قد افضى برأيه هذا - او بحديثنا
كله - الى آخرين من رجال الحاشية لان الخبر بلغ رئيس
الوزارة حسين سرى باشا فقد زارنى فى مكتبى وقال لى
لمصيبة فضيب وعتاب مر :

— طيب يا أخى ما تجيب أصحابك الوفديين فى الحكم
وتخلص مرة واحدة بدل ما تمرط فى كده ..

والآن نلتخص الموقف فى أواخر صيف ١٩٤١ :
فاروق تصالح مع مصطفى النحاس ..
مصطفى النحاس يخطب ويمتدح « المليك المفدى
فاروق » ويسب الانجليز أعداء البلاد ..

فاروق يفوض رئيس ديوانه حسنين فى إعادة الوفديين
الى الحكم على شرط أن تكون الوزارة ائتلافية تمثل
فيها الاحزاب تحت رئاسة مصطفى النحاس ..

وبدا حسنين فى تنفيذ الخطوات الاخيرة وهى اقناع
الوفد والاحزاب الاخرى بالاتفاق على هدنة وقبول
الاشتراك فى الحكم ..

وقيل يومئذ ان الاستاذ مكرم عبيد تعهد باقناع
النحاس باشا بقبول رئاسة الوزارة الائتلافية ..

واقنع النحاس باشا فى وقت ما وأعلن فى حديث له
انه يمد يده الى الجميع من أجل العمل فى هذه الظروف
الخطيرة لمصلحة البلاد العليا ..

ولما لم تجب الاحزاب على هذه الدعوة عاد «رفعته»
وأعلن انه «قبض يده الممدودة» وان الحكم للأمة وللناخبين
أى انه رفض الائتلاف وتوزيع كراسى الوزارة .. وعاد
الى طلبه القديم وهو الاحتكام للشعب فى انتخابات تجرى
والحكم يكون لمن يفوز ..

ومر عام ١٩٤١ ..
واقبل عام ١٩٤٢ ، وقد بدأ ثعلب الصحراء المراوغ
ماريشال روميل كما وصفه يومئذ ونستون تشرشل ..
بدأ يتحرك من مكمنه ..

وكان الانجليز قد سمعوا طبعاً وعرفوا بمساعي حسنين
لامعادة الوفديين الى الحكم . . وسمعوا طبعاً وعرفوا
بمقابلة فاروق لمصطفى النحاس . . وسمعوا طبعاً بخطبة
النحاس باشا في رأس البر وكيف انه حمل عليهم وأسماهم
اعداء الديمقراطية وجلادى الحريات . . وان رفعته القى
هذه الخطبة بعد مقابلته لفاروق . .

اذن . . فان فاروق ضدهم ، والوفد ورئيسه
ضدهم ، والرأى العام فى مصر ضدهم . .

وأحس حسنين انه فى سباق مع الزمن فذهب الى
فاروق يقول ان السعديين والدستوريين قد ركبهم
الفرور أو لعلمهم قد استعذبوا الحكم بعد بقائهم فيه أربع
سنوات ، ومن هنا لا يريدون أن يخطوا من جانبهم خطوة
الى الوفديين ، بل ذهبوا يتدللون ويشترطون قبل قبولهم
الائتلاف أن ينزل لهم الوفد عن كذا وكذا من الدوائر،
وأن يكون لهم فى الوزارة كذا وكذا من المقاعد . . وان
النحاس باشا يرفض وقد عدل عن رأيه وعاد واسترد
يده الممدودة . . فماذا نعمل ؟ . .

وقال فاروق . . « وهذا كلام حسنين باشا » :

— اذن هات النحاس باشا على شروطه . .

أى ان فاروق رضى بعودة النحاس باشا والوفد الى
الحكم بلا قيد ولا شرط . .

ولكن حسنين لم يصدع بأمر فاروق . . ولم يبادر
الى الاجهاز على وزارة حسين سرى المتعبة . . والعمل
على عودة النحاس الى رئاسة الحكم بدون قيد أو شرط
بل استأنف مساعيه عند الوفد وعند الاحزاب من أجل
الاتفاق والائتلاف . .

وكانما عز عليه أن يسلم بفشله فى تأليف الوزارة

القومية .. ومن هنا عاود الكرة ..

وقد يتساءل قارئ : ولماذا اذن كان قد ذهب الى فاروق وأبلغه ان النحاس قد استرد يده الممدودة وانه يرفض الأتلاف؟ وبالغ في وصف الصعوبات التي يلقاها ؟ والرد : لكى يحمل فاروق على اعطائه تفويضا مطلقا بالعمل .. أو بعبارة أخرى لكى يحصل على تفويض على بياض ..

اذا نجحت مساعيه وأفلح في حمل الوفد والاحزاب على الاتفاق فيما بينهم وتأليف وزارة قومية عاد الى فاروق - وقد تضاعف فوزه وقدره - وقال : « لقد حققت لمولانا رغبته ومع ان مولانا قد فوضنى في عودة النحاس الى الحكم على شروطه فائنى قد نجحت في عودة النحاس الى الحكم على شروط مولانا .. »

واذا لم تنجح مساعيه وأصرت الاحزاب على موقفها ومساوماتها .. وأصر النحاس باشا على استرداد يده التي كان مدها الى الاحزاب .. عاد حسنين الى فاروق وقال : « لقد صدعت بأمر مولانا وأعدت النحاس باشا الى الحكم بدون قيد أو شرط »

في الحالة الاولى : يكسب حسنين كثيرا لأنه جاء فاروق بكسب يفوق ما كان يطلبه . وفي الحالة الاخرى ، لا يخسر حسنين شيئا لأنه لم يفعل شيئا سوى تنفيذ أوامر « مولانا » فاروق ..

تلك أخلاق حسنين .. أو تلك كانت سياسته ..

حادثة فبراير

وهكذا .. مضت الايام ، وحسنين يسعى ويفاوض ويساوم رجال الاحزاب ، لأنه كان حريصا على الفوز وعدم الهزيمة ..

ولكن خوفه من هذه الهزيمة كان سببا في اصابته بأكبر هزيمة حلت به في حياته السياسية ، وأعنى حادث فبراير ..

ذلك انه أغفل الحقيقة التي كان أدركها منذ أسابيع او منذ شهور قليلة ، وهي انه في سباق مع الزمن .. او لعله لم يقدر سرعة هذا الزمن ..

أو لعل انتصاره على مايلز لامبسون يوم فاجاه بالامر الواقع وتعيين حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة ، ويوم فاجاه مرة ثانية بوزارة حسين سرى .. لعل انتصاره في هذين الحادثين ملاء ثقة بنفسه ، ومن ثم أراد أن يفاجيء الانجليز بقيام الوزارة الوفدية التي طالما ألحوا فيها وتمنوا قيامها .. ولكنها وزارة وفدية تأتي الى الحكم بارادة فاروق ..

وبفضل من فاروق لا بارادة الانجليز أو بمشورتهم أو بفضل منهم ..!

ويا له من انتصار لأحمد محمد حسنين ! .. هاكم وزارة الوفد برياسة مصطفى النحاس ..

هاكم الوزارة التي تطلبونها وتقدمون لنا الانذارات بسببها .. ولكنها وزارة تلى الحكم وهي تلعنكم وتلعن

سياستكم وتتهم حكومتكم بأنها تحارب الديمقراطية
والحرريات ..

نعم يا له من انتصار لأحمد حسنين .. أو هكذا
قدر أحمد حسنين ..

ولكن رئيس الديوان المناور الداهية أخطأ هذه المرة
في الحساب ، وفي تقدير مدى خبث السياسة البريطانية
أو المدى الذي يمكن أن تذهب إليه إذا تخرجت الأمور
وأحست ان مصالح بريطانيا في خطر ..
أخطأ في الحساب والتقدير وترك الإنجليز يسبقونه .



قلت ان ثعلب الصحراء ماريشال روميل تحرك من
مكمنه ..

وفي شهر يناير سنة ١٩٤٢ بدأ روميل هجوما عنيفا
على الجيش البريطاني في الصحراء ، وأوفدت لندن
وزير الدولة مستر ليتلتون الى القاهرة لكي يساعد
وجوده في منطقة الخطر على اتخاذ قرارات سريعة من
غير حاجة الى استشارة لندن في كل كبيرة وصغيرة ..

وطلب مايلز لامبسون من السراى تحديد موعد يتشرف
فيه وزير الدولة البريطاني مستر ليتلتون بمقابلة «جلالة
الملك» ..

ولكن السراى أبقت وزير الدولة والسفير ثلاثة أيام
في انتظار الرد ..

وكانت اهانة أفضبت الوزير والسفير .. أو هكذا
قال لي حسنين رحمه الله وهو يشرح لي أسباب حادث
٤ فبراير ..

روميل يشن هجوما عنيفا في الصحراء الغربية وهزائم
الجيش البريطاني تتوالى .. ومواقعه الحصينة تسقط
جباعا في أيدي جيش روميل ..

النحاس باشا يخطب ضد الانجليز . . وزارة حسين
صرى استقالت بسبب الازمة التي كان بطلها الاستاذ
صليب سامى وزير الخارجية يومئذ وهى الازمة التي
عرفت باسم أزمة وزير فيشى المفوض . . الراى العام
فى مصر هائج ضد الانجليز . . يصفق ويهتف لكل انتصار
يحرزه روميل وكل هزيمة تقع بالانجليز . . والمظاهرات
تطوف بشوارع القاهرة تهتف بسقوط انجلترا وحياة
روميل . .

وكان انقلاب بطله رشيد على الكيلانى وقع منذ
شهور فى العراق . . واضطر الوصى على العرش يومئذ
الامير عبد الاله ان يغادر بغداد ويلجأ الى البصرة . .
والسيد نورى السعيد ان يسافر من بغداد ويلجأ الى
القاهرة . . لأن الانقلاب كان ضد الانجليز وضد أعوانهم
فى العراق . .

وخشى الانجليز ان تمتد هذه النار او هذه المظاهرات
من القاهرة الى الارياف . . وأن يحدث فى مصر ما حدث
فى العراق . . فتكون الضربة قاضية على خطوط موصلاتهم
الخلفية بينما هم يحاربون روميل . . ومن هنا قرروا
ان يعملوا . . وبسرعة . .

والمصرى الوحيد الذى كان على علم سابق بما ينوى
الانجليز عمسله هو المرحوم أمين عثمان . . بل لعلمهم
استشاروه أو لعله هو الذى أشار عليهم بما يفعلونه . .
أريد ان أقول ان مصطفى النحاس ومكرم عبيد كانا
بريئين تماما من جريمة تدبير حادث ٤ فبراير . .
ولكننى لا أستطيع ان انفى عن مصطفى النحاس انه
استفاد من الحادث المذكور . .

وعقد كبار الانجليز فى مصر مجلسا برئاسة مستر

ليتلتون وحضور السفير مايلز لامبسون وكبار قواد الجيش البريطاني .. وفي الجلسة المذكورة تقرر تقديم الانذار البريطاني المعروف الى فاروق بوجوب تكليف مصطفى النحاس بتشكيل الوزارة .. والا ..

وحاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين ..

وقبل النحاس باشا رئاسة الوزارة رغم الحاح الزعماء عليه بعدم القبول في هذه الظروف او على الاقل بتأليف وزارة قومية انفاذا للمظاهر لوجه مصر وحتى لا يقال اننا خضعنا .. للانذار البريطاني ونفدناه بحروفه ..

واليكم التفاصيل :

قلت في الفصول السابقة ان السفير البريطاني كان طلب من رئيس الديوان أحمد محمد حسين قيام وزارة وفدية او على الاقل وزارة يؤيدها الوفد .. وان حسين ناور وداور وقاجا مايلز لامبسون بوزارة على رأسها حسن صبرى باشا .. ومرة أخرى بوزارة حسين سرى باشا وسكت السفير البريطاني ، ولكن على مضض .. وقد اضمر في نفسه شيئاً ..

وفي نفس الوقت كانت الهزائم تتوالى على الجيش البريطاني في الصحراء الغربية .. وكانت المظاهرات تطوف بشوارع القاهرة تهتف بحياة المانيا وسقوط بريطانيا .. وسقوط جورج السادس ..

واحس الانجليز ان الشعب - شعب مصر - ضدهم وفاروق ضدهم .. وصديقهم مصطفى النحاس قد مل الانتظار .. فانقلب هو بدوره ضدهم ..

ومن هنا قرروا - وبنصيحة أمين عثمان غفر الله له - قرروا أن يضربوا ضربتهم ..

وفي نفس الوقت - ومرة أخرى - كان احمد محمد حسنين يسعى لتأليف وزارة قومية . . هذا وبالرغم من ان مصطفى النحاس كان أعلن مرة ومرارا انه يرفض أن يضع يده في يد خصومه السياسيين . . ويرفض الاشتراك في وزارة قومية . . وانه لا يرأس الا وزارة وفدية خالصة وكذلك بالرغم من ان فاروق كان قد رضى بقيام وزارة وفدية وقال لحسنين : « فليكن . . وهات النحاس باشا على شروطه » . .

ورغم هذا كله لم يشأ احمد محمد حسنين أن يسلم بالهزيمة أمام مصطفى النحاس أو مايلز لامبسون ، فقد كان من خلقه عدم اليأس وعدم التسليم بالهزيمة . . وما دام فاروق كان يفضل قيام وزارة قومية أو وزارة ائتلافية فليحاول حسنين المستحيل من أجل تحقيق رغبة موالاه . .

وبينما حسنين باشا لا يزال في محاولاته ومداولاته ومفاوضاته مع زعماء الاحزاب . . وبعض كبار الوفديين - وكأنما نسي انه في سباق مع الزمن - بينما هو كذلك ضرب الانجليز ضربتهم . .

وفي يوم الاثنين ٢ فبراير ١٩٤٢ استقالت وزارة حسين سرى باشا ، وأرسل مايلز لامبسون الى فاروق يطلب منه أن يكلف مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة . . أو يقبل اسناد رئاسة الوزارة الى من يختاره مصطفى النحاس ويعد بتأييده . .

وأرسل فاروق واستدعى لمقابلاته رؤساء الوزارات السابقين ، ورؤساء الاحزاب والرؤساء السابقين لمجلس الشيوخ ومجلس النواب . . الى آخره . .

وشاورهم في الامر وطلب منهم أن يختاروا من بينهم وزارة قومية تواجه الاحداث الخطيرة التي تمر بالبلاد.

وقبلوا جميعهم أن يشتركوا في وزارة يرأسها مصطفى
النحاس ..

ولكن مصطفى النحاس أصر على موقفه أو على رفضه
وفي اليوم التالي - الثلاثاء ٣ فبراير - ذهب مايلز
لامبسون إلى قصر عابدين وقابل رئيس الديوان أحمد
محمد حسنين وقال له أنه علم أن مصطفى النحاس باشا
يرفض الاشتراك في وزارة قومية ولهذا فإنه - السفير
البريطاني - يطلب من حسنين باشا أن يقدم هذه
النصيحة للملك فاروق وهي أن يعهد إلى النحاس باشا
بتأليف وزارة وفدية ..

ومرة أخرى عز على حسنين باشا أن يسلم بالهزيمة !
ومن ثم فقد قال للسفير البريطاني ان المشاورات لاتزال
جارية مع رؤساء الاحزاب لتأليف وزارة قومية وأنه
واثق من ان وطنية الزعماء سوف تتغلب على كل شيء .
وانصرف مايلز لامبسون ..

انصرف لسكى يعود منذ ظهر اليوم التالي - الاربعاء
- ويسلم حسنين باشا هذا الانذار ..
وهذا نص الانذار :

اذا لم أعلم قبل السادسة مساء ان النحاس باشا قد
دعى لتأليف وزارة فان الملك فاروق يجب أن يتحمل
تبعات ما يحدث ..

ومرة أخرى لم ييأس أحمد محمد حسنين .. ولم
يشأ أن يسلم بالهزيمة - بل لم يتردد في مواجهة الموقف
الخطير ..

واستدعى الزعماء للاجتماع بقصر عابدين ..
وطال اجتماعهم .. وطالت مناقشاتهم ..
ودخل عليهم حسنين باشا مرة ومرتين لكي يذكرهم

ان عليه ان يرد على الأندار البريطانى وان يرسل جواب الملك فاروق قبل السادسة مساء ..

ولكن اجتماع الزعماء لم ينته الى النتيجة المرجوة بسبب اصرار النحاس باشا على موقفه ..

والوحيد بين رؤساء الوزارات السابقين الذى انضم فى رأى الى مصطفى النحاس كان احمد زيور باشا صاحب العبارة المشهورة : « انقاذ ما يمكن انقاذه » ..

وغادر الزعماء والرؤساء السابقون قصر عابدين على ان يستأنفوا الاجتماع مرة اخرى .. ولكن ..

حوالى الساعة التاسعة مساء امتلأ ميدان عابدين « ميدان الجمهورية الآن » بالآلاف الجنود البريطانيين ، وهم بملابس الميدان .. وبعشرات الدبابات ..

وطوقت الدبابات البريطانية قصر عابدين من جميع الجهات .. وصوبت اليه مدافعها .. وتقدمت احداها وحطمت الباب الرئيسى - أو كما كان يسمى « الباب الملكى » - ودخلت منه الى حرم القصر ..

ودخلت ورائها سيارة تحمل السفير البريطانى ومعه جنرال ستون قائد القوات البريطانية فى مصر ..

ووقفت السيارة أمام باب القصر الداخلى ونزل منها مايلز لامبسون والقائد البريطانى ..

ودخلا القصر ، بينما كان يسير أمامهما ثمانية ضباط بريطانيين ومسدساتهم فى أيديهم ..

وتقدم كبير الامناء بالنيابة يومئذ اسماعيل تيمور باشا يسألهم ماذا يريدون .. ولكن مايلز لامبسون نجاه بيده من طريقه وهو يقول :

- أنا أعرف طريقى ! ..

وكان الجنود البريطانيون قد هاجموا حراس القصر وجردوهم من السلاح ، وحاصروا ثكنات الحرس ..

وقاوم بعض أفراد الحرس ، ولكن البريطانيين تكاثروا
وتغلبوا عليهم وأصيب بعض جنود الحرس بكسور في
العظام ويجروح مختلفة ..

وصدر أمر من القصر الى رجال الحرس بعدم المقاومة
حتى لا تحدث مذبحة أمام قصر عابدين ! ..

وفي نفس الوقت كانت الطائرات البريطانية واقفة على
قدم الاستعداد للتخليق فوق ثكنات الجيش المصري
ومعسكراته وقذفها بالقنابل وتدميرها اذا بدرت من
الجيش أية مقاومة ..

وحاصر الجنود الانجليز كذلك أقسام البوليس في
القاهرة وقطعوا جميع الاسلاك التليفونية بين قصر
عابدين والخارج ..

كما حاصروا محطة الاذاعة المصرية لكي يمنعوا وصول
الخبر الى الشعب ..

ودخل سير مايلز لامبسون « الذي كوفيء فيما بعد
على عدوانه الشنيع بلقب لورد كليرن » .. دخل على
فاروق وكان واقفا في غرفة مكتبه والى جانبه رئيس
ديوانه أحمد محمد حسنين ..

وكان يقف وراء السفير البريطاني جنرال ستون .
بينما وقف خارج الغرفة الضباط الانجليز يحرسون
الباب وفي أيديهم المسدسات ..

وقال السفير البريطاني لفاروق ما خلاصته انه يخيره
بين التنازل عن العرش .. أو تكليف مصطفى النحاس
باشا بتأليف الوزارة ..

وقبل فاروق ان يعهد الى رئيس الوفد بتشكيل
الوزارة ..

وقال مايلز لامبسون :

– الآن . . هذا المساء
وومده فاروق بذلك !
وانصرف مايلز لامبسون ومن معه . .
ولكن الدبابات البريطانية ظلت تحاصر القصر وثكنات
الحرس . .

ومرة أخرى – وفي نفس المساء – ارسل حسنين باشا
واستدعى الزعماء والرؤساء السابقين . . الى آخره
وتوافدوا على قصر عابدين ورأوا الدبابات البريطانية
تحاصر القصر . .

وقال لهم فاروق انه قد قبل الانذار البريطاني وانه
يعهد الى مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة . .
وهنا قال الدكتور احمد ماهر :

– اسمع يا مصطفى باشا . . اننى اقول لك امام جلالة
الملك وزعماء مصر انك تتولى الحكم مسنودا بالدبابات
والحراب البريطانية . .

وقال اسماعيل صدقى باشا :
– نعم . . مسنودا بالحراب البريطانية حقيقة لامجازا
وقد رأيناها بأعيننا فى الميدان . .
وهنا قال مصطفى النحاس باشا انه لم ير شيئا من
هذا . . لأن الدنيا كانت ضلمة !

ثم قال فاروق :
– ولى عندك رجاء . يا مصطفى باشا . . وهو أن تذهب
الآن الى السفير البريطانى وتبلغه اننى قد عهدت اليك
بتأليف الوزارة . .

قال مصطفى النحاس :
– ولكن الوقت متأخر يا مولاي . .
ولكن فاروق ألح . . وقال :

— سوف تجد سير مايلز في انتظارك !

ومنعت الرقابة نشر أى خبر عن هذا العدوان فى مصر
كما انها منعت ارسال أية برقية فى هذا الموضوع الى
خارج مصر . .

وفى صباح اليوم التالى — ٥ فبراير ١٩٤٢ — توجه
مصطفى النحاس الى مكتبه برئاسة مجلس الوزراء . .

وكانت اللجان الوفدية قد استدعيت من مختلف جهات
القطر لتهنئة « الرئيس الجليل » . .

وكان الشعب يجهل تماما ما حدث فى مساء ٤ فبراير
وانطلقت المظاهرات . . وسارت الى دار الرئاسة
تهتف بحياة النحاس باشا . .

وأقبل السفير البريطانى ليهنئ النحاس باشا . .
ثم خرج الاثنان معا الى الشرفة . . مصطفى النحاس
ومايلز لامبسون وأيديهما متشابكة . .

وهنا خرج أحد أذئاب الوفديصيح بجموع المحتشدين
أن تهتف بحياة السفير البريطانى الصديق ! ! !

وهتفت الجماهير . . ولما غادر مايلز لامبسون دار
رئاسة مجلس الوزراء حمله بعض شباب الوفد على الاعناق
وأسرعت محطة اذاعة لندن وأذاعت هذا الخبر وقالت
ان الشعب المصرى قد حمل سفير بريطانيا على الاعناق!

وفى يوم ٧ فبراير — أى بعد الحادث بثلاثة أيام —
تناولت الغداء مع حسنين باشا فى داره ، وقص على
كثيرا من التفاصيل التى أوردتها هنا . . ومن بينها أن
فاروق — عندما رأى اصرار مصطفى النحاس على الانفراد
بالحكم ورفض كل اقتراح خاص بقيام وزارة قومية أو
ائتلافية أو محايدة تجرى انتخابات جديدة — قال

لحسنين باللغة الانجليزية :

— يظهر ان النحاس باشا واثق من الارض التى يقف عليها ..

أى واثق من تأييد الانجليز له ! ..

وقال : ان فاروق قال لرجال حاشيته عقب الحادث :

— يظهر ان الانجليز وقد خسروا معركة بنى غازى ارادوا أن يكسبوا معركة عابدين ! ..

وكان الجيش البريطانى قد اخلى مدينة بنى غازى وتراجع أمام جيش روميل ..

واقف قليلا عند حادث ٤ فبراير ..

على كثرة ما كتب ونشر عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، فانه لا تزال هناك تفاصيل واسرار لم تنشر بعد . كما ان أحداً من الذين كتبوا عن الحادث المذكور لم يحاول أن يجلو هذه النقطة وهى :

هل كان اعتداء الانجليز على السيادة المصرية وعرش مصر فى حادث ٤ فبراير نتيجة قرار اتخذ فجأة عندما توالت انتصارات قوات المحور بقيادة المارشال روميل فى الصحراء الغربية واشتد خطر غزو المحور ؟ ..

أم كان هذا الاعتداء — حادث ٤ فبراير — نتيجة سياسية تفررت ورسمت قبل ذلك بوقت طويل ؟ ..
بعامين أو بعام واحد على الأقل ؟ ..

ثم من هم الذين رسموا أو قرروا هذه السياسة أو هذا الاعتداء على سيادة مصر وعرشها ؟ ..

هل هم الساسة .. تشرشل وايدن فى لندن .. ووزير الدولة مستر ليتلتون وسفير بريطانيا سيرمايلز لامبسون فى القاهرة ؟ .. أو رجال الجيش البريطانى فى مصر والشرق الاوسط .. جنرال ويلسون وزملاؤه ؟ ..

ثم ما هو السبب أو الاسباب التى حاولت السياسة

البريطانية أن تبرر بها هذا الاعتداء الشنيع على سيادة
وعرش بلد مستقل ؟

هذه النقطة أو النقط لا تزال ملفوفة في غموض كثير .

ذات يوم في أوائل شهر يونية عام ١٩٤٠ تقابلت صدفة
في محل « جروبي » مع مستر جرافتى سميث السكرتير
الشرقي وقتئذ بالسفارة البريطانية . .

وجلسنا نتحدث عن معركة فرنسا وانهيار مقاومة
الجيش الفرنسي وعن دخول ايطاليا الحرب . وشكا
جرافتى سميث مما تلقاه السلطات البريطانية من معاكسات
السلطات المصرية وكيف ان الحكومة المصرية قد انقلبت
في الايام الاخيرة من حكومة صديقة تنفذ المعاهدة - معاهدة
١٩٣٦ - باخلاص وتعاون . . الامر الذي شكرها عليه
الجنرال ويلسون في نحو ثلاثين خطابا أرسلها الي رئيس
الحكومة « صاحب المقام الرفيع » على ماهر باشا . .
انقلبت من هذا الى حكومة تضع العقبات والعراقيل ولا
تبالى في طريق السلطات البريطانية . ومن ذلك انها
رفضت اعتقال عدد كبير من وكلاء المحور ممن كانوا
يشغلون مناصب مدنية أو يقومون في الظاهر بأعمال
تجارية بريئة بينما هم في الحقيقة يؤلفون شعبة تابعة
لأقلام مخابرات العدو السرية . . أى الجاسوسية . .

ثم قال مستر جرافتى سميث : ان سنيور دودونى
مدير وكالة الانبساء الايطالية هو في الحقيقة رئيس
الجاسوسية الايطالية في مصر ، ولقد طلبت السلطات
البريطانية اعتقاله وعدم تمكينه من مفادرة مصر والعودة
الى ايطاليا لأن المعلومات التى جمعها اثناء اقامته في مصر
تفيد ولا شك القيادة العليا للمحور فائدة كبيرة . .

ومضى جرافتى سميث في حديثه يقول :

- ولقد قدر حسن فهمى رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية طلبنا هذا حق قدره وفهم الاسباب التي تبرره ولهذا فانه ماطل سنيور دودوني عندما تقدم بطلب تأشيرة الخروج من مصر وأبقى طلبه تحت البحث والنظر ورفض في نفس الوقت أن يعيد اليه جواز سفره . ولقد أراد حسن فهمى باشا من هذه المماطلة والتسويف أن يتيح للسلطات البريطانية الوقت الكافي لاقتناع الحكومة المصرية بوجهة نظرها وهي وجوب اعتقال سنيور دودوني ولكن رئيس الحكومة على ماهر باشا تكلم بنفسه مع ادارة الجوازات وألح في استعجال اتمام اجراءات (الفيزا) أو لاذن بمفادرة الاراضي المصرية الى سنيور دودوني ! بل لم يكتف على ماهر باشا بهذا وذهب بنفسه الى ادارة الجوازات ولم يبرحها الا بعد أن تمت اجراءات (الفيزا) وغادر المكتب ومعه جواز سفر سنيور دودوني وقد سلمه اليه بيده . واستطاع السنيور أن يفادر مصر تحت أنفنا وبصرنا ونحن مكتوفو الأيدي لانستطيع شيئا وكان الفيظ واضحا في نبرات صوت السكرتير الشرقي للسفارة البريطانية وهو يروي لي هذه القصة ثم يتساءل أين الاخلاص والتعاون اللذان كانت السلطات البريطانية تلقاهما من قبل من حكومة على ماهر؟ ! وهل هذه العقبات والعراقيل التي تضعها حكومة مصر أمام المجهود الحربي البريطاني مما يتفق مع المعاهدة المعقودة بين البلدين ؟ . وانصرف مستر جرافتي سميث وهو يقول لي ما معناه ان للصبر حدودا ، وان دوام هذه الحال من المحال

ولقد تلقت السلطات البريطانية في مصر يومئذ تقارير فحواها ان الوزارة المصرية قد قلبت سياستها رأسا على عقب . وان سياستها التي كانت تجري - قبل انهيار

فرنسا - على أساس الاخلاص والتعاون مع انجلترا قد انقلبت وأصبحت تقوم على أساس ان النصر لدولتي المحور ألمانيا وإيطاليا . . وان الهزيمة لبريطانيا . وان بعض الوزراء المصريين قد صرحوا في مجالسهم وفي حضور وبموافقة «رفعة» رئيسهم بما يفهم منه هذا ، بل لقد ذهب أحدهم وهو صالح حرب باشا الى حد القول بأن أيام بريطانيا معدودة وان مقاومتها لألمانيا لن تزيد على شهرين اثنين . .

وكان ان خطت انجلترا خطوتها الاولى في الاعتداء على سيادة مصر واستقلالها وأرسلت انذارها الاول مصحوبا بالبرقية المشهورة التي أرسلها لورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانية الى سفير بريطانيا في مصر سير مايلز لامبسون وفيها يقول :
وترجمتها حرفيا : « على ماهر يجب أن يذهب » . .
أى يترك الحكم ! . .

واستقالت وزارة على ماهر باشا . وفوجيء الانجليز كما سبق ان قلت باختيار حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة

وهكذا يمكن القول بان الاعتداء على سيادة مصر وعرشها كان قد بدأ فعلا - وبصورة ما - في صيف عام ١٩٤٠ ، ولم يكن هناك يومئذ خطر داهم على مصر لأن القائد البريطاني الجنرال ويفيل كان منتصرا فعلا على الجيش الايطالى فى الصحراء الغربية . .

والتفكير فى فرض وزارة مصرية معينة وزعيم مصرى معين يتولى الحكم كان قد بدأ فى صيف عام ١٩٤٠

ومن ثم يمكن القول وعلى أساس من الاستنتاج المنطقى السليم ان حادث ٤ فبراير لم يكن نتيجة قرار أو سياسة

اتخذت فجأة وتحت ضغط خطر داهم . . وانما كان الفصل
الآخر، أو الخاتمة لسياسة مرسومة كان قد بدأ تنفيذها
أو قل ان شئت ان حدث { فبراير كان تحقيق أو
تنفيذ الفكرة أو « المشورة » التي تقدم بها مايلز لامبسون
في يونيو عام ١٩٤٤ ! وهي أن تتولى الحكم وزارة يؤيدها الوفد

وفي منتصف شهر ابريل عام ١٩٤٥ - وكانت الحرب
العالمية لاتزال دائرة - قمت برحلة الى تركيا مارا ببلبنان
وتفضل صاحب الدولة السيد حسين العويني - وقد
قابلته في بيروت - وأعطاني خطاب تقديم وتوصية الى
صديقه سعادة السيد فؤاد حمزة وزير المملكة السعودية
العربية في انقرة . .

وكان السيد فؤاد حمزة - رحمه الله - مستودع
أسرار كبير ولا أعرف بين دبلوماسيي العرب وساستهم
من يفوقه علما والمما بأسرار ما يجري وراء الستار .
ولعل مما ساعد على هذا المامه واثقانه لأكثر من لغة
أجنبية واحدة ، وهو لبناني الاصل ، وكان مفرما بالأسفار
وكان أثناء الحرب العالمية الأخيرة وزيرا مفوضا لدولته
لدى حكومة ماريشال بيتان في فيشي وحكومة الاتحاد
السويسري في برن . . ثم لدى حكومة تركيا في انقرة .

ولقد تمكن في هذه المناصب في البلدان الثلاثة من
الوقوف على أسرار كثيرة منها ما يتصل مباشرة بحادث
{ فبراير . . وأنا هنا أنقل مباشرة عن مذكراتي :

حدثني سعادة فؤاد حمزة بك الوزير المفوض للمملكة
العربية السعودية فقال انه لما كان في زيوريخ (سويسرا)
في عام ١٩٤٢ - بعد وقوع حادث { فبراير - قابله اللورد
. . . الذي كان يدير في الخفاء قلم المخابرات البريطانية
في سويسرا وقال : ان الحكومة البريطانية قد هالها ما

يجرى ويقع في مصر فقررت خلع الملك فاروق وان الصعوبة كانت في اختيار الذي يخلفه على العرش.. ولقد فكرت الحكومة البريطانية في أول الأمر في حفيد الخديو عباس حلمي - أي نجل الأمير السابق محمد عبد المنعم وكان لا يزال يومئذ في سن الرضاعة - على أن يكون هناك وصي كما هو الحال في العراق ، ثم انتهى الرأي إلى مفاوضة الخديو عباس حلمي فاتصلوا به في سويسرا وسافر سموه - رحمه الله - إلى استانبول لكي يكون على مقربة من مجرى الحوادث !..

وفي استانبول قابله مستر مرتون وسلمه رسالة من الحكومة البريطانية ..

ومستر مرتون هذا عاش معظم سني حياته في مصر وكان يعرف البلاد ويعرف أعيانها وساستها حق المعرفة كما كان يجيد الحديث باللغة العربية .. وكان في أول أمره موظفا بوزارة الزراعة المصرية ثم استقال وعمل مندوبا لجريدة المورنينج بوست ثم مندوبا لجريدة الديلي تليفراف ..

وكان بحكم عمله الصحفي أثناء الحرب كثير التجول والتنقل بين ميادين الحرب في الشرقين الأدنى والأوسط وقد قتل في حادث انقلاب سيارة في الصحراء القريبة ، وقاتل معه في نفس الحادث قائد انجليزى مشهور اسمه جون كامبل ..

قلت ان الخديو عباس حلمي غادر سويسرا إلى استانبول حيث قابله مستر مورتون وتحدث معه وسلمه رسالة من حكومة لندن ..

واقام الخديو السابق ينتظر « الإشارة » أو الخطوة الثانية .. ولكن قلم المخابرات الألمانية أحس أن هناك

شيئا مريبا يجرى ..

وكذلك احس الخديو ان الالمان يشكون فيه .. وان
عيونهم في استانبول يرقبون حركاته .. ويشكون في سبب
قدومه الى استانبول واتصاله بأعدائهم الانجليز، فخشي
الخطر على نفسه ، وأسرع بمفادرة استانبول عائدا الى
مقره الامين في سويسرا ..

وقلت لفرّاد حمزة بك :

— ولماذا لم يرشح الانجليز لعرش مصر «ولى العهد»
الامير محمد على توفيق وهو صديقهم الحميم ..؟

قال : في الواقع ان ترشيح البرنس محمد على للعرش
لم يكن محل تفكير في اى وقت لان الانجليز كانوا يعرفون
انه غير محبوب وليست له اقل شعبية في مصر .. ولقد
فكروا في الخديو عباس حلمي لأنه كان محبوبا الى حد
ما وكانت له شعبية .. ثم هو الرجل الذى كان الانجليز
اغتصبوا منه العرش وأعطوه لحسين كامل ثم لأحمد
فرّاد .. ومن هنا رأوا ان يعيدوه أو يعيدوا اليه عرشه
ترضية لشعب مصر حتى لا يثور أو يقوم باضطرابات عند
خلع الملك فاروق المحبوب ؟ ! ..

قلت ان حسنين باشا أكد للسفير البريطانى مايلز
لامبسون الذى لم يكن قد أنعم عليه بعد بلقب لورد كليرن
انه قد روعى في اختيار حسن صبرى باشا وجميع أعضاء
وزارته انهم أصبحوا مخلصون لبريطانيا والا لما كان
الاختيار قد وقع عليهم ..

وسكت مايلز لامبسون او اطمأن الى هذا التفسير .
ولكن رئيس الحكومة الجديدة حسن صبرى باشا لم
يطل به الامر حتى بدا يشكو لمن يلقاهم من كبار الانجليز

من انه لا يستطيع القيام بكل ما يقتضيه تنفيذ المعاهدة
بصدق وتعاون واخلاص لأن خصومه السياسيين أقوى
منه وأوسع نفوذاً وان على رأس هؤلاء الخصوم على ماهر
وطلب منه الانجليز اعتقال على ماهر باشا ولكنه رفض
ثم توفي حسن صبرى باشا فجأة بينما كان يلقي خطاب
العرش في حفلة افتتاح البرلمان في نوفمبر عام ١٩٤٠
ومرة أخرى طلب فاروق من أحمد حسنين البحث
عن رئيس جديد للحكومة . .
ومرة أخرى فوجيء الانجليز بقيام وزارة ليست وفدية
أو يؤيدها الوفديون كما كانوا يطلبون . .!

ولكن حسين سرى - هو أيضا - لم يكد يسير في الحكم
أسابيع حتى ذهب يشكو لكل من يلقاه هنا وهناك من
كثرة العراقيل التي توضع في سبيله ومن مشاورات
ودسائس بعض الساسة المصريين بقصد اضعافه وشل يده
وكانت السلطات البريطانية في ذلك الوقت كثيرة
الشكوى من نشاط بعض الساسة والكبراء المصريين في
مصر . . وفي خارج مصر وهونشاط وصفه الانجليز يومئذ
بأنه نشاط «محورى» يعمل لمصلحة دول المحور . . أو على
الأقل هو نشاط معاد للسياسة البريطانية ومعرقل
لجهودها الحربية ضد أعدائها . .

وكان بين أسماء الكبراء الذين يقومون بهذا النشاط
خارج مصر: «سعادة مراد سيد أحمد باشا» - رحمه
الله - الذى كان وزيرا مفوضا لمصر في روما عند اعلان
الحرب . . ولقد رفض يومئذ أن يعود الى مصر . . ومضى
يتنقل بين ايطاليا وسويسرا والمانيا ! وتركه الالمان
والايطاليون حرا بينما اعتقلوا مئات من الرعايا المصريين
هذا وقد لفت انظار أقلام المخابرات البريطانية الى

نشاط مراد سيد أحمد باشا . .
وهنا تذكرت السلطات البريطانية ان مراد سيد احمد
باشا صديق حميم لعلی ماهر باشا ، وان علی ماهر باشا
كان اختاره وزيرا في وزارته ثم وزيرا مفوضا لمصر . .
وازداد الشك وسوء الظن في علی ماهر . .
وتساءلت السلطات البريطانية يومئذ لماذا لا تتخذ
السلطات المصرية اجراء ما ضد سيد احمد باشا ونو
بوصفه موظفا كبيرا في المعاش ؟ . .

واذا كان كونت شيانو - وزير خارجية ايطاليا يومئذ
وصهير موسولينى - قد كتب في مذكراته التى نشرت
بعد وفاته ونشرت ترجمتها زميلتنا الاهرام ، شيئا عن
حديث دار - اثناء الحرب طبعا - بين مراد سيد احمد
باشا وبين وزير ايطاليا المفوض لدى الفاتيكان وقد قال
مراد سيد احمد باشا في هذا الحديث ان الملك فاروق
يميل الى المحور ويكره البريطانيين « وقد اغفلت جريدة
الاهرام يومئذ نشر ترجمة هذا القسم من المذكرات » . .
فان اقلام المخابرات البريطانية كان لديها اقوال اكثر
خطورة منسوبة ان صدقا وان كذبا الى مراد سيد احمد
باشا . .

ولقد كان في مقدور السلطات البريطانية ان تفهم
وتقدر نشاط هؤلاء الكبراء المصريين . . لا على انه خيانة
لقضية بريطانيا وحلفائها . . وانما على انه اخلاص لقضية
مصر واستقلالها ، وان المصريين هؤلاء ذوى النشاط
«المحورى» لا يحبون المحور لسواد عينيه ولا يكرهون
الانجليز لذاتهم . . ولكنهم كانوا يعملون لمصر ولتحقيق
ما يعتقدون باخلاص انه في مصلحة مصر . ولقد كانت
الدول المحايدة او معظمها على الاقل تؤمن يومئذ ايمانا
راسخا بان النصر للمحور، وان الهزيمة مكتوبة لبريطانيا

ولم يكن اذن هذا النفر من السياسة والكبراء المصريين هم وحدهم الذين يؤمنون بانتصار المانيا ومحوزها.. فقد كان هناك اخوان لهم في فلسطين والعراق وسوريا يرون نفس الراى ..

بل وفي اسبانيا والبرتغال وسويسرا والسويد وامريكا الجنوبية.. وفي الهند ، بل وفي فرنسا نفسها كان يوجد كثيرون ممن يؤمنون بأن النصر لدول المحور .. وفي جميع هذه الدول كان يوجد سياسة يحبون بلادهم ، وكانوا يرون من بعد النظر وحسن الاحتياط أن يؤيدوا المحور ويعملوا معه لكي يضمنوا السلامة لبلادهم ويضمنوا معها استقلالها وتحقيق امانها المشروعة يوم يتم النصر للمحور ويعود السلام ..

لم تكن هناك اذن خيانة لقضية الديمقراطية ، وانتصار أو تعاون مع قضية النازية والفاشية وانما كان هناك اخلاص لقضية البلاد وحرص على تحقيق امانها في العزة والسيادة والاستقلال ..

والبريطاني الكبير الوحيد الذي فهم الموقف على حقيقته وقدر وجهة نظر هؤلاء السياسة المصريين.. كان الجنرال «الآن فيلد مارشال» هنرى ميتلاند ويلسون ومن هنا فقد نظر الى نشاطهم «المحورى» - كما وصفوه يومئذ - بشيء غير قليل من سعة الصدر وقال عن الصدام الذى وقع بين السياسة البريطانية وبين هذا النشاط المصرى المحورى انه نشاط بين ولاءين !..

بين ولاء السياسة المصريين لقضية بلادهم واستقلالهم وبين ولائهم لقضية الحلفاء والديمقراطية ..

ولكن زملاءه وأنداده من القادة البريطانيين سواء في لندن أو في القاهرة لم ينظروا الى الموقف بنفس العين.. بل نظروا الى نشاط هذا النفر من السياسة والكبراء

المصريين على انه نشاط خطر بالغ الخطورة ..

واستدارت بريطانيا في سياستها نحو مصر وكان هذا في اوائل يونية عام ١٩٤٠ ، وأرسلت برقية واندازا بوجوب تخلي السيد على ماهر عن رئاسة الوزارة ..
واسناد الحكم الى وزارة وفدية برئاسة السيد مصطفى النحاس او على الاقل وزارة يؤيدها الوفد ومصطفى النحاس ..

وكان منطلق حجة بريطانيا في هذا ان مصطفى النحاس هو المساهم الاول في عقد معاهدة ١٩٣٦ ، وانه اذن المسئول الاول عن تنفيذها نصا وروحا بولاء ووفاء واخلاص ولكن السلطات البريطانية فوجئت باختيار المرحوم حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة ..

ثم فوجئت مرة أخرى باختيار حسين سرى باشا خلفا له في رئاسة الوزارة ..

ثم جاءت حكاية البوليس الخاص ووضعه تحت قيادة محمد طاهر « باشا » ..

وطاهر « باشا » كان من بين الذين طلبت السلطات البريطانية اعتقالهم بدعوى «نشاطهم المحورى» وكانت هذه السلطات تتلقى تقارير يومية عما يجرى في نادى السيارات « الملكى » وعن الاحاديث المنسوبة الى بعض كبار أعضائه مثل النبيل «السابق» عباس حليم ومحمد طاهر « باشا » .. وكانت التقارير المذكورة تزعم ان الرجلين وغيرهما يفضون بأحاديث مملوءة بالعبداء المر للانجليز وبالتأييد الصريح لدول المحور ...

فلما شكل البوليس الخاص وعلى رأسه طاهر «باشا» رفضت السلطات البريطانية أن تصدق ان مهمة هذا البوليس الخاص هي مساعدة البوليس المصرى أثناء الغارات .. الى آخر ما قيل ونشر يومئذ عن الغرض

من تشكيكه . .

رفض الانجليز أن يصدقوا هذا وزعموا ان هذا البوليس الخاص انما أنشئ خصيصا لكي يسهل على قوات المحور مهمتها يوم تدخل مصر . . ويهد لها ويعاونها اثناء فترة الانتقال المضطربة وهي الفترة التي لا بد منها اثناء انسحاب البريطانيين . . ودخول الالمان والايطاليين . .

وان هناك - كما جاءهم من استانبول - نظاما خاصا للاشارات والتعليمات متفقا عليه بين هذا البوليس الخاص وبين الالمان . . وكان الانجليز يعتقدون - فوق هذا وذاك - ان في مصر محطات لاسلكية سرية للاستقبال والارسال . . اى محطات تستطيع ان تلتقط الرسائل وترسل الرسائل من مصر بدون أن تمر الرسائل المذكورة بالرقابة العسكرية . . !

وان هذه المحطات اللاسلكية السرية كانت ترسل الى « وكلاء المحور وسلطاته الحربية » تفاصيل عن بعض ما يجرى في مصر وما تحرص السلطات البريطانية كل الحرص على كتمانها كل الكتمان ، كما انها - اى هذه المحطات السرية - كانت تتلقى من وكلاء المحور وسلطاته الحربية التعليمات عما يجب عمله . .

وبعبارة اخرى كانت السلطات البريطانية تعتقد ان هذه المحطات اللاسلكية السرية جزء من « النشاط المحورى » الذى يقوم به « طابور خامس » يتزعمه نفر من كبار السياسة المصريين . .

واثناء هذا وذاك - اى في الفترة ما بين يونية ١٩٤٠ ، وأواخر عام ١٩٤١ - تلقت السلطات البريطانية تقارير من أقلام مخبراتها في مصر وفي انقرة واستانبول ولبنان وقد جاء فيها :

١ - ان سمير ذو الفقار بك التتريقاتى السابق -
واحد اصداقء على ماهر باشا - قد سافر اكثر من مرة
الى تركيا بحجة التجارة فى الجلود والتبغ وانه اجتمع
بسفير المانيا فى انقرة فون بابن عدة مرات ، وانه قابل
ايضا بعض وكلاء الالمان فى لبنان وانه لما عاد الى مصر
اجتمع بفلان وفلان من الساسة وكبار رجال الدولة ا

٢ - وان شوقى الهان وزير تركيا المفوض يومئذ فى
مصر قد سافر اكثر من مرة الى تركيا بحجة الاجازة او
مراجعة حكومته فى بعض الشئون ، بينما هو سافر فى
الحقيقة موفدا من « سلطات مصرية عليا » للاتصال
بالسلطات الالمانية فى تركيا وابلاغها كذا وكيت . . لكى
تبلغها هى بدورها الى « السلطات العليا » فى برلين .
وكانت تركيا يومئذ اى فى عام ١٩٤١ على الحياد . .
ولكنه كان حيادا مشوبا بالميل الالمانى وتأييد المحور . .
وكان فريق كبير من ساستها وقوادها العسكريين يؤمن
بان النصر للمحور . .

٣ - وان الانسة دولورس دى بدروزو الملحقة
السياسية بمفوضية اسبانيا فى القاهرة كانت « واسطة »
اتصال بين فريق الكبراء المصريين الموالين للمحور . .
وبين سفارة المانيا فى مدريد . .
وكانت اسبانيا يومئذ على الحياد . . ولكنها كانت
تؤيد المحور صراحة . .

٤ - وان مسيو بوتزى الوزير المفوض لحكومة فيشى
الفرنسية فى القاهرة يقوم بنفس الدور . .
وحكومة فيشى كانت تتعاون مع الالمان . . .
كانت السلطات البريطانية تتلقى هذه التقارير فى عام
١٩٤١ ، وكانت تؤمن بصحة ما فيها . . هذا بينما كانت
الحرب تمر بمرحلة من اخطر مراحلها ، بالنسبة لانجلترا

وحلفائها فقد كانت بريطانيا تحارب فى الواقع وظهرها الى الجدار وقد توالى عليها الهزائم .. ثم اذا باليابان تقوم بهجومها المفاجيء فى نهاية العام - عام ١٩٤١ - وتجتاح المعاقل البريطانية فى الشرق الاقصى ..

وتوالى انتصارات اليابان فى البر والبحر ضد البريطانيين وحلفائهم الامريكان. وسقطت جزر الباسفيك والملايو وجزر الهند الشرقية وبورما وسنغافورة .. ثم بدأ زحف اليابانيين صوب الهند ..

واضطرت بريطانيا ان تعيد توزيع قواتها المنهكة .. كان هذا هو الموقف فى الشرق الاقصى ..

اما فى أوروبا فان الجيوش الالمانية كانت تحاصر موسكو ولينينجراد .. وتعدو عدوا صوب آبار البترول فى القوقاز وفى كلمة موجزة كان هتلر قد سحق أوروبا تحت حذائه العسكرى من النرويج الى اليونان ومن شاطئ الاطلنطى الى نهر الفولجا وجبال الاورال ..

وفى افريقيا وعلى حدود مصر الغربية كان الثعلب المراوغ الماريشال روميل - كما أسماه يومئذ تشرشل - كان لايتراجع مرة الا ليرتد بعدها - مثل وتر القوس - وهو أكثر شدة وقسوة وعنفا ليكيل للبريطانيين ضربات قاصمة !

وكانت انجلترا قد هرعت خلال العام - عام ١٩٤١ - الى التدخل فى العراق لتحبط الانقلاب الذى قام به السيد رشيد على الكيلانى الذى كان متهما بأنه ضالع مع المحور ..

وتدخلت كذلك فى ايران - بالاتفاق مع حليفتها روسيا - وخلعت شاه ايران رضا بهلوى ونفته الى جزر سيشل

وفى كلمة موجزة كانت أعصاب الانجليز متوترة .. وصوابهم يكاد أن يطيش .. ما بين هزائم متوالية ..

وانقلابات في بلدان صديقة موالية . .
وكانت السلطات البريطانية في مصر تخشى ان يقع
هنا انقلاب كالذي وقع في العراق . .

انقلاب يخرج به الامر نهائيا من ايدى السياسة المصريين
«اصدقاء» بريطانيا الى ايدى السياسة المصريين خصومها
الذين يعملون على احباط مجهودها الحربى في مصر وفي
الشرق الاوسط ويمهدون لانتصار المحور . .

وكانت تقارير اقسام المخابرات البريطانية كما سبق ان
ذكرت تزعم ان سياسة وكبراء مصريين يترقبون الفرصة
للقيام بانقلاب في الوقت الذي يتفق عليه بينهم وبين وكلاء
المحور وعيونه في مصر . . وان الفرض من هذا الانقلاب
هو احراج البريطانيين في الوقت المناسب الذي يشن
فيه روميل هجوما عنيفا على مصر فيضطر البريطانيون
الى توزيع قواتهم بين مصر وميدان القتال في الصحراء
الغربية . . وتضطرب خطوط التموين وتقطع خطوط
المواصلات مع جبهة القتال . . .

كان الموقف اذن خطيرا بالغ الخطورة وكانت السياسة
البريطانية قد فقدت اتزانها وطاش صوابها وكانت تتعثر
وهي تتلمس اسباب النجاة . . وكان سياسة بريطانيا
وقوادها ورجال سفارتها في مصر يشعرون ان شعب
مصر يكرههم وان عواطفه كلها مع المانيا وهتلر . . وكانت
عيون السفارة ورجال اقسام المخابرات البريطانية يقدمون
تقارير فيها ان رواد المقاهى في الاحياء الشعبية في القاهرة
واسكندرية ومدن القطر يجتمعون كل مساء حول أجهزة
الراديو وينصتون للاذاعات العربية من محطات المحور،
وخصوصا محطة برلين . .

وتناقلت الالسن يومئذ تكتة او عبارة مشهورة قالها
المرحوم احمد زيور باشا عندما سئل عن رأيه في الحالة .

فقد قال : « حالة ايه يا مونشير ! .. شعب مصر المانى
.. وملك مصر طليانى .. والحكومة انجليزية »

أى ان عواطف الشعب مع الالمان ..
والملك السابق فاروق ضالع مع الايطاليين بحكم نشأة
ابيه والصداقة الموروثة والحاشية الايطالية التى تحوطه
بينما الحكومة تتعاون مع الانجليز !
كان الانجليز يدركون هذا ويشعرون ان المصريين
ضدهم .. والملك فاروق ضدهم ..
وان هناك « نشاطا محوريا » - كما وصفوه - يقوم
به نفر من كبار المصريين فى مصر وفى خارج مصر .. وان
هناك اتصالات سرية تجرى بين السلطات المصرية العليا
- أى فاروق ورجاله - وبين السلطات العليا فى برلين ..
وان بين الذين يقومون بهذه الوساطة ويسهلون هذه
الاتصالات وزير تركيا المفوض فى مصر شوقى الهان ..
والآنسة بدروزو الملحقه بالمفوضية الاسبانية ، ومسيو
بوتزى وزير حكومة فيشى المفوض فى مصر ..

وان هناك خطة مرسومة لاحداث انقلاب فى مصر
عندما يشدد روميل هجومه على مصر ..
كانت هذه هى حال البريطانيين وكان هذا موقفهم ..
والمعلومات التى تجمعت لديهم ..

ومن ثم كانوا يوجسون شرا ويخشون ان يقع فى مصر
ما سبق ان وقع فى العراق وأن يفاجأوا فى ساعة الخطر
- وهجوم روميل - بوقوع انقلاب فى مصر يتولى على
أثره الحكم أحد الساسة الموالين للمحور ذوى «النشاط
المحورى» الذى سبق أن أشرت اليه ..

وكان الانجليز يرون أن الحل الوحيد لعلاج الموقف
هو أن يتولى الوفديون الحكم .. وهو ما سبق أن أشاروا
به فى صيف عام ١٩٤٠ ثم عادوا وأشاروا به بعد وفاة

المرحوم حسن صبرى باشا . . ولكن مشورتهم لم يعمل بها فى المرتين . . .
وكان الاعتقاد السائد فى لندن وفى الدوائر البريطانية فى القاهرة ان «رفعة» مصطفى النحاس باشا هو وحده الزعيم الشعبى القادر على «تحويل الدفة» دفة عواطف الشعب . . من الاتجاه الى المانيا الى الاتجاه الى بريطانيا وحلفائها !

ومرت شهور الصيف . . والخريف . . واقبل الشتاء وبدأ روميل يتحرك بجيوشه فى الصحراء الغربية صوب مصر . . .

واستعرض الانجليز الموقف فاذا به :
الملك ضدهم . . .

والشعب المصرى او الراى العام فى مصر ضدهم . . .
وحزب الاغلبية الشعبىة - اى الوفد - ضدهم بعد خطبة النحاس باشا المشهورة فى رأس البر . وانه - اى الوفد - ينتظر من فاروق - ومن يوم لآخر - ان يعيده الى الحكم . .

وكان الانجليز - طبعا - يعرفون جميع الخطوات التى تمت من أجل عودة المياه الى مجاريها بين الملك فاروق وحزب الاغلبية الوفدىة . .

ومن هنا قدرت السياسة البريطانية انه اذا تولى الوفد الحكم فسوف يتولاه وهو يشعر بأنه مدين بهذا «الفضل» لفاروق ! . .

فاروق الذى كان ممالئا او نصيرا لسياسة المحور . . وان الوفد والحالة هذه سوف يسير على نفس السياسة اى سياسة العداة لبريطانيا وممالاة أعدائها دول المحور! وأسرع الانجليز وانتهزوا فرصة حوادث آخر يناير ١٩٤٢ - أزمة فيشى واستقالة وزارة حسين سرى باشا

— أسرعوا وضربوا ضربتهم التي فرقوا بها بين الملك ،
والوفد . . وكسبوا فيها الوفد وأغلبته الى جانبهم . .
وفي غداة حادث { فبراير ، هتف الشعب — شعب
الوفد — لسفير بريطانيا وهو في طريقه الى رئاسة مجلس
الوزراء . .

وهتف وصفق له طويلا عندما أطل عليه السفير سير
مايلز لامبسون والى جانبه رئيس الوزراء مصطفى النحاس
باشا من شرفة رئاسة مجلس الوزراء !
وأحس الوفد يون يومئذ أنهم مدينون فعلا « بالفضل »
فضل توليهم الحكم — بعد حرمانهم منه زهاء أربع سنوات
— مدينون بهذا « الفضل » لبريطانيا وسفيرها سير مايلز
لامبسون . . لا لفاروق أو أحمد حسنين !

وكانت أكبر هزيمة منى بها حسنين في حياته السياسية
فقد ترك الانجليز يسبقونه ويثتزعون منه النحاس
والوفدين من بين يديه . .

وقال لى يوم قابلته بعد حادث { فبراير بثلاثة أيام :
« القلم » كان جامد يا محمد . . لسه بيرن على صدغى
. . شغل ثمانية اشهر راح فاشوش . .
وكان يقصد مساعيه من أجل عودة الوفد الى الحكم
. . ولكن لا بهذه الطريقة بل بالطريق الشرى السليم .
وتنهذ حسنين وقال :

— آه لو كنت قابلت ليتلتون قبلها ولو بأربع وعشرين
ساعة بس . . ما كنش حصل حاجة من دى . .
وحدثنى طويلا عن تفاصيل الحادث والاندارات التي
سبقته وعن اجتماعات الزعماء فى قصر عابدين ثم محاصرة
الدبابات البريطانية للقصر وحضور السفير مايلز لامبسون
. . الخ . .

ولقد خرجت يومئذ من هذا الحديث بهذا الاثر وهو

ان حسنين كان لايزال حائرا لايعرف كيف وقعت هذه الضربة .. ولا من أين جاءت ؟ هل من السفير ، أو من مستر ليتلتون وزير الدولة ؟ وهل النحاس باشا برىء كما يقول من تبعة هذا الحادث ومن الاشتراك في تدبيره ؟ واذا كان هو بريئا ، فهل مكرم ، وأمين عثمان بريئان كذلك؟ أم تراهما اتفقا مع الانجليز من وراء ظهر مصطفى النحاس .. الى آخره ..

كان حسنين لايزال حائرا يوم قابلته عقب الحادث في يوم ٧ فبراير.. ولكنه عاد بعد أيام وفي مقابلة اخرى وقال انه اقتنع بان النحاس ومكرم بريئان وانه أفلح في اقناع فاروق بذلك ..

ولكننى أتساءل اليوم - وفي ضوء تصرفات حسنين التالية مع مصطفى النحاس - أتساءل هل كان حسنين قد اقتنع حقا ببراءة النحاس أو انه قال لى هذا الكلام لكى انقله الى مصطفى النحاس فيطمئن الى حسنين ولا يأخذ منه حذره ؟

وأخرج من هذا السؤال أو هذا التساؤل بحقيقة قررها ويشهد كثيرون على صحتها وهي ان حسنين باشا - رحمه الله - أقسم بعد حادث ٤ فبراير على الانتقام من مايلز لامبسون ومن مصطفى النحاس ..

القسم على الانتقام من رئيس الوفد ينهض دليلا على ان حسنين لم يكن يؤمن ببراءة مصطفى النحاس .. ولكننى اترك المتطق والاستنتاج وأروى حديثه أو أحاديثه كما سمعتها منه ..

في حديث له أفضى به الى فى جلسة لنا بداره فى مساء ٢٧ مارس عام ١٩٤٢ ، قال : ان فاروق قال له عقب الحادث مباشرة : « حصل اللى حصل وعلى كل حال أنا أعطيت النحاس كلمة انى سوف أساعده .. وجم

الحكم خلاص ولازم أشتغل معاهم « ..
قال حسنين :

- وكان على بصفتي رئيسا للديوان أن أقيم سياستي
على هذا الاساس.. وهو التعاون مع حكومة الوفد ..
والتعاون مع السلطة التي جاءت بها الى الحكم .. اى
الانجليز .. وأن أنسى عواطفى الشخصية ..
وأشهد انه قال هذه العبارة بمرارة فلم تكن الهزيمة
أمرا سهلا على حسنين وأية هزيمة أكبر وأشنع من
هزيمته السياسية فى حادث ٤ فبراير.. وهو الذى طالما
باهى وفاخر بانتصاره على السفير لامبسون وكيف كسب
منه الجولة يوم فاجأه بوزارة حسن نصبرى باشا ..
ويوم كسب منه الجولة الثانية يوم واجهه بالأمر
الواقع ووزارة حسين سرى .. وها هو ذا السفير مايلز
لامبسون يكسب الجولة الاخيرة الحاسمة ويفاجئـه
بالدبابات تحيط بالقصر .. وبوزارة الوفد بفرضها على
فاروق فرضا والا ؟

وزاد فى مرارة حسنين وفى حدة شعوره بالهزيمة علمه
ان الشامتين فيه كثيرون .. وان الساخرين منه ومن
سياسته قد أطلقوا فيه ألسنتهم فى كل ناد ومجلس ..
وان خصومه فى داخل القصر وفى خارج القصر قد بدأوا
يستخفون به ولايبالون أن يعلنوها صراحة انه - اى
حسين - لا يصلح لمنصب رئيس الديوان .. وان أحدهم
وهو على ماهر باشا - قد سأل بعض أصدقاء حسنين
بلهجة اصطنع فيها الدهشة والعجب .. كيف ان حسنين
باشا لم يستقل من منصبه حتى الآن ؟

ويستطيع القارىء ان يدرك من هذه التفصيلات ان
حسين باشا لم يكن شريكا فى جريمة تدبير حادث ٤
فبراير.. ولم يكن مطية للسفير أو غيره من الانجليز ..

بل كان ضحية من ضحايا الحادث الشنيع المشؤم . .
وان كل ما قيل عن تأمره مع الانجليز في الحادث المذكور كان
محض افتراء أذاعه عنه الحاقدون المفرضون . .
وأمشى الآن في سرد الحوادث كما رواها لى أحمد
حسنيين . . ولقد اتفق معه على ترتيب الوقائع ولكنى
اختلف معه قطعا في الاسباب والنتائج . .
ومن ذلك . . . قال لى - رحمه الله - :

- ورغبة منى في تصفية الجو بين الملك والوزارة ،
وتحسين العلاقات بينهما سعيت عند الملك حتى وافق
على مقابلة مكرم وأمين عثمان . . وذلك لكى تعرف البلد
ان الملك لا يكره مكرم أو أمين عثمان كما يداع ويشاع . .
ولاننا كنا جميعا نعرف ان مكرم باشا هو ذراع النحاس
اليمنى ومستشاره في الشؤون الداخلية والمالية . . وان
أمين عثمان هو ذراعه اليسرى ومستشاره في الشؤون
الخارجية ، فكان من المرغوب فيه والحالة هذه ان نوثق
علاقتنا بهذين الدراعين أو بالرجلين المقربين الى رئيس
الحكومة . . وهكذا طلبت من مكرم باشا أن «يلتمس»
مقابلة جلالة الملك لسبب ما . . وسألنى مكرم «سبب
زى ايه ؟» وسكت مكرم قليلا ثم قال :

- وجدت السبب . . لقد أعددتنا أوراق نقد جديدة
وأحب أن أعرض الرسم الجديد على جلالة الملك قبل
البدء في طبعتها . .

قلت : عظيم . . والسبب وجيه . .
وتمت المقابلة فعلا . . وقد نجح مكرم باشا واستطاع
أن يكسب عطف الملك وخصوصا بعد أن قال له : أنا
أعرف يامولاي ان من السهل جدا مهاجمتى وتحميلي
مسئولية كل ما يقع من الوفاء . . وأنا والله شهيد برىء
وكذلك تمت مقابلة الملك بأمين عثمان . . ولكن المقابلة
لم تنجح . .

الوفد بين ..

مصطفى النحاس ومكرم عبيد

اذن فان حسنين السياسى الداهية يزعم انه سعى لدى فاروق حتى أقنعه بالموافقة على مقابلة مكرم عبيد رغبة منه في « تصفية الجو وتحسين العلاقات بين الوفد وفاروق » ..

هذا ما قاله او ما زعمه حسنين غفر الله له ..

والحقيقة ان فرض حسنين كان أبعد ما يكون عن الصفاء والوثام والسلام ..

لقد كان فرض رئيس الديوان - في تنفيذ أو تحقيق سياسة الانتقام من مصطفى النحاس - كان غرضه أن يوقع بين النحاس ومكرم وبين النحاس وأمين عثمان .. أو بعبارة أخرى ان ينتزع من رئيس الوفد ذراعيه الاثنتين اللذين يستند اليهما في ادارة شؤون البلاد الداخلية والخارجية

ويا له من انتصار يمحو عار هزيمة ٤ فبراير يوم ينجح حسنين في ضم مكرم وأمين عثمان الى جانب القصر .. ضد الوفد ومصطفى النحاس ..

أو على أقل القليل يوم يستطيع أن يستغل نفوذ مكرم عند النحاس في تحقيق أغراض السراى والموافقة على طلباتها .. ويوم يستطيع أن يستغل حظوة أمين عثمان عند الانجليز في اقناعهم بتعديل سياستهم الجافة أو موقفهم المتعنت المتشدد من القصر ..

كان هذا هو الغرض الحقيقي من هذه الخطوة التي خطاها حسنين وجمع فيها بين فاروق ومكرم . . وبينه وبين أمين عثمان . .

ولقد نجح فوق ما كان يأمل . . ويوم عرف مصطفى النحاس ان السراى قد حددت موعدا يتشرف فيه معالى وزير المالية مكرم عبيد باشا بمقابلة جلالة الملك فاروق . . قال النحاس باشا لجلسائه : « أنا عارف انهم عايزين يفرقوا بينى وبين مكرم » . . ثم عاد وقالها لمكرم نفسه . قال : « يامكرم خد بالك . . عاوزين يفرقوا بيننا »

ومشت الحوادث سريعة تلهث ، خرج مكرم باشا من مقابلة فاروق مفتبطا مسرورا واتصل به زميل كان يعمل فى «الاهرام» وسأله عن المقابلة وما دار فيها وأثرها فى نفس «معاليه» . . وكان اتصاله بناء على ايجاء من حسنين باشا وكان مكرم كما قلت مفتبطا مسرورا ومن هنا أفاض فى وصف العطف السامى الكريم الذى لقيه الى آخره . . وقال مكرم باشا انه سيملى الجريدة تصحاحا مكتوبا وكان هذا هو الفصل الثانى فى المؤامرة أو الشباك التى نصبها أحمد حسنين لمصطفى النحاس ومكرم عبيد ولم تكن العادة قد جرت بأن يخرج الوزير - أى وزير من مقابلة الملك - أى ملك فى أى بلد - ويصف المقابلة فى مقال ينشر فى الصحف . .

ولكن هذا هو ما حدث . . فقد طلعت جريدة «الاهرام» فى عددها الصادر بتاريخ يوم الجمعة ١٣ مارس عام ١٩٤٢ ، وفيها الكلمة أو المقال الآتى :

وزير المالية . . فى الحضرة الملكية

تشرف معالى الاستاذ مكرم عبيد باشا وزير المالية بمقابلة صاحب الجلالة الملك بعد ظهر أمس فعرض على

المسامع الملكية بعض الشؤون المالية والاقتصادية فلقى من لدن جلالتة كل عطف ورعاية وقد أفضى معاليه الى مندوب « الاهرام » بالتصريح الآتى :

« تشرفت مساء أمس بمقابلة جلالة المليك المحبوب ، وعرضت على مسامعه الكريمة أهم شؤون التموين ، والسياسة التى ندرسها الآن تمهيدا لأقرارها وتطبيقها على محصول القمح الجديد كما عرضت على جلالتة بعض التعديلات فى الميزانية التى أعتزم عرضها على مجلس الوزراء وفى مقدمتها المشروع الذى يرمى الى تخفيف الاعباء المالية عن صغار الفلاحين والمزارعين ورفع مستوى معيشتهم وغير ذلك من المشاريع التى تؤدى ، أو أرجو أن تؤدى الى موازنة الميزانية موازنة حقيقية لاحسابية بحيث لا تهمل المشاريع الحيوية وتكون جباية المال وانفاقه فى حدود العدالة الاجتماعية ..

ثم تشرفت بعرض ماتم فى مسألة القطن والحبوب ، ومبلغ ما وفقت اليه حكومة جلالتة فى هذا الصدد .. بالتعاون مع الدولة الحليفة ..

وأطلعت جلالتة على نموذج من أوراق النقد الجديدة التى لوحظ فى طبعتها واعدادها تعدر تزييفها ، فنبالت رضاه السامى ..

وقصارى القول ، فقد تناول حديثى فى حضرة جلالتة حالة البلاد المالية من مختلف وجوهها - وهى حالة بفضل الله مرضية - ولقيت من جلالتة لا مجرد عطف فحسب أو تشجيع فحسب - مما ألهم لسانى بالشكر والحمد - بل لقيت ما هو أعظم من ذلك وأهم ، فقد لقيت اطلاعا واسعا ، وارشادا نافعا ونظرة دقيقة وعميقة الى جوهر المسائل المعروضة رغم تباينها وبعد نواحيها ، فلم ألبث طويلا حتى أدركت ان ملكنا الشاب

قد ملك زمام الامور ، بفضل ما اوتى من رجولة مبكرة
 وخبرة متنوعة نادرة ، قلما أتاحت لملك من الملوك ..
 ولذلك لم يلبث الحديث طويلا حتى انتقلت دفته الى
 يديه الكريمتين ، فكان ينتقل من موضوع الى آخر ومن
 نصيح الى نصيح في عطف ووداعة وصراحة اخاذة ونفاذة معا
 وغاية القول انه قد أتى لي في هذه المقابلة الملكية
 السامية ان اعرف الرجل الملك فكان الرجل في رجولته
 لا يقل جلالته عن الملك في مملكته ..
 وقد تفضل جلالته فاكد لي في بساطة وديمقراطية انه
 ملك للجميع ، لا يفرق بين طوائف أو احزاب أو طبقات
 في شعبه الوفي وقد خرجت من لدنه وهذا اعتقادي ،
 بل و يقيني ..



وكان النحاس باشا يقيم هو والسيدة حرمه في جناح
 خاص بفندق مينا هاوس وتصادف انى ذهبت أزوره
 في مساء نفس اليوم الذى ظهرت في صباحه كلمة الاستاذ
 مكرم عبيد بجريدة الاهرام ..
 وبينما نحن نتحدث دق جرس التليفون الموضوع فوق
 مائدة صغيرة بجوار «رفعتة» وكان المتكلم الاستاذ مكرم
 عبيد وكان يتكلم من مدينة المنيا ..
 وفهمت من الحديث الذى دار بينه وبين السيد
 مصطفى النحاس ان مكرم كان قد سافر في صباح نفس
 اليوم الى المنيا لى يسوى خلافا خاصا بترشيحات
 الوفد لانتخاب مجلس النواب وكان الخلاف بين مرشحين
 وفدين أحدهما الاستاذ ابراهيم الشريعى ..
 وبينما كان مكرم يتحدث ، ولم أسمع حديثه طبعاً
 وان أكن قد فهمت بعض ما قاله من تعليق أو رد مصطفى
 النحاس .. أقول بينما كان يتحدث قاطعه النحاس

وهو يقول :

- لكن سيبك من ده كله وقول لى ايه الكلام ده يامكرم
الى انت كاتبه فى أهرام النهاردة ؟

ويظهر أن مكرم باشا أبدى دهشته أو عجبه من
استنكار النحاس باشا أو قال مامعناه انهم جميعا يقولون
مثل هذا الكلام عن الملك فى كل يوم ، لأن النحاس قال :

- أيوه .. لكن لما اقوله أنا باقوله فى مقابل شىء ..
باقوله وآخذ حاجه فى مقابل كده .. لكن انت تقوله ليه ؟
ثم علشان ايه ما عرضتوش على قبل نشره ؟ دى غريبة !
لأنك دائما بتأخذ رأى فى أحاديثك وتصريحاتك قبل
نشرها .. اشمعنى المرة دى لا ؟

ويظهر ان مكرم قال ان الساعة كانت متأخرة وانه لم
يرد أزهاج «رفعته» أو ايقاظه من نومه ، لأن النحاس قال :

- يعنى ايه ؟ هايز تقول انك كتبت الكلام ده نص
الليل .. وقبل كده ما كنتش لسه كتبت حاجة ؟

وانتهت المحادثة بين الصديقين : رئيس الوفد وسكرتير
الوفد ، وكانت لهجة الحديث فى نهايته قد اشتدت
واحتدت ..

ولاحظت عندما أنهى النحاس باشا الحديث وأعاد
سماعة التليفون الى مكانها ان علامات الغضب كانت
مرسومة واضحة على وجهه وفى عينيه وقال «رفعته» :

- ده كلام مايكتبوش الا العبيد ، أقول ايه للانجليز
الى جابونا علشان نقف فى وشه «يقصد الوقوف فى وجهه
فاروق» أقول لهم ايه ؟ أقول لهم بعد جمعة والثانية
بقينا أمامه عبيد نتكلم عنه بلهجة العبيد ..

ولم يكن احمد محمد حسنين سبب الخلاف بين

رئيس الوفد وسكرتير الوفد السيد مصطفى النحاس ،
والاستاذ مكرم عبيد . . ولكنه كان أحد الذين عملوا
بمهارة و « شطارة » على توسيع شقة الخلاف . .

وكان حسنين - كما سبق أن ذكرت - قد أقسم بعد
حادث { فبراير على الانتقام من مصطفى النحاس ، ومن
هنا سعى الى اضعاف مصطفى النحاس - ولا أقول
هدمه - عن طريق التفريق بينه وبين أخلص صديق له
وأقوى أعضاء الوفد نفوذا وأقربهم الى قلب الشعب ،
وهو مكرم عبيد . .

وما من شك في أن الخلاف بين الصديقين القديمين
والذى انتهى الى خروج أو اخراج مكرم عبيد من الوفد
ثم هجومه وحملاته الشديدة على مصطفى النحاس . .
ما من شك في أن هذا كله كان ضربة قاسية للوفديين
عامة ، ولمصطفى النحاس بوجه خاص . .

أما عن أسباب الخلاف الاصلية أو الاصلية . . فقد
قال لى دكتور محمد صلاح الدين الذى كان من أخلص
الوفديين لمصطفى النحاس وكان أقربهم اليه وكان موضع
ثقتة والذى عهد اليه النحاس باشا بمنصب وزير
الخارجية فى وزارة الوفد فيما بعد . . قال لى ذات يوم
اثناء الخلاف بين مكرم ومصطفى النحاس :

- ان مصطفى باشا بحكم طبيعته لا بد أن يسيطر
عليه شخص ما . . ولقد كان هذا الشخص فى وقت ما
هو مكرم عبيد . . أما الآن فانها زوجته زينب هانم التى
تسيطر عليه وتسيره كما تريد . .
ثم قال :

- وزينب هانم تتدخل الآن فى شئون الحكم ومع ذلك
فقد قالت لى فى أول أسبوع من قيام هذه الوزارة كلاما
سررت منه جدا وتفاءلت منه خيرا . . قالت : « لازم

تتعظ بأخطاء الماضي ونمشي في الحكم كويس ، وأنا
ساستعمل نفوذى عند الباشا - تقصد زوجها - من أجل
هذا « ولكنها للأسف سرعان مانسيت وعدها وعملت
على العكس ..



اذن فقد كان مكرم عبيد صاحب السيطرة والنفوذ ..
الى أن زحزحته أو أزاحتها السيدة زينب الوكيل ..
وكان طبيعيا أن تتطور المنافسة بين الاثنيين الى عدا
أو ما يشبه العدا .. وأن يطلق كل من الاثنيين لسانه
في صاحبه ..
وامتلات المجالس والاندية بالاشاعات و«التشنيحات»
وسمع الجمهور لأول مرة أن السيدة حرم رئيس الوفد
ورئيس الوزراء تستغل نفوذ زوجها ونفوذ الوزارة من
اجل الثراء السريع ، وأنها ليست وحدها ، بل ومعها
عدد من أقاربها وأصهارها ..
وعرف النحاس باشا والسيدة حرمه ان مكرم عبيد
وأقاربه وأنصاره هم مصدر هذه الاشاعات ..
وسمع الناس ان مكرم باشا يقول في مجالسه الخاصة
ان زينب هائم تحاربه بسبب نزاهته ولأنه - وهو وزير
المالية - رفض أن يوافق على طلباتها وطلبات شقيقها
السيد احمد الوكيل الخاصة بأذونات التصدير والاستيراد
وهذا فضلا عن الخلاف الذى شجر حول الاستثناءات
والترقيات والعلاوات ..
وأحب ان اعفى قلمي هنا من الخوض في حديث الفساد
واستغلال النفوذ وما قيل يومئذ ، وبعدئذ .. فما أظن
أن قلمي أو أى قلم آخر يمكنه أن يكتب اليوم أكثر مما
كتب أو يقول اليوم شيئا جديدا لم يسبق قوله ونشره ،
ولكنى حريص مع ذلك على تقرير حقيقة منصفة وهى

ان الاستاذ مكرم عبيد سبق أن دافع دفاعا بليغا قويا
عن الاستثناءات والترقيات في عام ١٩٣٧ ، فما باله
يحاربها في عام ١٩٤٢ ؟

الحقيقة المنصفة هي ان السيدة حرم النحاس باشا
واقاربها ارادوا ان يحملوا نزاهة مكرم عبيد فوق ماتطيق

أنا شخصيا أعتقد ان مكرم باشا لم يكن ليمانع أو
يعارض كثيرا أو طويلا في اجابة بعض الطلبات الصغيرة
التي - مع مخالفتها للقوانين - لا تثير ضجة وقالا وقيلا
.. وذلك حرصا منه على رضا صديقه النحاس باشا ،
وتمنا لسكوتها عنه أو تأييدها له عند زوجها .. ولقد
سبق أن تساهل أو أغمض عيني به ..

ولكنه في هذه المرة وجد ان المطلوب منه - او الحمل
على نزاهته - ثقيل وفوق ما تطيق .. فرفض ..

ثم تشدد بعد أن اشتد الخلاف وراح يتعننت ويرفض
الطلب الصغير اليسير كما يرفض الموافقة على الطلب
الكبير الخطير ..

أى ان الامر كله أصبح بين السيدة حرم رئيس الوفد
والوزراء ومكرم عبيد نوعا من العناد ..

هذا سبب ..

وسبب آخر وهو ان كثيرين من أعضاء الوفد كانت
صدورهم ضاقت بالنفوذ الاكبر الذي يتمتع به «زميلهم»
مكرم عبيد دونهم جميعا عند «رئيسهم» مصطفى النحاس
وبالسلطات الواسعة التي كانت له في كل شأن من شئون
الوفد وخصوصا بعد خروج احمد ماهر والنقراشي من
الوفد ..

هؤلاء الاعضاء رأوا ان الخلاف بين زينب هانم ومكرم
عبيد فرصة طيبة أو فرصة سانحة يحسن بهم أن ينتهزوها

لكى يتخلصوا من مكرم عبيد ومن نفوذه الطاغى فى الوفد،
أو كما قال لى أحدهم : « نريد أن تكون أرقاما صحيحة
لا اصفارا الى اليسار » ..

وقال لى الدكتور محمد صلاح الدين اثناء الخلاف :
« ان صبرى باشا أبو علم ونجيب باشا الهلالى يعملان على
توسيع شقة الخلاف بين مصطفى باشا ومكرم باشا ..
وليس هناك من يعمل معى على تسوية الخلاف سوى
الاستاذ محمود سليمان غنام »

وتناول الاستاذ فؤاد سراج الدين العشاء معى مرة فى
مسكنى ، وكنا وحدنا .. وكان يومئذ وزيرا للزراعة ،
وسألنى : « ايه رأيك فى فصل مكرم باشا من الوفد ؟ »

وقبل أن أجيب مضى يقول :
- أظن ان الأحسن فصله دلوقت ، لأن الخلاف
استفحل ومستحيل بعد كده تصفى القلوب ، أو يتصالح
تانى مع مصطفى باشا وزينب هانم .. وإذا فصلنا مكرم
دلوقت مش راح يقدر يعمل حاجة لأن الوفد فى الحكم
وتحت يدنا الرقابة .. لكن اذا سبناه جازن نخرج من
الحكم .. ويخرج هو بعدها علينا ويحاربنا ..

وهكذا .. السيدة حرم رئيس الوفد تحارب مكرم
وتعمل على خروجه أو اخراجه من الوزارة والوفد ...
وكل من فى الوفد أو معظم أعضاء الوفد يعمل كذلك على
اخراج مكرم عبيد ..

وكذلك «القصر» أو الرجل الاول فى القصر ورئيس
الديوان احمد محمد حسنين .. أسباب وعوامل تضافرت
جميعا على التفريق بين الصديقين الحميمين القديمين
النحاس ومكرم عبيد ..

وكانت الوزارة قد تقدمت بطلب عدد من الاستثناءات والترقيات لبعض الموظفين الوفديين الذين اضطهدوا .. كما قامت الوزارة - في عهد ائوزارات غير الوفدية .. ورفض وزير المالية - مكرم عبيد - الموافقة على هذه الطلبات ..

ولما راجعه رئيس الوزارة مصطفى النحاس في الامر احوال مكرم المسألة كلها على اللجنة المالية .. وطال الاخذ والرد .. وتطور الخلاف في الراى الى ازمة .. كل هذا وعوامل التفريق التى اشرت اليها تسعى وتعمل ..

وفى مساء ١٨ مايو عام ١٩٤٢ اقامت فى دارى حفلة بمناسبة عيد مولدى وغنت فيها أم كلثوم ..

وكان بين المدعوين الاساتذة صبرى أبو علم ونجيب الهلالى واحمد حمزة ودكتور محمد صلاح الدين وعدد من الشيوخ والنواب الوفديين وبعض الزملاء الصحفيين ومنهم انطون الجميل ومحمود أبو الفتح ومصطفى أمين وعلى أمين وحسن الاعور وكان يومئذ مديرا لمكتب وزير المالية الأستاذ مكرم عبيد ..

ولاحظت اثناء السهرة « حركة » او نشاطا بين بعض المدعوين .. لاحظت مثلاً ان محمود أبو الفتح تكلم بالثليفون بصوت خافت مرة أو مرتين ..

وان حسن الاعور وعلى أمين اختليا فى غرفة مكتبى بمكرم باشا .. وأخيرا عرفنا ان مكرم باشا كان أرسل الى جريدة المصرى بصورة من المذكرة التى وضعتها اللجنة المالية وفيها قرارها برفض جميع الاستثناءات،

وان جريدة المصرى أدركت خطورة نشر هذه المذكرة - لأنها تخالف راى الوزارة وراى رئيسها مصطفى النحاس - فاتصلت بصاحبها الأستاذ أبو الفتح فى مسكنى

وأراد الاستاذ أن يتخلص من مسئولية ابداء رأيه ،
فطلب من جريدته أن تعرض المذكرة على الرقيب «وكانت
الرقابة مفروضة يومئذ على الصحافة بحكم حالة الحرب»
وسمع مكرم باشا بهذا كله فثار وهاج وتساءل :
« منذ متى كان للرقابة سلطان على الوزراء وما يريد
الوزراء نشره ؟ . . »

واتصل مكرم باشا بالتليفون بالاستاذ محمود سليمان
غنام الذى كان موكولا اليه أمر الإشراف على شئون
الرقابة وأبلغه انه سوف يستقيل من الوزارة اذا لم
تنشر جريدة المصرى المذكرة كما هى . .

وكان سليمان غنام كما سبق أن قلت أحد القليلين
الذين كانوا يسعون لتسوية الخلاف بين النحاس ومكرم
ولقد خشى أن ينفذ مكرم وعيده ويستقيل . . فأمر
بنشر المذكرة . .

سمعنا أثناء السهرة بهذا كله فأشفقنا من عواقب
النشر . . وراح على أمين وحسن الأعور يرجوان الاستاذ
مكرم عبيد أن يعدل عن نشر المذكرة حتى لا يثير نشرها
مصطفى النحاس . .

الى آخره . . الى آخره . . وخرجت «المصرى» فى
الصباح وفيها مذكرة اللجنة المالية ومكرم عبيد برفض
طلبات الاستثناءات . .

وكانت القاضية على كل أمل فى الصلح أو تسوية
الخلاف ، وثار مصطفى النحاس وأعلن انها مؤامرة ضده
و ضد الوزارة وان صاحب المصرى محمود أبو الفتوح
شريك فى المؤامرة ولا بد من «شلحه» من الهيئة الوفدية
وأصدر قرار من الوفد بأن المصرى لم يعد يعبر عن
رأى الوفد . . وكان هذا القرار يومئذ شبيه بقرار
الحرمان الذى يصدره باباوات روما ضد المفضوب عليهم

من أعداء الكنيسة ..

واختفى محمود أبو الفتح بضعة أيام ، ريثما تهدأ العاصفة وثورة « الرئيس الجليل » ثم عاد من مخبئه وذهب وقابل النحاس باشا .. وكانت أول مرة يلقاه فيها بعد نشر المذكرة وكان النحاس باشا هائجا ثائرا ضده وقال :

— أرجو من رفعتك أن تطول بالك شوية .. وأن يتسمع حلمك لما أقول ..

وقال النحاس باشا ساخرا :

— حلمي ياسى محمود .. طيب قول ياسى محمود ..

وقال محمود أبو الفتح :

— ما هو أساس حملة التشهير التى يقوم بها مكرم باشا ضدك ؟ .. اليس اساس هذه الحملة المحسوبية التى يزعم ان اقارب رفعتك يتمتعون بها ؟ .. أليست الاستثناءات التى يرفضها ويجعل منها أساسا لحملة التشهير .. أليست مطلوبة لأقارب وانصار رفعتك ؟ ..

وأليس شقيقى متزوجا من بنت شقيق رفعتك ؟ ..

السنا اذن من اقارب رفعتك المقصودين بالتشهير ؟ فكيف اذن يخطر ببال رفعتك اننى اتآمر ضدك مع مكرم باشا ؟ .. ثم اذا انهار مصطفى النحاس وضاع نفوذه الا ننهار نحن ايضا معه ونفقد نفوذنا ؟ .. اننا الآن نستمد جاهنا من جاهك فاما ارتفعنا معك واما سقطنا معك .. فكيف اذن يمكن أن أعمل عملا يؤذى أو يحط من قدر رفعتك ؟ .. ورفعتك تعرف أن مكرم عدوى وانه يكرهنى وكان دائما يشككم فى وفى اخلاصى لكم وفى ولاء المصرى لرفعتكم .. وانا لم انشر المذكرة الا كارها وقد رفضت نشرها ولكن ازاء الحاجة أحلت الامر على الاستاذ غنام فصرح بالتشهير ..

ولما انتهى الاستاذ محمود أبو الفتح من دفاعه قام

النحاس باشا وضمه الى صدره وتعانقا ..

واقف هنا قليلا لأتساءل مرة أخرى : لماذا نشر محمود أبو الفتح هذه المذكرة مع علمه بخطورة ووخامة العاقبة ؟
وإذا كنت الح في هذا السؤال فذلك لان المذكرة كما وصفتها - كانت القاضية - وكانت السبب المباشر لإخراج مكرم عبيد من الوزارة أولا . ثم إخراجة من هيئة الوفد ثانيا . .

لقد قرأتم دفاع الاستاذ أبو الفتح عن نفسه وهو دفاع ضعيف عند الذين يعرفون الحقائق ، وكان من السهل جدا على صاحب «المصرى» أن يرفض نشر المذكرة بعد أن رفض الرقيب اجازة النشر . أما اعتذار أبو الفتح بأن الاستاذ سليمان غنام أجاز النشر فمردود عليه بأنه لم يسمح بالنشر الا لكى يحول دون استقالة مكرم عبيد فهل كان الاستاذ أبو الفتح حريصا مثله على عدم استقالة مكرم عبيد . . بالعكس كما سترون مما يأتي . . ثم لماذا لم يختصر الاستاذ أبو الفتح ليلتئذ الطريق . . ويتحدث مباشرة بالتليفون مع النحاس باشا ويعرض عليه الامر . . واذن لكان سمعها من رئيس الحكومة ، ورئيس الوفد حاسمة قاطعة بعدم نشر المذكرة . . ولكنه لم يفعل . . واستتر وراء الأستاذ غنام !

ومرة أخرى ، لماذا نشر المذكرة ؟ هل مراعاة أومجاملة لمكرم عبيد ؟ هذا احتمال ولنكنه كما سترون أضعف الاحتمالات . .

أم لانه كان يعلم أن نشر المذكرة سوف يوسع الهوة بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد ومن هنا نشرها لكى تكون القاضية ؟ . .

وهذا هو الاحتمال الراجح ، لأن أصدقاء أبو الفتح

كانوا يعرفون يومئذ انه حائق مفيظ لعدم دخوله الوزارة
وقد كان اذاع او اذاع له بعض اصدقائه وبعض الصحفيين
- والمحوا الى الخبر فعلا في صحفهم - انه سوف يدخل
الوزارة ..

وفي هذا سألت مرة الاستاذ فؤاد سراج الدين - وكنا
في النادي الاهلى - فقال وهو يضحك :
- وبتصدق برضه الكلام الفارغ ده .. طيب دحنا
رفضنا ان نرشحه وكيلًا لمجلس الشيوخ فكيف اذن
نقبل دخوله معنا في الوزارة ؟ ..

اذن فقد كان فؤاد سراج الدين أحد الذين عارضوا في
ترشيح صاحب المصرى لكرسى الوزارة .. ولكن الاستاذ
أبو الفتح لم يكن يعرف هذه الحقيقة ، بل كان يعتقد
ان الذى عارض في دخوله الوزارة هو الاستاذ مكرم عبيد
.. ومن هنا نشر المدكرة لى تكون القاضية على كل أمل
في تسوية الخلاف بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد ..

هذه هي الحقيقة ..

وأكثر من هذا ..

قال لى الاستاذ الشافعى البنا - رحمه الله - انه كان
في وقت ما رئيسا لتحرير جريدة المصرى أيام كان الوفد
في المعارضة .. وكان يحدث أن يطلب الوفد نشر مقال
معين في موضوع معين .. وكان أبو الفتح يماطل في نشر
المقال اما خوفا من أن تبطش الحكومة القائمة «بالمصرى»
واما لأن له مصلحة معينة في عدم النشر وكان سكرتير
الوفد مكرم عبيد يتكلم بالتليفون ويلج في نشر المقال ثم
يهدد ويتوعد ويقول : «قولوا للأستاذ أبو الفتح انه اذا
لم ينشر المقال غدا في المصرى فان الوفد سوف يصدر
بيانا يعلن فيه ان جريدة المصرى لا تعبر عن رأى الوفد»
وكنت أشفق من عواقب هذا التهديد وأذهب الى

أبوالفتح أرجوه أن ينشر المقال المطلوب فكان يتسهم ويقول : « ماتخافش ، بس سيبنى أنا بكره يشتمونا شتمتين ويزعلوا منا يومين وبعدها الحكاية تفوت » . .
وحكاية أخرى . .

قال لى الاستاذ فؤاد سراج الدين فى نفس المعنى ونفس الموضوع انه حدث مرة وكان موجودا فى مصيف رأس البر مع النحاس باشا ومكرم باشا أن نشر « المصرى » مقالا فيه دعاية قوية لوزارة حسين سرى من أجل اتفاقية القطن التى كانت عقدها مع الانجليز . وغضب مكرم باشا وثار ثورة عنيفة وطلب من محمود أبوالفتح أن ينشر « المصرى » مقالا تنقض فيه المقال الاول ولكنه ماطل ولم ينشر . . وهنا أعلن مكرم باشا : أما أن يشلح أبوالفتح من الهيئة الوفدية وأما أن يستقيل هو من الوفد . .

ومضى الاستاذ فؤاد سراج الدين يقول :
- لقد أمضيت يوما وليلة وأنا أهدىء من ثورة مكرم باشا ضد المصرى وصاحبه . .

خلاصة القول اذن - وهذه جرأة أبوالفتح فى نشر ما يريد أو عدم نشر ما لا يريد رغم الوفد وزعماء الوفد - خلاصة القول اذن ان أبوالفتح كان يمكنه أن يرفض نشر المذكورة . . ولو كان فى رفضه ما يفضب مكرم عبيد . .
ولكنه نشرها . . لأنه كان يريد أن تنشر . .

حدث مرة فى عام ١٩٣٨ وكان السعديون والدستوريون فى الحكم والنقراشى باشا وزيرا للداخلية . . حدث أن اعتدى رجال البوليس على «موكب» النحاس باشا أثناء سيره من المحطة الى داره . . وكان مكرم باشا يجلس بجوار النحاس باشا فى السيارة . .
وأصابت هراوة أحد رجال البوليس رأس مكرم باشا وأحدثت فيه جرحا عميقا . وحملت الصحف الوفدية

حملات عنيفة على الحكومة وطالبت بمحاكمة ضباط
البوليس المسئولين ..

وقال لى حسين أبوالفتح شقيق محمود أبوالفتح ان
شقيقه قال يوماً : «معلوم، يجب أن يحاكموا العسكري
ابن ... الذى ضرب مكرم لأنه ما عرفش يضرب مكرم
ضربة جامدة كفاية تخلص عليه وتريحنا منه »

قلت ان جريدة «المصرى» نشرت المذكرة التى وضعتها
اللجنة المالية ووزير المالية مكرم عبيد وقد رفضت فيها
الموافقة على الاستثناءات التى طلبها النحاس باشا وبعض
زملائه الوزراء لطائفة من الوطنيين الوفديين .. وكان رفض
اللجنة مسهباً ومقروناً بالاسماء والاسباب ..

وكانت القاضية .. وأعلن السيد مصطفى النحاس ان
التعاون بينه وبين مكرم باشا أصبح مستحيلاً .. ومن ثم
فهو يطلب منه أن يبر بوعده ويستقيل ..

ولهذا «الوعد» حكاية اذكرها بايجاز .. ذلك انه كان
حدث قبل ذلك ببضعة أسابيع - فى بدء الخلاف
وأيام كان العتاب لايزال مقبولاً بين الرجلين - حدث فى
احدى جلسات العتاب أن أعلن الاستاذ مكرم عبيد انه
لايزال الصديق الوفى والوفدى المخلص لرئيس الوفد
مصطفى النحاس وانه - معاذ الله - لن يسمح لنفسه
بالخروج على الوفد أو زعيمه مصطفى النحاس .. وانه
مستعد فى أى وقت ، اثباتاً لولائه واخلاصه ، ان يقدم
استقالته من الوزارة وفى أى وقت يطلبها منه مصطفى
النحاس ..

وهكذا .. أوفد النحاس باشا وزير الاشغال عثمان
محرم باشا بصفته أكبر الوزراء سناً وأقدمهم عهداً
بالوزارة .. أوفده الى الاستاذ مكرم لكى يطلب منه ان
يفى بوعده ويستقيل ..

ولكن مكرم باشا لم يكذب يرى عثمان محرم داخلا عليه
في داره حتى صاح :

— أنا عارف أنت جاي ليه .. علشان تطلب مني ان
استقيل لكنني أرفض .. ولن أستقيل .. فاذهب وقل
لمن أرسلك أن يقيلني من الوزارة اذا استطاع ..

وحاول عثمان محرم أن يقنع مكرم عبيد بالنزول على
رغبة مصطفى النحاس والاستقالة ويقول له : « ولو الى
حين تهدأ ثائرة النفوس ويصفو الجو .. وليس من
المستحيل أن تعود وتدخل الوزارة الى آخره » ..

ولكن مكرم رفض أن يصفى ورفض أن يستقيل ..
وسمع النحاس باشا . وكانت مصادر أخبار السوء
ووسطاء السوء يومئذ كثيرة كما أن الساعين لخراج
مكرم من الوزارة ومن الوفد — وقد أشرت اليهم — لم
يقصروا جهدا في نقل الأخبار التي توسع الهوة بين
النحاس ومكرم ..

وسمع النحاس ان مكرم لم يرفض الاستقالة الا لانه
موحى اليه أو موعز اليه بهذا الرفض .. وان مصدر
الايحاء أو الايعاز هو رئيس الديوان أحمد محمد حسنين
وازداد النحاس غضبا وثورة .. وأعلن انه اذا لم
يستقل مكرم عبيد طوعا فسوف يخرج من الوزارة مقالا
هذا ومكرم يخرج لسانه ساخرا ويتحدث الى بعض
الصحف الأفرنجية في مصر والى مندوبي وكالات الأنباء
ويعلن انه لن يستقيل .. وليفعل النحاس باشا أقصى
ما يستطيع ..

وذهب النحاس باشا الى القصر يطلب اقالة وزير
المالية مكرم عبيد ..

وحاول فاروق أن يهدىء من ثائرة رئيس وزرائه ضد
وزير المالية وأن يسوى ويصلح ما بين الرجلين والصديقين
القديمين .. ولكن عبثا !

وما من شك في انها «مناورة» اوسياسة مرسومة..
وان فاروق مثل رئيس ديوانه احمد حسنين كان يريد
التفرقة بين الرجلين والصديقين القديمين.. واضعاف
الوفد وقسمته شيئا واحزابا..

أصر اذن النحاس على اقالة مكرم عبيد من منصب
وزير المالية.. واخيرا قال له فاروق :
- طيب بلاش الاقالة..

واقترح ان يقدم النحاس باشا استقالة الوزارة..
فيكلفه باعادة تشكيلها.. وهنا يمكنه ان يعيد تشكيل
الوزارة من غير مكرم عبيد..

ولم يعجب هذا الاقتراح السيد مصطفى النحاس..
لم يعجبه لأنه كان أولا يريد «مرمطة» مكرم عبيد والانتقام
منه باخراجه من الوزارة مطرودا او مقالا..

ولم تعجبه ثانيا لأنه خشى ان ينتهز فاروق الفرصة
فيقبل استقالته هو وأعضاء وزارته.. ويكلف زعيما
آخر بتشكيل الوزارة الجديدة..
وتململ مصطفى النحاس.. ولكن فاروق ثبت على
رأيه وقال :

- لا.. لا.. كله الا الاقالة.. بلاش حكاية الاقالة دي

واضطر مصطفى النحاس ان يتراجع وأن يدعن..
وقدم استقالته ثم أعاد الوزارة بدون مكرم عبيد..

خرج مكرم عبيد من الوزارة ولكن خروجه لم يهدى
من ثورة مصطفى النحاس ، بل على العكس.. فقد ازداد
حنقا وغضبا لأن «خصوم الامة» على حد تعبيره - الذين
في السراى وعلى رأسهم رئيس الديوان احمد حسنين
حالوا بينه وبين طرد مكرم عبيد ولم يمكنوه من اقالة
مكرم عبيد..

ومضى النحاس باشا يتحدث في مجالسه وبين شيوخه

ونوابه عن المؤامرات التي تحاك ضده والتي يدبرها رئيس الديوان بمساعدة بعض خصومه - خصوم النحاس باشا - من رجال الصحافة وغيرهم ..

وانقل هنا من مذكراتي :

زرت حسنين باشا بنساء على موعد سابق حددناه بالتليفون وبقيت معه نحو ساعتين ..

وقلت له : ان النحاس باشا يعتقد انك ضالع مع مكرم عبيد ، وهو يكره بعض الصحفيين الذين يعارضونه ولما كان بعض هؤلاء صديقا لك ومتصلا بك ويستقى اخباره منك وهو ينشر دعاية واسعة لمكرم باشا وينشر في الوقت نفسه دعاية ضد النحاس باشا - كما تقول التقارير التي يقدمها رجال البوليس السري لرفعته - فان « رفعته » معذور اذا هو اعتقد ان بعض هؤلاء الصحفيين انما يفعل ما يفعله بايعاز منك ومن السراى فقال حسنين : وانا مالى ؟ ما هو مصطفى النحاس ومكرم عبيد اللى كانوا يبيعوا لى هؤلاء الصحفيين فى كل حاجة ..

ثم اخذ حسنين يدافع عن نفسه دفاعا طويلا فقال :

- لقد كانت سياستى بعد حادث ٤ فبراير وقيام وزارة مصطفى النحاس ان ماجرى قد جرى والى فاتات .. وانه لا بد من التعساون مع الوزارة ورئيسها مصطفى النحاس وان «مولانا» الملك قد اعطى النحاس كلمة بمساعدته ..

ولقد رأيت ان هناك رجلين من الصق الناس بالنحاس باشا وهما مكرم وأمين عثمان وان العلاقات بين الرجلين وبين الملك والقصر ليست على مايرام لأن الاشاعات كانت دائما كثيرة عنهما . كما ان الاشاعات فى البلد كانت تزعم ان الملك لا يحب مكرم عبيد ولا يحب أمين عثمان . ومن

هنا أردت أن أخدم الوزارة وأخدم النحاس باشا نفسه بل وأخدم أمين عثمان ومكرم عبيد . وذلك بأن أجعل الملك يقابلهما ويظهر عطفه عليهما فيخرج الاثنان راضيين شاكرين لكي يعرف البلد ان هذه الاشاعات ليست صحيحة وان الرجلين أو ذراعى النحاس ومستشاريه والصق الناس به ليسا مفضوبا عليهما بل على العكس يتمتعان برضاء الملك وعطفه . . ولقد خرج مكرم من مقابلة الملك راضيا مسرورا ، وكذلك أمين عثمان ، فهل يلومنى النحاس على هذا ؟

وهكذا خرج حسنين - رحمه الله - عن الموضوع الذى زرتة من أجله . .

وقلت : ولكن النحاس باشا ليس غاضبا بسبب مقابلة الملك لمكرم وأمين عثمان . .

قال : صبرك على شوية . .

ثم مضى يقول : ان هذه لم تكن محاولته الاولى من أجل تقريب مكرم من الملك وذلك انه اثناء الازمة اول فبراير « أى الازمة التى انتهت بحادث { فبراير » اقترح حسنين على الملك دعوة مكرم عبيد مع الزعماء الذين استدعاهم القصر للمشاورة فى الموقف السياسى ولكن فاروق عارض وقال ان الدعوة مقصورة على طبقة من الزعماء وهى طبقة رؤساء الوزارات السابقين ورؤساء الاحزاب السياسية فكيف اذن يمكن دعوة مكرم عبيد وهو ليس من هؤلاء أو هؤلاء ؟

قال حسنين :

- لكننى استطعت فى آخر الامر أن أحصل على موافقة الملك بدعوة مكرم باشا . وكان فى النية استدعاؤه فعلا الى القصر للاشتراك فى مناقشات الزعماء بصفته السكرتير العام لأكبر هيئة سياسية فى البلاد . . ولكن الازمة

تطورت بسرعة والحوادث أسرع وكان ما كان . .

ثم تحدث حسنين عن مقابلة فاروق لمكرم عبيد باشا مرة أخرى في يوم الثلاثاء ٢٦ مايو . وقد تمت المقابلة المذكورة من غير علم مصطفى النحاس وأثناء اشتداد الازمة بينه وبين مكرم عبيد والحاح النحاس باشا في اقالة مكرم من الوزارة . .
قال حسنين :

— لم يكن من مصلحة أحد ولا من مصلحتي كرئيس الديوان أن أتصرف أى تصرف يبدو منه اننى ضالع مع النحاس ضد مكرم ، بل كان من واجبي أن أحافظ على الحياد الدقيق . وانه اذا كان النحاس باشا سوف يقابل الملك لى يعرض عليه اقالة مكرم من الوزارة ويبسط الاسباب فانه من واجبي — ومقتضيات الحياد — ان أمكن مكرم كذلك من مقابلة الملك لى يعرض عليه وجهة نظره فى الخلاف الذى نشب بينه وبين رئيسه مصطفى النحاس . كذلك كنت أرجو أن نتمكن من تسوية الامر وازالة أسباب الخلاف بين الرجلين الصديقين القديمين «كذا؟» ولهذا السبب أشرت على الملك بدعوة مكرم باشا لمقابلته . . ولم يعلم النحاس باشا بهذه الدعوة الا فيما بعد وبلغنى ان رفعته غضب جدا يومها ولكن مالوش حق .

ثم قال حسنين ان فاروق قال له بعد مقابلة النحاس «مافيش فايده . . لقد حاولت ولكنه مصمم على خروج مكرم من الوزارة» . .

لقد قالها فاروق وهو «بيشوح» بذراعيه شأن الذى أفرغ كل ما فى جعبته ولم يفلح . .

ثم قال حسنين انه هو الذى أشار على فاروق برفض طلب النحاس الخاص باقالة مكرم عبيد وقال فى هذا :

— ان اقالة مكرم كانت ستفرح النحاس باشا يوما

واحدًا وهو يوم تنشر في الصحف ولكن هذه الاقالة كانت
ستدفع مكرم الى «التشليط» للنحاس باشا . . فهل كان
هذا في مصلحة رفعته كرئيس للحكومة ورئيس للوفد ؟
ثم لماذا الاقالة وتوسيع الهوة بين الرجلين ؟ فليخرج مكرم
من الوزارة ما دام النحاس مصمما على اخراجه . ولكن
ليس من الافضل أن يخرج بطريقة لا توغر صدره
وتملأه حقدا ونقمة على مصطفى النحاس . . .

ثم قال حسنين ان هذه الشكوك لم تتولد ضده في
صدر مصطفى النحاس الا بسبب زينب هانم . .

قال حسنين باشا ان السيدة زينب الوكيل هي التي
اوغرت صدر النحاس باشا ضده بسبب موقفه منها في
مشروع كبير . ثم مضى يقول : لا كلمة ولا رأى للنحاس
باشا عند زوجته وانها تسيطر عليه تماما . وهي امرأة
ذكية الفؤاد و « شاطرة جدا » وواسعة الافق . وهي
اذا اقتنعت برأى سارت فيه الى النهاية ولقد ساعدتني
في عدة مسائل فكثيرا ماكنت اذهب لمقابلة النحاس باشا
في فندق مينا هاوس اثناء اقامته فيه فكانت تستقبلني
وتجلس معي الى أن ينتهي «رفعته» من ارتداء ملابسه .
وكانت تقدم لي القهوة وتبسط معي في الحديث ، وكنت
في بعض الأحيان أتحدث معها في المسألة أو الموضوع
الشائك الذي يشغل بالنا والذي جئت اتحدث فيه مع
زوجها وكنت أبسط وجه المصلحة ووجهة نظرنا فكانت
اذا اقتنعت برأى ساعدتني واقنعت زوجها النحاس
باشا بان المصلحة فيما أقوله أو اطلبه . .

ومضى حسنين يقول :

— ولكن زينب هانم بالرغم من ذكائها فانها امرأة على كل
حال . ومن عيوب المرأة انها اذا جرحت في كبرياتها اختل
ميزانها وحسن تقديرها للأمور . . كنا نتحدث ذات يوم

عن الرتب والالقباب عندما ضحكت وعرضت لما أسمته «رتب الجزم» وهى الرتب التى كان أنعم بها جلالة الملك على الدين تبرعوا لمشروع مقاومة الحفاء . . ثم قالت ان عندها مشروعا تستطيع ان تجمع به نصف مليون جنيه . وان هناك أشخاصا مستعدون لأن يتبرع الواحد منهم بعشرة آلاف جنيه . . بس على شرط أن ينعم عليهم برتبة الباشوية . . ولقد سألتها : « زى مين ؟ » فقالت : توفيق مفرج ، وصبحى الشوربجى ، ولكننى أشرت عليها بتأجيل هذا المشروع وان الافضل عدم الخوض فيه الآن لأن الظروف غير مناسبة . .

ولكن زينب هانم لم تستمع لنصحى ومشت فى مشروعها واعلنت عنه فى الصحف وأصبح «مشروع البر» الذى تتولاه زينب هانم حديث الناس فى كل مجلس وناد . . ولقد كنت أوتر - ولمصلحتها هى بالذات - ما دامت قد مضت فى مشروعها أن تترك أمر جمع التبرعات للجنة منظمة وأن يكون هناك بنك يشرف على هذه العمليات كلها . . ولكن زينب هانم والذين معها تركوا الامر فوضى بلا ضابط ولا رقيب ولا حساب . . وازدادت اشاعات السوء انتشارا . . ولقد كانت أقاويل الفساد والرشوة واستغلال النفوذ موجودة قبل مشروع البر . . ثم جاء هذا المشروع وضاعف فى انتشارها . . ففيم كان هذا التصرف ؟ ولمصلحة من ؟

ثم استطرد حسنين يقول :

- وفى هذا الجو . . جو الاشاعات والقييل والقال . . والاتهامات التى ترمى من هنا ومن هناك طلبت منى زينب هانم أن يتفضل «جلالة الملك» بحضور الحفلة التى اقيمت لمشروع البر فى دار الاوبرا . . ومن حسن الحظ - حتى لا أصدم بها - كان الملك غائبا عن القاهرة فى رحلة فى

سيناء . . ومع ذلك فقد بذلت وساطتى ارضاء لها وحضرت الملكتان فريدة ونازلى الحفلة فى الاوبرا . . وعاد الملك من سيناء . . وعادت زينب هانم تطلب منى أن يحضر الملك حفلة الشاى التى تقيمها فى فندق مينا هاوس . .

وقلت لها ان هذا امر مستحيل بحكم التقاليد . . وحاولت ان اقنعها بأن هذا الامر ليس له سابقة ولكن عبثا

قلت لها ان الملك لايمكنه ان يجلس الى مائدة الشاى وبجانبه حرم رئيس الوزراء الا اذا كانت جلالة الملكة موجودة وان جلالة الملكة لايمكنها ان تحضر حفلة يدمى اليها السفير البريطانى وسفراء الدول والوزراء ورجال الدولة ، لأن حضورها يكون ثورة على جميع التقاليد . .

ولكن زينب هانم لم تقتنع بحجتى وقالت ان الملك سبق ان حضر حفلة اقامتها هدى هانم شعراوى . . « واشمعى يحضر حفلة الولىة العجوزة الوحشة دى ، ولا يحضرش حفلتى ؟ . . »

قلت لها ان الملك حضر حفلة هدى هانم شعراوى «متنكرا» - أى بصفة غير رسمية - ولقد منعت الصحف من ذكر خبر حضوره الحفلة . . ومع ذلك فهناك فرق كبير بين الحفلتين ، فحفلة هدى هانم لم تكن شبه رسمية مثل حفلتك . . والملكتان فريدة ونازلى حضرتها . . وأما حفلتك انت فان لها طابعا رسميا أو شبه رسمى . . الى آخره . .

ولكن زينب هانم لم تقتنع وأسرتها ضدى فى نفسها وذات يوم ارادت ان تضاربنى بعبد الوهاب طلعت باشا وكان هذا ذكاء رخيصا منها . . فقد قالت لى : « تعرف مين جانا النهارده ؟ » عبد الوهاب طلعت باشا جه عشان يقول لى انه مستعد لآى خدمة ويقدر يعمل لى كل اللى اطلبه منه ولكنى قلت له : « أبدا ، واننى

لم أطلب حاجه من حد الا من حسنين باشا بس . . «
وقال حسنين انه قال مرة لزينب هانم : « قولى بس
انت عاوزه منى ايه وانا أعمله علشان خاطر ك . . »

قالت : « عاوزاك تكسر لى ، كذا وكذا ، وكيت »
- سلسلة من النعوت والشتائم - وكانت تقصد مكرم عبيد
وسألها حسنين : « وليه عاوزه تكسريه ؟ »

قالت : لانه بيكره الملك . .

ومرة اخرى كان ذكاؤها رخيصة . .

وانصرفت من مقابلة حسنين باشا الى مكتبى ، ومن
هناك كلمت فؤاد سراج الدين باشا بالتليفون واتفقت معه
على ان نتقابل فى المساء فى فندق مينا هاوس ، وكان
النحاس باشا يقيم وقتئذ بالفندق المذكور ، وكذلك
الاستاذ فؤاد سراج الدين . .

وتقابلنا فى الموعد المحدد ، وجلسنا الى احدى الموائد
الموضوعة حول حوض السباحة ، وتناول فؤاد باشا طعام
العشاء ، بينما كنت ألخص له دفاع حسنين باشا عن
نفسه كما سمعته منه فى الصباح . .

ثم قلت - ووافقنى هو على رأى - ان حسنين برىء
مما يتهمه به النحاس باشا ، وعلى كل حال « أية مصلحة
للنحاس باشا فى محاربة حسنين ومجاهرته بالعداء ؟
بل هل من المصلحة أن نحارب فى جبهتين ؟ جبهة حسنين
ومن معه من رجال القصر ؟ وجبهة المعارضة من الاحرار
الدستوريين والسعديين ؟ . .

وبعد تناول العشاء قمنا وصعدنا الى غرفة فؤاد باشا
وتركنى فيها وغاب نحو نصف ساعة لأن « رفعة » الرئيس
كان يتناول العشاء مع حرمه زينب هانم والسيدة حماته
وحميه عبد الواحد باشا الوكيل . .

وعاد فؤاد سراج الدين وصحبنى الى غرفة الجلوس

في الجناح الخاص الذي كان النحاس يقيم فيه هو
والسيدة حرمه ..

وكان النحاس باشا متربعا فوق كنية .. ولاحظت
انه مشغول الخاطر معكر المزاج ..

وبدأت الحديث فقلت له : ان حسنين صديقي وانا
أعرفه جيدا . وأستطيع ان اثق فيما يقول لى كصديق.
وهو برىء ..

وسردت - او حاولت ان اسرد حجج حسنين ومنها ،
ان النحاس باشا ومكرم باشا هما اللذان كانا يرسلان
اليه الوسطاء من أصدقائه ..

وهنا قاطعنى النحاس باشا بحدة ، وبدأ هو يتكلم ،
ولم يترك لى بعدها فرصة للكلام واثمام دفاعى عن حسنين

والذين يعرفون الرئيس السابق مصطفى النحاس
يوافقوننى على انه لا فائدة من مقاطعة « رفعته » اذا
اندفع يتحدث ..

وهكذا سكت ... وتركته يتكلم :

قال : هذا غير صحيح فأنا عمري ما أرسلت له
وسطاء ، ربما مكرم هو الذى أرسلهم ، أما أنا فلم أرسلهم
ولا مرة واحدة لأننى اكرههم ولا اثق فيهم والذى حدث
اننا كنا فى مصيف رأس البر فى الصيف الماضى وجاء أحد
أصدقاء حسنين يقول لمكرم انه حاضر موفد من قبل
الملك لى يدعوننا لمقابلة جلالته .. وجاء مكرم فقلت له :
« يا مكرم بلاش فلان لانى لا اثق فيه » ..

قال : صحيح .. ولكن ما الضرر ان نسمع كلامه ..
ثم قص رفعتة التفاصيل وهى لا تخرج عما سبق أن
أكرته ..

ثم استطرد النحاس باشا يقول :

- وسافرت أنا ومكرم الى القاهرة وقابلنى جلالة

الملك ولكنه لم يقابل مكرم ، وغضب مكرم وقال :
« وعلشان ايه جابونى بقى ؟ يعنى أنا طيشة » . هذه
ياسى التابعى هى المرة الوحيدة اللى جاءنا فيها صديق
لحسنين باشا . . . ولقد جاءنا كما رأيت من حسنين . . .
ثم قال بحدة وأنفعال شديد :

— ده كلام فارغ دول بيلعبوا بالنار . . هؤلاء العكاريت
الى آخره . . الى آخره . .

وبعد أن هدا قليلا انتقل الى الحديث عن مقابلة فاروق
لمكرم عقب تأليف الوزارة وهى المقابلة التى أثارت شكوك
النحاس فى مكرم عبيد ولقد سبق أن أشرت الى هذه
المقابلة وقلت انها كانت مناورة أو مؤامرة من حسنين
باشا للتفريق بين النحاس ومكرم . .
وأعود الآن وأثبت هنا رواية النحاس باشا نفسه عن
المقابلة المذكورة . .

قال : بعد تأليف الوزارة بأيام جاءنى مكرم باشا وقال
ان حسنين طلب منه أن يلتمس مقابلة الملك ، وانه — أى
مكرم — قال له ان ليس عنده سبب يبنى عليه طلب
المقابلة . ولكن حسنين قال له : « فتش على حاجة » وأخيرا
قال له مكرم ان عنده رسم الورق الجديد البنكنوت من
فئة عشرة قروش وخمسة قروش ، فهل يطلب المقابلة
ليعرضه على الملك ؟ ووافق حسنين . .

ومضى النحاس باشا فى روايته ، وأنا أسجلها هنا
بحروفها نقلا عن مذكرات مكتوبة . . قال :
— ولما قال لى مكرم هذا رأيت انها حاجة غريبة . .
وأحسست ان فى الامر شيئا غير برىء ، فقلت لمكرم
باشا : « وهو كذلك . . روح . . ولكن كن على حذر . .
دول يا مكرم عاوزين يفرقوا بيننا ، وأبقى فوت على بعد
المقابلة أو كلمنى بالتليفون وقل لى على الحديث اللى دار
فيها . . »

وانتظرته في المساء . . الساعة التاسعة . . تسعة
ونصف . . عشرة ونصف . . وكنت كلما طلبته بالتليفون
وجدت نمرته مشغولة . . وأخيرا وكانت الساعة منتصف
الليل تقريبا دخلت ونمت . .

وفي الصباح أحضروا الى «نوتة» أو رسالة منه كان
أملها بالتليفون بعد نومي - أي بعد منتصف الليل ،
وفيها يقول ان المقابلة كانت «عال وعظيمة» وانه سوف
يقص على التفاصيل بعد عودته من الفشن . .
وفي نفس الصباح قرأت في إحدى الجرائد بيانا لمكرم
عن مقابله للملك . . وهو بيان لا يكتبه سوى عبد . . وماذا
يقول الانجليز الآن ؟ أمن أجل هذا جاءوا بنا الى الحكم ؟
لقد جاءوا بنا ظنا منهم اننا وحدنا الذين نستطيع الوقوف
في وجه الملك . . فماذا يقولون اليوم بعد هذا البيان
الذي لا يكتبه سوى عبد ؟

ثم كلمني مكرم بالتليفون من الفشن بخصوص المسألة
التي كان سافر من أجلها . وسألته ايه الكلمة التي كتبتها
دي في الجرايد يا مكرم ؟ فقال : « ايه رأيك فيها ؟ » قلت
له : « زفت وقران » لما ترجع وأقابلك نتكلم فيها . .

وعاد مكرم وقابلني ، وقال انه لا يرى رأيي وانه لم
ير ضررا في كتابة الكلمة المذكورة لأننا سبق أن كتبنا مثلها
ومدحنا الملك بأعظم منها ، فقلت له : « فليكن . . ولكن
أنا الذي أكتب وأمدح لا انت » لأنني أنا أقدر الظروف .
وأنا اذا مدحت فأنا اتقاضى في مقابل المدح ثمنا . . أنا
التي ياخذ من الملك والتي باعامل الملك مش انت . . ولكن
قل لي لماذا لم تأخذ رأيي فيها وتستشرني قبل نشرها ؟

قال : « في الحقيقة حسنين باشا طلب مني بعد خروجي
من مقابلة الملك ان أكتب كلمة كويسة عن الملك وأنشرها »
فقلت له : « هذا سبب كان ادعى لأن يحملك على ان

تأخذ رأيي وانت دائما تأخذ رأيي في كل مسألة فلماذا لم
تفعل هذه المرة ؟ هذا سعى للتفريق بيننا وبكره تشوف
يا مكرم »

ثم قال النحاس باشا انه عرض بلباقة لهذه المسألة
في اجتماع لمجلس الوزراء وعاتب مكرم ثم قال له أمام
زملائه الوزراء انه يشفق أن تصبح المسألة مسابقة أو
مزايدة بين الوزراء كل واحد منهم يسابق زملاءه الى
مدح الملك ويزيد في المدح عما قاله الذي سبقه . .

ثم انتقل النحاس باشا الى الحديث عن اخراج مكرم
من الوزارة ، فقال انه كان يعرف قبلها بشهر أن مكرم
باشا ينوي أن يجعل من «الاستثناءات» ميدانا للمعركة .
وانه - أي النحاس باشا - أفضى برأيه هذا الى بعض
الوزراء فقال لهم : « مكرم مش ناوى يقعد معنا وبكره
تشوفوا » . . وأن نجيب الهلالي ذهب يومئذ الى مكرم
وسأله في هذا فأنكر مكرم أن في نيته شيئا من هذا وأكد
اخلاصه للنحاس . وتضامنه مع زملائه أعضاء الوزارة ،
ولكن النحاس باشا ظل متمسكا برأيه وهو « أن مكرم
مش ناوى يقعد معنا »

الى أن كانت مسألة الاستثناءات التي كان رئيس
الوزراء والوزراء طلبوها لعدد كبير من الموظفين الوقديين
ومن الانتصار والاقارب والمحسوبين . . وهنا أخذ وزير
المالية مكرم عبيد يسوف ويماطل في الرد على طلبات
النحاس والوزراء ، وكان - عندما يعجله النحاس باشا
بالرد - كان يقول له : « طول بالك شوية لأن اللجنة المالية
بتعارض وأنا باعمل جهدي علشان أقنعها بالموافقة » . .

ومضى النحاس باشا في حديثه يقول :

- ولكنني قلت له : المهم أن ترسلوا لنا ردكم أيا كان
بالموافقة أو بالرفض مش مهم . . بس ردوا علينا الآن

الحركة واقفة ، وهناك حركة أخرى سوف تتلو هذه الترقيات المطلوبة ومش ممكن عملها الا بعدها . وأخيرا جاء رد اللجنة المالية وقال مكرم انه لم يكتبه وان اللجنة المالية هي التي كتبه . . وفي جلسة مجلس الوزراء التي عرضت فيها مذكرة اللجنة المالية بعدم الموافقة على الاستثناءات المطلوبة - وقد رفض المجلس هذه المذكرة

- قال مكرم انه لا يرتب أية نتيجة على رفض مجلس الوزراء مذكرة اللجنة المالية ، وانه يضع استقالته تحت تصرفي ، ولكننا تصافينا في الجلسة ، وعند مغادرتنا لقاعة اجتماع مجلس الوزراء دعاني مكرم لتناول الغداء معه في داره ولكنني اعتذرت بمرضى وانني أتناول أدوية معينة لم تكن معي ، وقلت له : انني سوف أتناول الغداء عنده في فرصة أخرى . .

ولكن مكرم - وقد كنا تصافينا كما قلت - نشر مذكرة اللجنة المالية بقصد التشجيع على وعلى أقاربي ولكي يخرجني ويخرج زملاءه الوزراء أمام الرأي العام ، وهنا رأيت ان التعاون بيننا لم يعد ممكنا وقررت اخراجه من الوزارة ومن منصب سكرتير الوفد ، لأن دي مسألة ثقة وتعاون بين رئيس الوفد وسكرتير الوفد ، ولكن ليس في نيتي اخراجه من هيئة الوفد أو من الهيئة الوفدية ، وأرسلت اليه عثمان محرم باشا بصفته أقدم الوزراء لكي يذكره بوعده ويطلب منه أن يستقيل ، ولكن مكرم لم يكذب يري عثمان باشا حتى صاح : « أنا عارف انت جاي ليه ، لكن مش راح استقيل ، وخلي النحاس يقيلني اذا كان يقدر »

ومعنى هذا ان مكرم كان واثقا من مركزه ، وكان يعرف مقدما ومن حسنين و«شلتة» ان الملك سوف يرفض أن يقيله من الوزارة . .

ثم انتقل النحاس باشا بالحديث الى مقابلته لفاروق في يوم الثلاثاء ٢٦ مايو عام ١٩٤٢
ولقد تمت المقابلة المذكورة بينما كان مكرم باشا جالسا في احدى غرف القصر ينتظر دوره للمقابلة «الملكية» ولكن النحاس باشا لم يكن يعرف ان مكرم موجود في السراى وانه سيقابل الملك ..

قال النحاس عن مقابلته لفاروق :

- ولما قابلت الملك التمسست منه اقالة مكرم وشرحت لجلالته حكم الدستور في هذا الشأن وكذلك حكم السوابق الدستورية ومنها اقالة عبد العزيز فهمى باشا ولكن لجلالته قال : « لا .. لا .. بلاش السابقة دى .. شوف لنا يامصطفى باشا طريقة ثانية غير الاقالة » ..

قلت لجلالته : حسنين باشا هو الذى تخن وذن مكرم علشان بيعت له مع حسن الاعور يطلب منه الا يستقيل ، فقل لجلالتك لحسين باشا ان يطلب من مكرم ان يستقيل او احسن من كده بيعت يجيبه في السراى ويطلب منه باسم جلالتك ان يستقيل .. فقال الملك : دى فكرة عال ولكن نفرض ان مكرم رفض ان يستقيل يبقى الحل ايه ؟ اظن الاوفق يامصطفى باشا ان تقدم استقالة الوزارة ، وانا اعدك ان خطاب التاليف بتشكيل الوزارة يصلك في نفس اليوم ..

ومضى النحاس باشا في روايته فقال :

- ولما رانى الملك ترددت قال : « والا انت خايف منى ومش واثق في كلامى » ، وأسرعت اقول له : معاذ الله يامولانا ، وانا اؤكد لمولاي اننى لم اقبل الوزارة الا اجابة لرغبتك ورغبة منى في خدمتك وانا الان احترق بالنار في كل يوم ولا انام الليل ، وثق يامولاي ان اهنأ يوم في حياتى هو يوم يقبل جلاله الملك استقالتي ويعفينى من

أعباء الوزارة وأنا مريض وصحتي متعبة ..

وقال فاروق : لو تعلق الامر بصحتك فقط لما كان هناك مانع من اعفائك من اعباء الحكم ، ولكن الظروف لا تسمح ..

ثم قال النحاس باشا ان مكرم قال لبعض الشيوخ والنواب الذين زاروه اننى - اى النحاس - طلبت من الملك اقالته وان الملك رفض .. فمن الذى أخبر مكرم بهذا وبما دار بين الملك وبينى .. لازم يكون حسنين باشا .. وهى مؤامرة بينه وبين مكرم ..

وأصبحت وكلمت حسنين باشا بالتليفون ، قلت له : « النحاس باشا هايج جدا ويصر على اتهامك انت وبعض أصدقائك بكذا وكذا » ..

واحتد حسنين باشا ، ولعلها كانت المرة الوحيدة التى سمح فيها لنفسه بأن ينفعل وأن يحتد، ولعله خشى العاقبة ، وأشفق من محاربة النحاس باشا له وقد كان يعرف ان مركز النحاس يومئذ كان قويا مؤيدا ، وأنه اذا ركب النحاس رأسه وأعلن الحرب على حسنين وقال مثلا : « اما أنا .. واما حسنين » فقد يتدخل الانجليز مرة أخرى وقد يسفر تدخلهم عن نتائج لا تسر رئيس الديوان أحمد محمد حسنين ..

ومن هنا بدأ الانفعال واضحا فى صوت حسنين وهو يقول : « شوف يا محمد ، انا زى ما قلت لك ، لا بد لي فيما حدث ، وليس فى برنامجي أن أحارب النحاس باشا ، ولكن اذا كان عايز يهاجمنى فسوف أضطر أن أشب على قدمي وأرد الضربة ضربتين .. »

ثم تواعدنا على اللقاء فى بحر الاسبوع على أن اكلمه بالتليفون قبلها ..

ووجدت ان الحالة خطيرة وأن الشد من الطرفين قد

يؤدي الى قطيعة أو ينتهي باصطدام ، وكلمت فؤاد باشا
سراج الدين بالتليفون وقلت له : ان مقابلي مع النحاس
باشا مساء أمس لم تنته الى النتيجة التي كنا نرجوها ،
وانني اضطررت الى التظاهر بالموافقة على رأيه لأنني
أدركت أن لا فائدة من مناقشة « رفعتة » . . وقلت :

— وانت تعرف النحاس باشا وتعرف عناده وانه اذا
انطلق في حديث ، فليس هناك من يستطيع أن يقساطعه
أو يوقفه ، وأنا في الحقيقة لا أوافق على رأيه في حسنين
وبعد ، هل من حسن السياسة مبادرة حسنين بالعداء ؟
فأرجوك يا باشا أن تعمل من ناحيتك على اقناع النحاس
باشا بهذا الرأي . .

ووافقني فؤاد سراج الدين وقال انه يفكر في دعوة
النحاس باشا والسيدة حرمه وحسنيين باشا لتناول
العشاء معه في داره . . ولعل هذا الاجتماع العائلي يساعد
على تهدئة الجو بين الطرفين . .

ومر يومان أو ثلاثة ، ولما لم اتصل بحسنيين بالتليفون
كما كنت وعدته سألت عنى هو مرتين وزرتة في داره في
صباح السبت وقلت له ان فؤاد سراج الدين يفكر في
دعوتك مع النحاس باشا لتناول العشاء في داره ، فقال
انه يفضل أن يبدأ هو بدعوة النحاس باشا والسيدة
حرمه لتناول الغداء أو العشاء معه . . ثم عاد وقال :

— الأفضل أن تتناول الغداء معى انت وفؤاد باشا
أولا . .

وقمت الى التليفون وكلمت فؤاد باشا واتفقنا على ان
نتناول الغداء مع حسنيين باشا بعد غد أى يوم الاثنين .
وجلسنا حول مائدة الغداء في دار حسنيين باشا
بميدان عبد المنعم بالدقي . .

وانقل هنا - بشيء من الإيجاز - ما دونته يومئذ في

مذكراتي بتاريخ الاثنين ٨ يونية عام ١٩٤٢ :

قص علينا فؤاد باشا - ويظهر انه كان أعد مقديما
حديثه - قص علينا بوادر الخلف بين النحاس ومكرم
ولو اننى اعتقد ان هذه الحكاية لم تكن أول بادرة من
بوادر الخلف .. قال :

- ذات يوم وكان النحاس باشا لا يزال يقيم فى الباخرة
محاسن .. قالت زينب هانم للأستاذ قاسم جودة الذى
كان يزورها كلما كثيرا معناه انه وغيره من الصحفيين
يسرفون فى الكتابة عن مكرم باشا وعن حركاته وسكناته
بينما رئيس الوزراء نفسه وبقية الوزراء لا يكتب عنهم
نصف ما يكتب عن مكرم عبيد ..

ويظهر ان الاستاذ قاسم جودة أبلغ مكرم باشا ما
قالت زينب هانم لأن مكرم ذهب وقابل النحاس باشا
وقال له ان زينب هانم تسيء اليه وتطعن فى حقه وعاتبه
فى هذا .. وقال له النحاس باشا انه يستبعد صحة
الخبر وسأله عن اسم الذى أبلغه هذا ، ولكن مكرم
رفض أن يبوح باسمه ..

وأبلغ النحاس باشا السيدة زوجته ان مكرم عاتب
عليها ، وروى لها ما سمعه منه ، وكانت السيدة مريضة
فى فراشها ، ولكنها كلمت مكرم بالتليفون وطلبت منه
أن يزورها ففعل ..

ولما دخل عليها قالت له ان مصطفى باشا أبلغها عتابه
ولكنها تنكر أنها طعنت فيه أو أساءت اليه فى أى حديث
لها ، وسألته عن اسم الذى نقل اليه هذه الرواية فقال :
« شخص اثق فيه كل الثقة وهو لا يكذب » ، ورفض
أن يذكر اسمه ..

وطال الحديث والعتاب ، وبدرت من مكرم باشا هذه
العبارة : « يظهر انك خائفه على مركز جوزك منى » ..

وهنا انتفضت زينب هانم فاضية وصاحت بصوت عال : « منك انت .. أخاف منك على مصطفى النحاس؟ ايه اللي تقدر عليه ؟ تقدر تعمل رئيس وزارة ، لكن هل تقدر تكسب الزعامة أو الحب الذي تكنه الأمة لمصطفى النحاس ؟ جوزى هو اللي خلقتك ؟ .. »

وقال مكرم : « اللي خلقتى ربنا مش جوزك .. وأنا اللي كونت نفسى بجهادى وتضحياتى »
وكان النحاس باشا قد آثر أن يترك مكرم باشا وزينب هانم وحدهما يتعاتبان ، ولكنه أقبل على صياحهما ، فوجد زوجته تبكى غيظا وغضبيا ، ولما سأل عن السبب التفت الى مكرم وقال : « انت غلطان ، قوم بوس رأس اختك وصالحها » وقام مكرم وقبل رأسها ويدها ..
وتصالحا وتصافيا ..

ثم قال فؤاد باشا ان زينب هانم اتفقت مع النحاس باشا على كتمان هذا الحادث عن جميع الناس حتى انه لما ذهب نجيب الهلالي باشا وأحد الوزراء الى والدها عبد الواحد الوكيل لكى يوسطاه فى الصلح بين ابنته ومكرم باشا ، وجدا ان الرجل لم يكن يعرف شيئا مطلقا ولم يكن قد سمع أى شىء مطلقا عن وجود أى خلاف أو سوء تفاهم بين ابنته زينب هانم ومكرم عبيد ..

ثم قال فؤاد باشا : ولكن مكرم خرج يقول لأصدقائه ان زينب هانم شتمته وأهانته ..
ثم انتقل فؤاد باشا سراج الدين الى نقطة أخرى فقال ان النحاس باشا كان قال للوزراء قبلها بشهر : ان مكرم باشا مش ناوى يقعد معانا ، وأنه سوف يختار ميدان المعركة حول الاستثناءات ..

وانكر الوزراء على رفعتة هذا القول وذهب نجيب الهلالي الى مكرم وسأله فى هذا فانكر مكرم وأكد ان

لا شيء من هذا يدور بخاطره ، واكد مرة اخرى اخلاصه
وولائه لمصطفى النحاس ..

ولكن النحاس اصر على رايه واتهامه لاخلاص مكرم
وان الاستثناءات هي الميدان الذي سوف يختاره لمهاجمة
الوزارة .. ثم قال النحاس : « وبكره تشوفوا ، وانا
اقبل منازلته في الميدان الذي يختاره »

وتحدث فؤاد سراج الدين بعد ذلك عن وزارة التموين
والخلاف الذي كان ناشئا بسببها وانكر على مكرم عبيد
دعواه ، وهي انه فوجيء بها في خطاب العرش ، وقال
ان الحديث في اعادة الوزارات الثلاث دار في احدي
جلسات مجلس الوزراء وان مكرم عارض بشدة في سحب
وزارة التموين منه ولكن النحاس باشا اقنعه بضرورة
تخليه عن الوزارة المذكورة ، وهنا تظاهر مكرم بأنه قد
اقتنع ، وبعدئذ طلب مكرم تأجيل تعيين وزير لوزارة
التموين لمدة شهر واحد فأجابه النحاس باشا الى طلبه

وكان المفهوم - بل والمتفق عليه - ان يتقدم مكرم بعد
انتهاء الشهر ويقول ان صحته متعبة وانه لا يستطيع
القيام بأعباء العمل في وزارتي المالية والتموين ومن ثم
فهو يرجو اعفائه من منصب وزير التموين - وكان هذا
هو المتفق عليه - وهكذا ينقد المظاهر أمام الناس ويعتقد
الجميع انه - مكرم - هو الذي تخلى بمحض ارادته عن
وزارة التموين ، ولكن الشهر الذي كان طلبه انقضى ولم
يحرك مكرم ساكنا وبقي محتفظا بالوزارتين : المالية ،
والتموين . وكان النحاس باشا قد وعد الملك بتعيين
وزراء للوزارات الثلاث في بحر اسبوعين ..

واستدعى النحاس باشا مكرم وساله : متى يعلن
رغبته في ترك وزارة التموين ؟

وقال مكرم : انه لن يترك وزارة التموين ..

وقال له النحاس :. ازاي يا مكرم ؟ واقول للملك ايه ؟
أقول له أنا كذاب ؟ فأجابه مكرم : لا.. قل له أنا اللي
كذاب .. !

وبعدها انتقل فؤاد سراج الدين الى الحديث عن
البيان الذي قدم به مكرم الميزانية فقال ان البيان المذكور
كان مفاجأة للنحاس وللوزراء لأن مكرم باشا لم يكن قد
أطلع عليه أحدا منهم مع انه تعرض في البيان لكل وزارة
ولعمل كل وزير ، وارتبط في هذا البيان أمام البرلمان
بعود لا يرجع أمر تحقيقها اليه وحده بل يعود الى الوزارة
كلها والى جميع الوزراء .. مثال ذلك انه أعلن في بيانه
ان ثمانية أوامر عسكرية سوف تصدر من الحاكم العسكري
العام - وهو النحاس باشا - في مسائل كذا وكذا وكيت
فهل كان سأل الحاكم العسكري أولا عن رأيه قبل اعلان
النبا أمام البرلمان ؟

وأعلن كذلك في بيانه ان قوانين كذا وكذا سوف تصدر
فهل كان سأل الوزراء المختصين عن رأيهم .. مثال ذلك
وهو أمر سبب حرجا كبيرا للوزارة .. انه أعلن في بيان
الميزانية ومن غير أن يستشير زميله وزير العدل ان البيوع
الجبرية سوف توقف .. وصفق البرلمان طويلا لهذا
النبا ..

ولقد حدث بعد أيام معدودة من القاء البيان انه كانت
هناك بيوع جبرية في المحاكم المختلطة ، واستند المدينون
الذين سوف تباع أملاكهم الى ما جاء في بيان وزير المالية
أمام البرلمان .. ولكن المحاكم المختلطة قالت ان بيان
الوزير لا يربطها لأن ما جاء فيه لم يصدر به قانون ..
ونزع المدينون الى وزير العدل ، وكان أن اضطر
الوزير - صبرى أبو علم - الى أن يتصل بالنائب العمومي
لدى المحاكم المختلطة وبصفة شخصية ودية ويرجوه ان

يتدخل وينقذ الوزارة من هذا الحرج ..
واتفق الراى على أن يحضر وبدء النيابة جلسات
البيوع الجبريه ويطلبوا التاجيل للاطلاع .. الى أن
يصدر العاون المطلوب ..

وقال فؤاد باشا ان بيان مكرم كان طويلا ، وكان النحاس
يتململ ويظهر ضجره وامتعاضه من بعض ماجاء في البيان
ولما طال العاء البيان وكانت الساعه قد جاوزت العاشرة
مساء الى الحادية عشرة .. هم النحاس باشا بمفادرة
الجلسة « مجلس النواب » ولكننى - فؤاد سراج الدين
- همست في أذنه انه لايليق أن يفادر الجلسة قبل ان
ينتهى مكرم من القاء بيانه ، وجلس ..

ولما انتهى مكرم من العاء البيان قام اليه النحاس باشا
من باب المجاملة - وقبله وقال له : « برافو يا مكرم »
فدانت تحية بل ومجهودا يشكر عليه النحاس باشا ..

ومضى الاستاذ فؤاد سراج الدين في روايته فقال :
- وفي صباح اليوم التالى استدعى النحاس باشا مكرم
وعاتبه على ما جاء في بيانه من وعود وعهود قيد بها الوزارة
من غير أن يستأذن أو يستأنس برأى أحد من زملائه
الوزراء ، فضحك مكرم وقال له :

- نبقى خالصين .. زى حكاية وزارة التموين في خطبة
العرش أى ان هذه مفاجأة لكم ، وتلك كانت مفاجأة لى

ثم تكلم فؤاد سراج الدين عن مذكرة اللجنة المالية عن
الاستثناءات التى كانت السبب المباشر في اخراج مكرم
من الوزارة فقال ان النحاس - كما سبق الذكر - كان
يعرف ان مكرم سوف يختار هذا الميدان بالذات فكان
يستعجله رد وزارة المالية على طلبات الترقية المطلوبة في
وزارة الداخلية وكان مكرم يقول انها لا تزال قيد البحث
و« طول بالك يا باشا لأنى الأقى صعوبة مع اللجنة المالية »

وأخيرا قال له النحاس باشا : «ردوا علينا كما تريدون
المهم ابعثوا ردكم بالرفض أو الموافقة علشان نقدر نتصرف»
وأخيرا جاءت المذكرة ..

وكانت جريدة المقطم في مساء الاربعاء ، وجريدة الاهرام
في صباح الخميس قد أشارتا الى هذه المذكرة المقدمة من
اللجنة المالية انها تتضمن رفض الموافقة على الترقيات
والاستثناءات المطلوبة وقد اغضب نشر الخبر النحاس باشا

وكان الجو مكهربا ، وكنا جميعا نخشى من الانفجار ..
وتحدث بعض الوزراء في هذا المعنى مع مكرم فأكد لهم
ان المسألة مسألة «روتين» وان ليس في نيته أى شيء
خبىء ..

ودخل الوزراء قاعة اجتماع مجلس الوزراء وقلوبهم
واجففة وما دار في الجلسة المذكورة مدون في محضر
الجلسة الذى نشر ببلاغ رسمى ..

ولقد تصافى النحاس ومكرم في ختام الجلسة « وقد
رويت التفاصيل » وظن الوزراء ان الجو صفا ..

ولكن خاب ظننا فقد ذهب مكرم بنفسه الى جريدة
المصرى ومعه مذكرة اللجنة المالية يطلب نشرها .. ويلح
ويتوعد ويهدد اذا لم تنشر ..

وكان النحاس باشا قال أثناء جلسة مجلس الوزراء
التي عرضت فيها المذكرة ان مذكرة اللجنة المالية هذه
مقصود منها التشنيع عليه بالذات فقال له مكرم : « لو
كنت عاوز ياباشا أشنع عليك كنت نشرت الامثلة والاسماء»
وهاهو قد نشر فعلا الامثلة والاسماء في المذكرة التي
نشرت بجريدة المصرى في يوم السبت التالى لانعقاد
جلسة مجلس الوزراء .. وهكذا سقطت حجة مكرم في
عدم رغبته في التشنيع على مصطفى النحاس ..

وانتهى فؤاد سراج الدين من حديثه الذى لخص فيه

أسباب الخلاف بين النحاس ومكرم ..
وبدا حسنين باشا حديثه أو دفاعه عن نفسه ، وعن
سياسته فاستهل كلامه بعبارة «الكلشيهية» المعروفة
وهي انه لا يشتغل بالسياسة ولا يفهم في السياسة وقال
- وهو يلتفت الى - كأنه يستشهد بي :
« ومحمد يعرف كده ! .. مش كده يامحمد ؟ » ..

وابتسمت وقلت : بقى اسمع ما تخرجنيش وبلاش
أسئلة علشان ما تسمعش منى أجوبة صريحة ..
وضحك .. وضحكنا ..

وبدا الحديث ورواية التاريخ منذ عام ١٩٣٧ ، وكيف
انه كان زاهدا «كذا» في منصب رئيس الديوان وكيف
ان الملك أرغمه على قبول هذا المنصب في عام ١٩٤٠ !
ثم شرح سياسته ، وقد سبق ان أفضت فيها وفي
شرحها ، ولكننى أعود فألخص هنا حديثه فيما يلى :
قال :

١ - ان سياسته قائمة على ان الاغلبية - وهي الوفديين
- تحكم ، وهذه سياسته منذ ان ولى رئاسة الديوان
أى منذ عامين ..

٢ - انه عمل ومن قبل ان يلى الوفديون الحكم على
اقناع الملك بأن الوفديين قد سالموه ، لا طمعا في الحكم
وانما اعترافا منهم بخطتهم في الماضي «أى في وزارة ١٩٣٧»

٣ - انه صارح حسين سرى والدكتور هيكل والسعديين
بأن سياسته تقوم على ان يتولى الوفديون - وهم الاغلبية
- الحكم .. بينما الاحرار الدستوريون والسعديون
يقومون بمعارضة قوية نزيهة ..

٤ - أسهب في ذكر الخدمات التى أداها للوزارة
الوفدية منذ تولت الحكم في شهر فبراير الماضى ، وتحدث
عن الصعاب العديدة التى ذلها من طريق الوزارة ..

٥ - أفاض في وصف إعجابه بذكاء وظرف زينب هانم الوكيل ..

٦ - قارن بين الأشاعات السخيفة والتي لا يقوم دليل واحد على صدقها .. وهي الأشاعات التي يسمعونها النحاس باشا ضده - ضد حسنين - وبين هذه الخدمات والحقائق البارزة التي دلت بها على حسن نواياه نحو النحاس باشا ..

هذه هي خلاصة حديث أو دفاع حسنين أجملتها في عبارات أو عناوين .. ولكنني أحب أن أذكر «طرائف» جاءت في التفاصيل التي لم أذكرها ..

كان حسنين عرض في حديثه لمشروع البر والحفلات التي أقامتها زينب هانم للمشروع المذكور وقال إن فاروق لم يحضر الحفلات المذكورة حرصا على التقاليد ..

وهنا قلت أنا أنه لو كان الملك حضر حفلة الشاي في فندق مينا هاوس وجلس إلى جانب زينب هانم حرم رئيس الوزراء لكانت الخطوة الثانية المنطقية أن تدعى حرم رئيس الوزراء وزوجات الوزراء إلى حفلات السراي الرسمية وكن يومئذ يختلطن بالمدعوين من سـفـراء ووزراء .. وهذا خرق للتقاليد .. ولكننا سوف نصل إليه قريبا وبالتدرج ..

وهنا قال حسنين إن الملكتين نازلي وفريدة تقولان أنه لم تبق في مصر سيدة تلبس «اليشمك» سواهما .. وإن اللي عاوز يتفرج على حاجة انتيكة في مصر يروح يتفرج عليهما وهما « باليشمك » ..

ولقد عرض حسنين أثناء حديثه الطويل لعلى ماهر وذكر رأيه فيه وفي سياسته وقد عرضت لهذا كله .. وكان مما قاله أن السيد على ماهر لم يهنئه على تعيينه رئيسا للديوان ، ولكنه أرسل إليه الاستاذ ناصر

شاويش يقول له : « ان على ماهر باشا لم يحضر لتهنئتك
لأنه مش عاوز يجي السراى خوفا من أن يرى وجه عبد
الوهاب طلعت » ..

ثم قال حسنين : ولقد كان عبد الوهاب طلعت الذراع
اليمنى لعل ماهر .. ولكنه - بعد خروج على ماهر من
رياسة الديوان ومن الوزارة - راح يطعن فيه ويشهر
به أمام جميع الكبراء الدين كان يلقاهم ..

ثم ذكر لنا حسنين كيف ان على ماهر - بالرغم من
ذلك وبالرغم من طعن وتشهير عبد الوهاب طلعت - كان
لا يتردد في الاستعانة بعبد الوهاب طلعت على الدس لحسن
صبرى لدى فاروق حتى ان حسن صبرى - رحمه الله
- مات محصورا مجزورا من على ماهر ..

وقد قال حسنين هذه العبارة وهو يمر بيده على
رقبته ليرينا كيف ذبح على ماهر المرحوم حسن صبرى باشا

وروى لنا تفاصيل آخر دسياسة أو الدسياسة التي
قضت - في زعمه - على حياة حسن صبرى باشا -
رحمه الله ..

قال : حدث قبل افتتاح الدورة البرلمانية في نوفمبر
عام ١٩٤٠ « وكان حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة »
ان ذهب اليه احد الوزراء وهو الدكتور همد الحميد
بدوى باشا واقترح عليه مراعاة لظروف الحرب والاقتصاد
في مظاهر الأبهة والفضامة والبهرج والموكب الملكى والزينات
والاعلام .. الى آخره وأن يكتفى بأن يلقى رئيس الوزراء
- أى حسن صبرى - خطبة العرش بالنيابة عن الملك
ومن غير حضور الملك ..

وسرعان ما طار خبر هذا الاقتراح الى السراى ودخل
على فاروق من صور له الأمر على انه خيانة عظمى
« لصاحب الجلالة » ..

وأصبح حسن صبرى متهما بالخيانة العظمى ، ولكن عبد الحميد بدوى ذهب الى حسنين وقال له فى صراحة تامة أنه هو صاحب الاقتراح وان حسن صبرى لم يقبل اقتراحه على علاقته بل طلب منه أن يتحدث فيه مع رئيس الديوان . .

وعرف فاروق ان حسن صبرى مظلوم . . فقلده بيده وقبيل حفلة افتتاح الدورة البرلمانية الوشاح الاكبر من نيشان محمد على . .

وتوفى حسن صبرى بعد ذلك بخمس وعشرين دقيقة

وكان الساسة من خصوم الوفد ومصطفى النحاس يرون أن رئيس الديوان احمد محمد حسنين لم يعرف أن ينتهز فرصة هذا الخلاف الذى نشب فى صفوف الوفد وفرق بين رئيسه مصطفى النحاس وسكرتيره العام مكرم عبيد . . وانه كان من واجب حسنين باشا أن ينتهز الفرصة ليطوح بالوزارة كلها وينتقم لحادث ٤ فبراير .

وكان من بين أصحاب هذا الرأى السيد على ماهر باشا الذى كان معتقلا يومئذ فى السرو . . فقد قابلت أحد أصدقاء على ماهر فى جريدة الاهرام وقال لى : ان محمد على ماهر زار أباه على ماهر فى معتقله بالسرو وقد وجد أباه مسرورا جدا من تطور الحوادث - أى من الخلاف الذى وقع فى صفوف الوفد - وقد قال له أبوه على ماهر باشا : « لو كنت اليوم رئيسا للديوان لكنت طيرت مصطفى النحاس من الوزارة فى ٢٤ ساعة . . ولكن فى رئاسة الديوان دلوقت واحد خرنج » . .

و«خرنج» معناه عبيط أو معتوه ضعيف ، وكان يقصد حسنين باشا . . وكان من رأى على ماهر باشا أنه كان يجب على «الخرنج» احمد حسنين أن يشير على الملك فاروق يوم قدم اليه النحاس باشا استقالة الوزارة

باستدعاء زعماء الوفد - وزعماء الاحزاب الاخرى -
لاستشارتهم في الموقف على اساس ان هناك انشقاقا في
الوفد وهو الهيئة التي تستند اليها الوزارة في الحكم . .
ثم يشير على الملك باخراج النحاس ومكرم معا من الوزارة
ولكن «الخرنج» لم يعرف كيف ينتهز هذه الفرصة ،
وقال لى صديق على ماهر باشا انه يقول كذلك : «التابعى
كف عن الكتابة عنى لانه احس بان الراى العام معى» . .
وقلت انا : « كلا . . لقد كففت عن الكتابة عن رفعتة
لا لان الراى العام معه كما يقول . . بل لانه معتقل
الآن ولا حول له ولا قوة » . .

وفى مقابلة اخرى قال لى بعض اصدقاء على ماهر
باشا انه يشكو من آلام شديدة فى أسنانه وانه يصرخ
أحيانا من شدة الألم ويقسم على انه سوف ينتقم من
مصطفى النحاس الذى اعتقله ويعلن انه سوف يحاكمه
أمام محكمة عسكرية بتهمة الخيانة العظمى وان المحكمة
سوف تحكم على مصطفى النحاس بالاعدام . .

وكانت الاشاعات الذائعة يومئذ فى دوائر القصر وبين
انصار واصدقاء على ماهر ان رفعتة هو المرشح الوحيد
لرياسة الوزارة بعد دخول جيوش المحور مصر . . وهزيمة
الجيش البريطانى وانسحابه من مصر . . وكان الراى
السائد يومئذ ان الانجليز لابد مفلوبون على امرهم وان
روميل سوف يدخل مصر . . .

الماريشال روميل على أبواب مصر

وكان روميل قد بدأ يتحرك في شهر يناير ..
ومضت المعارك مائة بقية فصل الشتاء ، فلما أقبل
الربيع بدأت الحالة تتطور بسرعة في مصلحة جيش المحور
- ألمانيا وإيطاليا - ضد صالح بريطانيا وحلفائها ..
ومنى الجيش البريطاني بسلسلة من الهزائم ، لعل
أشدّها وأخطرها كانت معركة جسر الفرسان التي خسر
فيها الجيش البريطاني معظم دباباته وانسحب تاركاً
الطريق مفتوحاً أمام الماريشال روميل ..
وأحس كل من في مصر ان الحالة خطيرة جداً .. فقد
سقطت طبرق الحصن المنيع بدون مقاومة تذكر ..
ومن بعدها سقطت الضبعة .. واحتل الجيش الألماني
السلوم .. وزحفت طلائعه نحو مرسى مطروح ..
والاسكندرية ..
وفي صباح السبت ٢٧ يونية ١٩٤٢ - وكانت الشائعات
المزعجة تملأ البلد - زوت حسنين في داره فلم أجده ..
وقيل لي انه ذهب يعود ابنه هشام في المستشفى فقد
أجريت له عملية الزائدة الدودية .. وانتظرت حتى حضر
حسين وقلت له اننى سألت هذا الصباح وزير العدل
صبرى باشا أبوعلم عما اذا كان النحاس باشا قد أبلغ
جلالة الملك تطورات الموقف في الصحراء الغربية وأعطاه

صورة صحيحة عن الحالة ، أم تركه يستقى الاخبار من الخارج كما حدث يوم اغلاق الحدود . . وهل هو مثلا ابلغ الملك تفاصيل ما دار في الاجتماع الذي عقده «رفعته» في يوم الاثنين الماضي ٢٢ يونيو مع السفير مايلز لامبسون والجنرال ستون ؟ وان صبرى ابو علم باشا قال لى : ان النحاس باشا قد ادى في هذه المرة واجبه وانه ابلغك - انت يا حسنين باشا - كافة التفاصيل . .

قلت هذا لحسين فابتسم بمرارة وقال : ابدأ ! ثم مضى يقص على التفاصيل . . قال :
- عرفت ان النحاس باشا عقد اجتماعا مع من ذكرت وانتظرت ان يتصل بى فور انتهاء الاجتماع ولكنه لم يفعل ومضى العصر . . ثم المغرب . . وأقبل الليل ورفعته لم يتصل بى . . وسألنى الملك : « هل اتصل بك رئيس الوزراء ؟ فقلت كلا . . ولعله يجمع الاخبار والتفاصيل وكل ما يمكن جمعه لى يعطينا صورة كاملة عن الموقف »

« ولكن هذا كان فى الحقيقة اعتذار منى عن النحاس باشا لأننى كنت أنتظر أن يتصل بى ويطلب مقابلة الملك لى يبلغه ما حدث . ولكن الذى حدث أن رفعته أصدر بلاغا رسميا عن الاجتماع المذكور . . ونشرت الصحف البلاغ . . وكان ذلك قبل أن يطلع الملك على شىء ما »

وهكذا قرأ الملك البلاغ الرسمى فى الصحف مثل سائر الناس ومضى حسنين باشا فى روايته يقول :

« وفى صباح اليوم التالى لم أستطع صبورا ، والواقع اننى أهملت أو تهملت فى أداء واجبى كرئيس للديوان لأنه كان يجب على أن اتصل بالنحاس باشا قبل ذلك وأسأله . . ولكننى راعيت الذوق الحسن فلم أفعل . . . ولكنى وجدت انه لم يبق موجب للذوق . . فكلمت بالتليفون أمين عثمان باشا وبسطت له وجهة نظرى . .

وبعدها بقليل اتصل بى النحاس باشا وقال لى : « انت
فين ؟ أنا بافتش عليك » . . وكلمنى كلاما عموميا عن
الحالة ، وانها مطمئنة . . وسألنى اذا كنت أريد أن
أقابله فقلت له : نعم أحب أن أقابل رفعتك . . قال :
« بس أنا عندى برلمان النهاردة » قلت له : « اذن ففى
أى وقت يناسبك » . . ثم حدثنى عن البيان الذى
سيلقيه فى البرلمان وسألنى : هل يرسل لى نسخة منه
فقلت : وأكون شاكرا لو فعلت . . »

« وهكذا انتهى حديث النحاس باشا معى بالتليفون .
وبعدها بقليل كلمنى أمين عثمان بالتليفون وقال لى :
« انت مش عايز تقابل النحاس باشا ؟ » فقلت له :
« ازاي » بالعكس . . أنا عاوز أقابله . قال : « هوه فهم
كده » . فقلت : « فهم غلط . . وأنا غايته أحببت أن
لا أربطه بموعد أو ميعاد وتركت له اختيار الوقت المناسب »

واتفقنا على موعد المقابلة ثم أبدى حسنين باشا رأيه
فى البيان الذى ألقاه النحاس باشا فى البرلمان فقال أنه
فيما عدا ثلاث أو أربع نقط فان البيان المذكور يبدو
كأنما قد كتب فى السفارة البريطانية . وانها لعجيبه
أن يقول النحاس باشا فى بيانه انه مطمئن ، بينما الانجليز
أنفسهم يسمون ما حدث « كارثة » ويصفون الحالة بأنها
خطيرة وجرائد اليوم تقول نقلا عن جرائد لندن ان الزحف
الامانى لو أوقف يكون هبة من الله . . ومع ذلك فان
النحاس باشا يقول : انه مطمئن ! . .

ولم يقل النحاس باشا فى أول الامر لحسينين أكثر مما
جاء فى البيان الذى ألقاه أمام مجلسى البرلمان وهو أن
الحالة مطمئنة وان الانجليز سوف يدافعون عن مصر . .
الى آخر مدى . . ولقد حاول حسنين أن يعرف من

النحاس باشا حدود « هذا المدى » وهل هو يقف مثلا عند مرسى مطروح ؟ أم أن الدفاع « الى آخر مدى » معناه ان الحرب سوف تجرى في داخل البلاد ؟ . .

ولكن النحاس باشا رفض المناقشة في امكان وقوع هذا الاحتمال . . وهنا يقول حسنين - رحمه الله - قلت له : « نفرض لا قدر الله ، لاسمح الله ، يعنى لو دخل الالمان مرسى مطروح او لو زحفوا بعدها ! » . . ولكن النحاس باشا قال : مش ممكن . . وعاد حسنين باشا يقول : « يعنى لاسمح الله ، لا قدر الله ، وربنا ما يقدر . . انما يعنى لو حصل ؟ ! »

فقال النحاس باشا : « يمكن نخلى المدنيين ساعتها يتركون المدن الى القرى . . »
يعنى الحرب تدخل مصر . . وهذا هو الخراب . .

وكان حسنين يروى لى تفاصيل هذا الحديث وهو منفعل وحائر فى فهم عقلية النحاس باشا . . وكيف انه أصبح آلة فى يد الانجليز . . وقد تحدث حسنين طويلا فى هذا المعنى وكان مما قاله : « النحاس باشا فى يد الانجليز خالص ، لانه يعرف انه لو كان الامر بيد البلد لما بقى فى رئاسة الوزارة خمس دقائق . . »

ثم انتقل حسنين بالحديث الى الشائعات التى تقول بان الجيش الانجليزى فى الصحراء الغربية لا يريد ان يحارب . . وقارن بين موقفهم اليوم وموقف الحشود الايطاليين ايام الجنرال ويفل ايام كان جنود بريلا يحاربون بشجاعة . . وجنود ايطاليا يهربون . . فاصبح الانجليز يهربون . . وجنود ايطاليا والمانيا وراءهم . . ثم قال : ان طيارا انجليزيا كان زاره فى داره وورطه حسنين فى الحديث

حتى اعترف له بأن هناك أمرا مريباً في استسلام حصن
طبرق الحصين فقد قال :

There is something fishy وان هذا الشيء المريب -
كما قال حسنين - هو ان الجيش البريطاني رفض أن
يقاوم وسلم للألمان من غير قتال ومضى حسنين يقول :
- فاذا كانت هذه هي الحالة فكيف يكون النحاس
مطمئنا كما يقول ؟ بل لعل روميل على علم بحقيقة
الحالة وانهيأر معنوية الجيش البريطاني ولهذا السبب
نراه يسرع في زحفه حتى لايعطى الانجليز فرصة لجمع
جموعهم ولم شملهم .. وقد لا يبعد أن يدخل على -
في أى وقت - في مكتبي ضابط ألماني يرفع يده بالتحية
ويقول : هيل هتلر ! ..

ومضى حسنين باشا في حديثه فقال في معرض التذليل
على خطورة الحالة التي يصر النحاس باشا على وصفها
بأنها «مطمئنة» قال : ان هناك خطأ قد أنشئ بين أمريكا
ومصر لنقل الصور الفوتوغرافية باللاسلكى وقد افتتحه
مستر روزفلت بارسال صورة له مع محمود حسن بك
وزير مصر المفوض في واشنطن وطون وقد نشرت الصحف
المصرية الصورة المذكورة .. ورؤى بعدها أن ترسل
القاهرة ردها على هذه التحية الى واشنطن وطون بارسال
صورة الملك فاروق مع مستر كيرك وزير أمريكا المفوض
في القاهرة ..
ثم قال حسنين :

- ووقفت منذ أيام في إحدى الحفلات أتحدث مع
مستر كيرك في مسائل عادية فقلت له : اننى زرت أمريكا
منذ سنوات ، وتعرفت برجالها وقلت لهم يوماً ان
أمريكا سوف تأخذ في يوم مكانها في قيادة العالم والمدنية
الحديثة واننى لسعيد لأن نبوءتى قد تحققت .. وكنت

أظن أن مستر كيرك سوف يسر بكلامى هذا أو يعلق عليه بشيء ما ولكن الرجل ظل شارد الذهن ينظر الى بعينين « فارغتين » وكأنه لا يسمع حرفا مما أقول .. ذلك لأنه كان يدرك خطورة الحالة ومدى الكارثة التى حلت بجيش الحلفاء فى الصحراء الغربية .. بينما أنا لم أكن قد أدركت بعد هذه الحقيقة ومع ذلك فإن النحاس يقول :
ان الحالة « مطمئنة » ..

وعلا صوت حسنين وهو يقول :

— بقى دى بلد .. البلد كلها تهتز علشان النحاس اختلف مع مكرم .. وما فيش حديث فى البلد كلها الا عن خلاف مكرم والنحاس .. بينما الألمان على ابواب البلد والبلد مهددة بالتخرب اذا قرر الانجليز المقاومة فى دلتا النيل وريف مصر ..

ثم عاد حسنين وتحدث عن عقلية النحاس باشا فقال انه قابله فى اليوم التالى لسقوط طبرق فى ايدى الالمان وكان ينتظر أن يحدثه النحاس باشا عن هذه الكارثة المروعة التى حلت بالانجليز وفتحت أمام الالمان الطريق الى الاسكندرية .. ولكن النحاس باشا سأله عن براءات رتبة الباشوية للوزراء ولماذا لم يرسلها الديوان حتى الآن ؟ وقال له حسنين : ان البراءات أرسلت فعلا ولكن النحاس أنكر وصولها . فأكد له حسنين انها أرسلت يوم كذا .. وهنا استدعى النحاس باشا الدكتور محمد صلاح الدين وسأله فى هذا فقال صلاح الدين ان البراءات قد وصلت حقيقة .. وضحك النحاس باشا وقال لحسين : «شوف ازاي أنا مش عارف ؟ البراءات عندي ومش عارف وكنت كلمت الملك عنها .. حتى ونكت معاه وقلت له : أيوه خلوها عندكم علشان أضحك على الوزراء وأغيظهم

واقول لهم البراءات مش جايه وانتم مش باشوات» . .
ثم تحدث حسنين عن دقة وخرج مركزه وكيف انه
يخشى أن يقال عنه «طابورخامس» ومن ثم يعرض مركز
الملك للخطر اذا ذهب مثلا وطلب من السفير البريطاني
ضمانات على عدم جر الحرب الى القاهرة ودلتا النيل . .
أو طلب منه تفسيرات لعبارة « المقاومة الى آخر مدى »
كذلك اذا أشار على الملك بدعوة زعماء البلد واستشارتهم
في الموقف فانه يخشى أن يقول الانجليز ان فاروق قد
بدأ يستعد لتأليف وزارة ممالئة للمحور . .

وهز حسنين كتفيه وقال : انه حاول أن يجس نبض
الزعماء فاجتمع مع بعضهم وتحدث معهم في الموقف
وخطورته وصواب الحصول على ضمانات بعدم تعريض
البلد للخراب ولكن احدا من الزعماء - ولا النحاس نفسه
- يقبل أن يخطو هذه الخطوة فيقابل السفير البريطاني
ويحدثه في هذا الموضوع . . لأنهم جميعا يخافون من
غضب الانجليز وشكوكهم . . أو غضب الالمان وانتقامهم
ثم قال بانفعال :

- ودينى وما أملك لقد تحققت من ان البلد دى كلها
ما فيش فيها رجل واحد . . وأقسم بربى لو الحالة
صفيت وربنا أنقذ البلد وأعطانى الملك «كارت بلانش»
فى تأليف الوزارة فانى لن اختار ولا واحدا من هذا
الطقم أبدا . . بل سوف أعمل وزارة من الشباب . .
وأنا متأكد انهم لو غلطوا فان غلطاتهم تبقى أرحم بكثير
من غلطات حضرات الزعماء الكبار . .

ثم قال بمرارة :

- زعماء ايه ياشيخ ؟ دول ما فيش فيهم ولا راجل
واحد . .

وفهمت من حديثه - تلميحا واستنتاجا - ان النحاس باشا وقد تورط الى ابعد حد في تأييد الانجليز والدعوة والدعاية لهم ليس بالرجل الذي يمكن ان يتفاهم معه الالمان اذا دخلوا البلد . . او الرجل الذي يمكنه ان ينقذ ما يمكن انقاذه . . وان واجب النحاس باشا اذن هو ان يتخلى من تلقاء نفسه عن الحكم حتى يخلى السبيل لقيام وزارة اخرى لم يتورط رئيسها وأعضاؤها مع الانجليز الى هذا الحد . . ومن ثم يمكنها الى حد ما ان تتفاهم مع الالمان . ثم قال ، ولا أدري هل هذا هو رأيه شخصيا أم رأى قاروق وقد اقتبس في حديثه ، قال : اننا شعب مستعبد فأين هي الوزارة التي تستطيع ان تودع الانجليز اذا خرجوا . . وتستطيع ان تستقبل الالمان اذا دخلوا ؟ وتقول للانجليز : وداعا يا اسياى . . ثم تقول للالمان : أهلا وسهلا يا اسياى . . قال : يجب اعداد هذه الوزارة . .

قلت له : لقد عرضت عليك رئاسة الوزارة ثلاث مرات ورفضتها ، ولكنى اظن ان واجبك الآن ان تتولى الحكم وساعتها تقدر تكلم الانجليز وتتفاهم معهم على عدم خراب البلد . .

قال : ان الانجليز يتهموننى بان سياستى «ماكيا فيلية» فلن يطمئنوا الى . ان واجبى هو ان ابقى الى جانب الملك قلت : ما انت برضه جنب الملك وانت رئيس وزارة ؟

ولكنه - ومن غير ان يتكلم كثيرا - راوغ في الرد . وقدرت انه اما انه خائف مشفق من المسئولية . . واما لاننى أصبت الهدف عن غير قصد وكأنت منى رمية من غير رام . . أى انه قد فكر فعلا وقد هذا الاحتمال وهو ان يتولى رئاسة الوزارة ولكنه لا يريد ان يقولها لى الآن

أو احتمال ثالث وهو أن رئاسته للوزارة لا تفيد الملك في شيء لأنه منسوب أو محسوب على الملك فكل خطوة منه سوف تفسر عند الانجليز بأنها ايعاز من فاروق . . . وانه يمهّد لدخول الالمان . . . أو انه على الاقل يعمل بتصرفاته وخطواته هذه على نشر الفرع والقلق وروح الهزيمة في البلد . . .

وأراد حسنين - رحمه الله - أن يتخلص من الحديث في هذا الموضوع وقد أحس بالخرج . . . فقال :
- وهناك أمر عندما أفكر فيه ترتجف ركبتي ، وهو ان الانجليز اذا اضطروا الى الانسحاب من مصر فقد يأخذون معهم الملك . . .

قلت : هذا أمر محتمل جدا . . . ويبقى زى الملك بطرس ملك يوغوسلافيا وجورج الثانى ملك اليونان وساعتها يتخذه الانجليز مادة للدعاية ويقولون انه انضم اليهم وترك مصر هاربا من طفيان الالمان . . . ويذيعون بيانات ونداءات باسمه . . .

ثم قلت : ولماذا لا يفكر الملك في الهرب ساعة الخطر ثم يعود الى مصر بعد دخول الالمان ؟

قال : مش ممكن لأن الملك تحت الرقابة الشديدة . . .

قلت : وهل بلغ الامر الى هذا الحد ؟

قال : نعم . . . للأسف لا يجد احدا يطمئن اليه . . . حتى ولا حكومته لأنها ضالعة مع الانجليز . ثم قال : ونفرض ان الملك استطاع الهرب ، ثم حدثت بعدها معجزة وأمكن للانجليز صد زحف جيوش روميل يبقى مركز الملك فاروق ايه بعد ان هرب ؟ . . . لن نستطيع العودة الى مصر . . . ان الصعوبة هي في تحديد اليوم أو الموقف الذى يصح للمرء ان يقول فيه ان كل أمل للانجليز في كسب المعركة قد ضاع . . . وانهم لابد ان يخرجوا من

مصر.. وان هذه هي الساعة .. أو هذا هو اليوم..
كيف نحدده ؟..

قلت : يوم يجتاز الالمان خطوط مرسى مطروح ..
قال : كلا .. فلو فرضنا واستولى الالمان على مرسى
مطروح فان الانجليز ينوون مواصلة الدفاع .. ومنه
تدمير خزان اسوان وقناطر محمدعلى لكي يفرقوا اراضي
الدلتا ويجعلوها بحرا من الطين تفوص فيه دبابات الالمان

قلت : كلام فارغ .. مرسى مطروح اذا ضاعت ..
ضاع كل شيء ، ولا بد يومئذ من انسحابهم ودخول الالمان
قال : يعنى راية الخطر.. الراية الحمراء هي سقوط
مرسى مطروح !؟ ..

قلت : نعم .. دون شك ..

وسكت حسنين يفكر قليلا ..

وقلت : ومن يعرف .. اذا تمكنوا من حمل الملك معهم
قسرا ، فربما صحبوا معهم أيضا النحاس ووزراءه لتكوين
حكومة مصر « الشرعية أو الحرة » خارج مصر مثل
حكومات بولندا والنرويج وهولندا .. الى آخره ..

قال : صحيح ..

وانهارت تماما مقاومة الانجليز في الصحراء الغربية ،
وسقطت خطوط دفاعهم الواحد بعد الآخر وكان الجنود
الالمان يجدون مشقة في اللحاق بالجنود البريطانيين
بسبب سرعة انسحابهم ..

وسقطت مرسى مطروح في ايدى الالمان ..
وتقدمت بعدها قوات المحور .. ثم توقفت بسبب
نفاذ الوقود أو البترول الذي لا غنى عنه في حرب الدبابات
وكان توقفها عند « عنق الزجاجة » الذي اختساره
البريطانيون خطأ لدفاعهم الاخير قبل الاسكندرية ..

وكان « عنق الزجاجة » هذا - أو خط الدفاع -
يمتد ما بين البحر عند محطة العلمين ومنخفض القطارة
ويبعد عن المكس - إحدى ضواحي الاسكندرية - بنحو
أربعين كيلومترا . .

وبدا أهالي الاسكندرية يسمعون دوى المدافع وهى
تطرق أبواب دلتا النيل . . وساد الدعر والرعب والفرع
وخصوصا بين يهود مصر الذين أسرعوا الى بضائعهم
المكدسة فى المخازن يعرضونها للبيع بأرخص الاسعار . .
وكان المارة فى شارع جامع شركس بالقاهرة يشاهدون
يومئذ عشرات منهم يحاصرون قنصلية بريطانيا ليحاولوا
الحصول على «فيزا» أو اذن بدخول فلسطين أو جنوب افريقيا
كانت بحق أيام الدعر والفرع وكان من الصعب أن
يصدق أحد ان شيئا ما سوف يوقف الزحف الالماني
ويحول دون دخولهم الاسكندرية والقاهرة . .

اللهم الا اذا وقعت معجزة ، ولكن سلطات الحلفاء لم
تكن فيما يظهر تؤمن أو حتى ترجو يومئذ وقوع هذه
المعجزة . . فقد كان المارة فى ميدان قصر الدوبارة
والشوارع المحيطة به يرون أعمدة الدخان تتصاعد من
مداخل السفارة البريطانية والسفارة الامريكية وبعض
المباني والدور والعمارات التى كانت تشغلها ادارات
مختلفة تابعة لقيادة الجيش البريطانى . .

وكانت أعمدة الدخان تتصاعد ليلا ونهارا ، أياما
متوالية . . وعرف سكان القاهرة ان رجال السفارتين
والقيادة البريطانية يحرقون أوراقهم السرية استعدادا
لمغادرة القاهرة . .

وسافر بعض كبار المالىين والادباء والصحفيين ممن
كانوا يحملون يومئذ على هتلر والنازية ، أو كانت لهم
علاقات بمجهود بريطانيا الحربى . . سافروا الى اسوان

ومنها الى الخرطوم . .
 وقابلت ذات صباح الاستاذ محمود ابو الفتح وسألنى .
 - راح تودى فلوسك فين ؟ . .
 قلت : فلوسى كلها احملها فى جيبى . .
 وابتسم وقال انه ارسل «فلوسه» الى جنوب افريقيا
 وفى مساء نفس اليوم وكنت فى جريدة الاهرام أسأل عن
 آخر الاخبار ، سألنى رئيس التحرير الاستاذ انطون
 الجميل باشا ماذا يفعل بأمواله المودعة فى البنوك ؟ . .
 وقلت له ان محمود أبو الفتح أرسل أمواله الى جنوب
 افريقيا . . وابتسم - رحمه الله - بمرارة ، وقال :
 - وهو يعنى جنوب افريقيا اللى مأمون ومضمون . .
 وكان الاستاذ انطون الجميل يعتقد انه اذا سقطت
 مصر فى ايدى الالمان فلن يقف بعدئذ شىء فى طريقهم . .
 بل سوف يكتسحون وادى النيل الى جنوب افريقيا . .
 ويشقون طريقهم شرقا كما تشق السكين طريقها فى
 قالب الزبد عبر فلسطين ولبنان وسوريا والعراق . .
 وقص على المرحوم الاستاذ توفيق دوس باشا المحامى
 ورئيس مجلس ادارة شركة الفنادق المصرية . . قال :
 - وذات صباح دق جرس التليفون فى مكتبى واذا
 بالمتكلم أحد رجال السفارة البريطانية وطلب منى باسم
 السفارة واسم القيادة البريطانية ان اعمل فى ظرف ٢٤
 ساعة لا اكثر على فتح واعداد فندق ووتر بلاس بالاقصر
 وكان الفندق المذكور مغلقا يومئذ لائنا فى الصيف - شهر
 يولية - والفندق لا يفتح الا فى موسم الشتاء . .
 وقلت للمتحدث باسم السفارة والقيادة ان هذا
 مستحيل . . لأنه يجب أولا جمع عشرات الخدم
 والسفرجية والطهاة الى آخره . . لتنظيف الفندق
 واعداه . . ولكن المتحدث قاطعنى قائلا : ان لا ضرورة

لشيء من هذا .. بل لا ضرورة لوجود أى خدم أو
سفرجية على الاطلاق .. لأن البنات سوف يقمن بتنظيف
الفندق وخدمة أنفسهن بأنفسهن .. بل وطهى طعامهن .
والمهم هو فتح الفندق فورا لأن قطارا خاصا يفاد القاهرة
مساء اليوم وهو يحمل خمسمائة من فتيات « الانسا »
والمجنذات البريطانيات الى الأقصر .. ومنها - اذا لزم
الأمر - الى الخرطوم ..

قال توفيق دوس باشا :
- ثم ضحك محدثى من السفارة البريطانية وهو يقول :
ولعلك توافق على انه من غير المرغوب فيه أن نترك وراءنا
فى القاهرة كل هذه المتعة وأسباب السرور غنيمة للجنود
الامان ..



وفتيات « الانسا » فرقة كانت مخصصة للترفيه عن
الجنود البريطانيين فكانت تقيم لهم فى مختلف المعسكرات
حفلات الغناء والموسيقى والتمثيل ..

اذن فقد كان الخطر خطرا حقيقيا ، لا مبالفة فيه ..
وها هى ذى السلطات العليا التى تعرف الحقائق تحرق
أوراقها .. وتسرع وترسل الفتيات البريطانيات المجنذات
بعيدا عن القاهرة - الميثوس من انقاذها - الى الأقصر
منطقة الأمان ولو الى حين ..

ثم انتشرت اشاعة تبين فيما بعد انها خبر صحيح ،
وفحواها ان السلطات البريطانية العسكرية طلبت بالحاح
من الحكومة المصرية افراق غرب الدلتا أو مديرية البحيرة
وما الى جنوبها .. لكى تحول هذه الاراضى الى بحر
من الطين تفوص فيه دبابات الجيش الالماني وعربات النقل
وسياراته ومدروعاته ومصفحاته .. وتغرقل زحف
روميل على دلتا النيل ..

وبدأت الوف من المهاجرين تفد على القاهرة من الاسكندرية والبحيرة وشمال الدلتا . . وارسل الضابط المصرى قائد منطقة الاسكندرية خطابا سريا الى وزارة الحربية المصرية فى القاهرة . . يسالها فيه عما يجب عليه عمله فى حالة دخول قوات المحور من الالمان والايطاليين . هل يجب عليه ان يقاوم هو وجنوده ؟ أم يستسلم ويسلم سلاحه وذخيرته ؟ . .

وعرض الخطاب او السؤال المذكور على وزير الحربية يومئذ المرحوم الفريق حمدى سيف النصر باشا فقال :
- ما تردوش عليه . .

ولكن قائد الاسكندرية عاد وارسل بعد يومين رسالة سرية اخرى كتب عليها « مستعجل جدا » ويكرر فيها نفس السؤال ويلج فى الجواب . . فقال وزير الحربية :

- انقلوا ابن ال . . . ده من اسكندرية وارسلوه حته تانيه وابعثوا واحد تانى محله . . هو عاوز يودينى فى داهية . .

ذلك ان حمدى باشا - رحمه الله - كان يخشى اذا امر قائد الاسكندرية بالمقاومة ثم دخل الالمان ، ان يحاكمه الالمان امام مجلس عسكري . . واذا امره بالاستسلام للالمان ثم نجح الانجليز فى صد الالمان . . ان يحاكمه الانجليز بتهمة الخيانة . .

ومن هنا رفض ان يرد على رسالة قائد منطقة الاسكندرية . .

وفى هذا الجو من التوتر والفرع . . اجتمع مجلس الوزراء برياسة «صاحب المقام الرفيع» مصطفى النحاس باشا وقال رفعتة فى بداية الاجتماع انه رأى بسبب خطورة الحالة وتطورها السريع ان يدعو المجلس للنظر فيما يجب عليه اتخاذه لتأمين سلامة البلاد . .

بينما كان «رفعتة» يؤكد منذ أيام قلائل ان الحالة «مطمئنة» ! وبعد ان تناقش الوزراء طويلا في الموقف وقدروا جميع الاحتمالات قرروا ان يرسل مجلس الوزراء خطابا بامضاء « رفعة » رئيس الحكومة الى المارشال روميل ..

وعهدوا الى الاستاذ نجيب الهلالي باشا بوضع صيغة الخطاب المذكور ، وكتب الاستاذ الوزير الاديب الخطاب المذكور - وقد تكون صورة من هذا الخطاب التاريخي محفوظة في سجلات مجلس الوزراء ..

وقد جاء في الخطاب : ان مصر دولة غير محاربة وان جميع الاجراءات العسكرية التي اتخذتها السلطات العسكرية البريطانية في مصر قد تمت كرها او على غير رغبة من الحكومة المصرية ..

وان مصر حكومة وشعبا تحب السلام وتستمسك به وان حكومة مصر قد اتخذت الآن جميع الاجراءات لحفظ الامن والحيولة دون وقوع أية اضطرابات ..

وهذه هي خلاصة الخطاب المذكور كما استقيتها من اوثق المصادر ..

واتفق رأى مجلس الوزراء على ان يكون رسولهم الذى يحمل هذا الخطاب الى المارشال روميل هو محافظ الاسكندرية وكان يومئذ عبد الخالق حسونة باشا الامين العام - الآن - لمجلس جامعة الدول العربية ..

ونزولا على حكم «البروتوكول» والعرف والتقاليد . وتقديرا لخطورة الحالة وخطورة المهمة قرر المجلس ان يعهد الى أكبر أعضائه سنا وأقدمهم عهدا بالمنصب الوزاري وهو عثمان محرم باشا بالاتصال بمحافظ الاسكندرية عبد الخالق حسونة باشا .. ليبلغه خبر المهمة الجليلة

الخطيرة التي يعهد بها اليه مجلس الوزراء !..

واتصل عثمان محرم باشا بمحافظ الاسكندرية عبد الخالق حسونة باشا وأبلغه قرار مجلس الوزراء وقال ان خطاب رفعة النحاس باشا الى المارشال روميل سوف يرسل اليه مع رسول خاص ..

ولا بد ان السيد عبد الخالق حسونة ففر فاه دهشة وهو يتلقى تفاصيل هذه المهمة العجيبة التي يكلفه بها مجلس الوزراء ..

ولكنه سأل وزير الاشغال :

— وكيف السبيل للوصول الى المارشال روميل ، وتسليمه خطاب رئيس الحكومة ؟..

وأجاب عثمان محرم باشا :

— تركب يا أخى سيارتك وتخرج بها الى ان تقابل روميل وهو قادم في طريقه الى الاسكندرية ..

وهنا لم يستطع السيد عبد الخالق حسونة أن يخفي السخرية من لهجته وهو يسأل أو يتساءل :

— هل حصلتُم يا معالي الباشا من الجيش الانجليزي على تصريح لى بالمرور بسيارتي ؟..

وسكت « معالي » الباشا الوزير ..

وعاد محافظ الاسكندرية يقول :

— ان بينى وبين الوصول الى الجيش الالماني قوات الجيش البريطاني المنتشرة على طول الخط .. وهناك

كذلك اسلاك شائكة وحقول القمام .. ثم ليس من الضروري ان يكون المارشال روميل موجودا في مقدمة جيشه ..

فقد يكون في مقر قيادته في المؤخرة وراء الخطوط .. وسوف يلزمنى في هذه الحالة جواز امان من القيادة

الالمانية بخلاف جواز المرور والامان من القيادة البريطانية فهل فكرتم في هذا كله يا معالي الباشا ؟..

وضاق صدر عثمان محرم باشا بكل هذه الاسئلة وهذه الاعتراضات التي اثارها محافظ الاسكندرية والتي لم تكن موضع بحث أو مناقشة في مجلس الوزراء .. لأن أحدا من أصحاب الرفعة والمعالي الوزراء لم يخطر بباله ان مقابلة روميل ستكون بمثل هذه الصعوبة .. ضاق صدر معاليه فقال :

- على كل حال الخطاب جاى لك .. واحفظه عندك لحد ما تقابل روميل وتسلمه له يدا بيد ..

وعاد محافظ الاسكندرية يسأل :

- ولكن أقابل روميل ازاي ؟ ! ..

وأجاب وزير الأشغال :

- لما يدخل الاسكندرية .. روح قابله واعطى له

الجواب ..

وهكذا انتهت هذه المحادثة التاريخية العجيبة ..

ولحسن حظ السيد عبد الخالق حسونة .. وسوء

حظ التاريخ .. لم يدخل روميل الاسكندرية ويتسلم

الخطاب المهور بامضاء السيد مصطفى النحاس ..

وأنقل هنا من مذكراتي المكتوبة في مساء السبت ٢٧

يونية سنة ١٩٤٢ :

كلمت قواد سراج الدين باشا بالتليفون واتفقنا على

أن نتقابل في «جروبي» الساعة الثامنة مساء .. ولكنه

عاد وكلمنى في منتصف الساعة السابعة واقترح أن

تكون المقابلة في داره في نفس الميعاد ..

وكانت هذه أول مرة أدخل فيها داره الفخمة في جناردن

سيتى ..

وسألنى عما اذا كنت سمعت بخطاب مكرم باشا

فقلت : لا .. لم أسمع شيئا .. قال : ان مكرم باشا

أرسل الى النحاس باشا أول أمس خطابا منه ومن عشرين

نائباً يطلب فيه عقد الهيئة الوفدية في صباح يوم الاثنين
« بعد غد ٢٩ يونية » للنظر والمناقشة في المسائل الآتية :

- ١ - الموقف الحربى الحالى . .
- ٢ - الاستثناءات التى لا تزال الوزارة سادرة فيها . .
- ٣ - التصريحات بتصدير بعض المواد الاولية التى
ترخص بها الوزارة لبعض أنصارها والمحسوبين عليها . .
- ٤ - مراقبة دار مكرم عبيد والحصار المضروب حولها
- ٥ - تحديد مركز مكرم باشا فى الوفد ومنصب سكرتير
الوفد وهذا بسبب تصريحات النحاس باشا فى اجتماعات
عديدة أعلن فيها ان مكرم لم يعد سكرتيراً للوفد . .

ثم قال فؤاد سراج الدين باشا ان النحاس باشا قال
بعد ان قرأ خطاب مكرم انه لن يرد عليه وانه - اى
فؤاد باشا - وافقه على رأيه . . ولكن النحاس باشا
عدل عن رأيه وأرسل الدكتور محمد صلاح الدين لكى
يبلغ رد النحاس باشا وهو :

ان النحاس باشا يطلب من الدين أرسلوا هذا الخطاب
ان يقابلوه لكى يعرف منهم شخصياً الأسباب التى
يريدون من أجلها عقد الهيئة الوفدية . .
ثم . . عن :

- ١ - غير ممكن ان يقول النحاس باشا عن الموقف
الحربى اكثر مما قاله فى مجلس النواب . .
- ٢ - لقد أبدت يامكرم باشا رأيك فى الاستثناءات
وأبدت انا رأيي ، وأيدنى الوزراء فى رأيي . . وهنالك
استجواب مقدم وسوف ينظر فى يوم الاثنين ويمكنك
يومئذ ان تقول كل ما تريده اثناء مناقشة الاستجواب
فى مجلس النواب . .

- وعن ٣ - غير صحيح . .
- وعن ٤ - غير صحيح . .

وأما عن هـ - فانك يا مكرم لست سكرتيراً للوفد ،
لأنك لم تعد سكرتيراً للوفد . . وبناء عليه أرفض طلب
عقد الهيئة الوفدية . .

ثم قال فؤاد سراج الدين تعليقا على خطاب مكرم :
- ان مكرم كان يعرف مقدما ان النحاس باشا لن
يوافق على دعوة الهيئة الوفدية للاجتماع في صباح بعد
غد الاثنين للمناقشة في المسائل التي ذكرها هو وأصحابه
في الخطاب ومنها مسألة الاستثناءات التي قدم عنها
استجابا تحدد لنظره جلسة نفس اليوم الاثنين ، ولكن
مكرم أراد ان يقوم بمناورة بارعة يستبق بها الحوادث
ويبرر موقفه في هذه الجلسة القادمة لأن في نيته أن
يهاجم النحاس باشا ويحمل على الوزارة في الجلسة
المذكورة . . ولكنه يشفق من عتاب العاتبين ولوم اللائمين
ومن أن يقال له : « كيف - وأنت لاتزال عضوا في الوفد
والهيئة الوفدية - كيف تهاجم رئيس الهيئة ورئيسك
وتحمل على وزارة الهيئة التي تنتمي اليها ؟ » ومن هنا
أرسل خطابه لكي يمكنه أن يقول للعاتبين واللائمين :
« لقد حاولت أن أناقش مصطفى باشا في هذه المسائل
في الهيئة الوفدية أي في اجتماع عائلي فيما بيننا ولكنه
رفض . . فلا تلوموني اذن اذا تكلمت علانية في جلسة
مجلس النواب » . .

هذه هي مناورة مكرم البارعة ، لأنه كان يعرف مقدما
ان النحاس باشا لن يوافق على عقد الهيئة الوفدية . .
وكنت ذكرت رأي الاستاذ فؤاد سراج الدين وهو انه
كان يرى ان من الاصوب فصل مكرم عبيد من الوفد
« الآن » أثناء وجود النحاس باشا في رئاسة الوزارة وفي
يده سلطات الرقابة المفروضة على النشر والصحافة خير
من السكوت عليه ، اذ قد يضطر الوفد فيما بعد الى

فصله ، وقد يكون النحاس باشا يومئذ خارج الحكم ولاسلطان له على الرقابة ولاسلطة له في منع نشر ما لا يرضيه اذا حمل عليه مكرم في الصحف ..

ولقد عاد فؤاد باشا هذا المساء - مساء ٢٧ يونية - الى نفس الموضوع ونفس المعنى ، فقال :
- ان مكرم لايزال عضوا في هيئة الوفد ، ولهذا السبب فان مهاجمته او الحملة عليه ليست ممكنة الآن ، بل ان اعضاء الهيئة الوفدية والوفديين جميعا الموالين المخلصين للنحاس باشا يسكون بأعصابهم والسنتهم ولا يسمحون لأنفسهم بالحملة عليه احتراماً منهم لعضويته في الوفد والهيئة الوفدية ولكن يوم يعلن فصل مكرم من الوفد فان المانع يزول وتنطلق السنة الجميع ضد مكرم عبيد ..

وانتهى فؤاد سراج الدين من الحديث عن خطاب مكرم عبيد ..

وكنت اصفى اليه وانا اعجب كيف يمكن لرجال مصر المسئولين ان يشغلوا انفسهم بأمر الخلاف بين النحاس ومكرم .. وجيوش روميل تطرق أبواب مصر ، ودلتا النيل مهددة بالخراب ؟

وقلت لفؤاد باشا اننى زرت حسنين «رئيس الديوان الملكى» هذا الصباح ووجدته مشغول البال على ابنه هشام الذى اجريت له اول أمس عملية المصران الاعور ، واتنى فهمت من حديث حسنين ان كل من فى القصر - من الملك الى اصغر فرد فى الحاشية - جميعهم خائفون جزعون قلقون من تطور الموقف الحربى من سيىء الى أسوأ .. وانهم جميعا يتساءلون عن نوايا الانجليز وخطتهم والى اى مدى ينوون الدفاع والمقاومة ؟ هل يذهبون فى هذا المدى الى حد نقل الحرب الى دلتا النيل معتمدين

كما قال أحد نقادهم العسكريين على فروع النيل وقنواته
في تعطيل زحف الألمان ..

ثم سألته : لم لا يطلب النحاس باشا مقابلة الملك
شخصيا لكي يبلغه آخر تطورات الحالة ويطمئنه ان كان
عند رفعته أسباب تدعو الى الاطمئنان؟ ووافقني فؤاد
باشا على رأيي وقال انه يجب مقابلة النحاس للملك وانه
اذا كان النحاس لم يطلب حتى اليوم مقابلة فاروق ،
فذلك 'لانه كان يخشى أن يرفض فاروق مقابلته أو يسوف
فيها كما سبق أن حدث ..

ثم قال انه سيقابل النحاس باشا الآن لانهم مدعوون
عند الاستاذ حسن يس لتناول العشاء وسوف يقول
لرفعته ان هذا هو رأيي من غير أن يدخل في التفاصيل .

وتركت فؤاد سراج الدين وعدت الى داري ، ومنها
سألت بالتليفون عن حسنين باشا فقيل لي انه لم يعد بعد

وكلمني هو بالتليفون في منتصف الساعة الحادية عشرة
مساء .. ورويت له ما دار بين فؤاد باشا وبينى ..
وانني اقترحت أن يطلب النحاس باشا مقابلة الملك ..
الى آخره .. الى آخره ..

وقال حسنين : عال خالص ..

وشكرني بحرارة ..

وأصبحنا يوم الاحد ٢٨ يونية ..

وكلمت صبرى أبو علم باشا في مسألة تخص أحد
الزملاء الصحفيين وكان الزميل المذكور وسطني فيها
لدى صبرى أبو علم باشا رحمه الله

وعرفت من صبرى باشا أثناء الحديث ان « رفعة
الرئيس » موجود الآن مع جلالة الملك .. وان رفعته كان
« التمس » المقابلة هذا الصباح فأجيب طلبه في الحال ..
واستقبله فاروق في نفس الصباح ..

وكلمت حسنين في مكتبه بالقصر وسألته عن الحالة فقال : « أيوه .. وصاحبك هنا - يقصد النحاس باشا - لكن اظن فات الوقت لأن الاخبار وحشة .. وبعدين أقول لك » .

و « الاخبار الوحشة » التي كان يشير اليها لابد ان تكون اخبار الواقعة الحربية الدائرة عند مرسى مطروح . ولم يكن في امكان حسنين ان يفسر اكثر من ذلك بالتليفون .. لأن موظفي تليفونات قصر عابدين - كما كان قد قال لي هو بنفسه - كانوا ينصتون للاحاديث وينقلون الاخبار التي يسمعونها .. ؟

ثم عاد حسنين وكلمني بالتليفون في ساعة متأخرة من المساء وكنت في داري .. وقال : ان النحاس لم يطلع الملك في مقابلة الصباح على شيء جديد .. وانه وان تكن الاشاعات مزعجة .. الا ان اخبار «أخواننا» هنا مطمئنة

ولم يزد على هذا .. وكعادتي معه لم ألح في الاستفسار أو طلب المزيد من التفاصيل ولا أعرف من هم الذين يقصدهم «باخواننا» ؟ هل يقصد الانجليز ، أم يقصد النحاس باشا ووزرائه ؟ ..

ولم يكن في نيتي أن أخرج هذا المساء ، ولكنني ذهبت الى جريدة الاهرام لكي أسأل عن آخر الاخبار الواردة من جبهة القتال .. وقابلت في مكتب رئيس التحرير الدكتور محمود عزمي والسيدة قرينته ..

وقالت السيدة أو على الأصح سألتني : ما اذا كنت سمعت ان فلانا قد طلق زوجته فلانة ؟ ..

وفلان هذا كان من نجوم السينما وأبناء الدوات وقد توفاه الله منذ سنوات .. أما فلانة فلا تزال على قيد الحياة .. قلت انني لم أسمع شيئاً عن هذا الطلاق ..

قالت السيدة حرم الدكتور محمود عزمي ان فلانة

هذه هي الآن «صديقة» الجنرال ريتشى قائد الجيوش
البريطانية في الصحراء الغربية.. وأن الجنرال لم يسافر
الى الميدان بل يدير المعركة بالتليفون ، والى جانبه
صديقه فلانة المذكورة ..

وقال المرحوم محمود عزمى :

- على كل حال الثابت ان الجنرال ريتشى كان يزور
الاسكندرية مرة في كل اسبوع وينزل بفندق بوريفاج
حيث كانت تقابله فلانة المذكورة ..

وقلت أنا ان الاشاعات كثيرة عن فلانة هذه ومعظمها

غير صحيح ..

ثم سألت الدكتور محمود عزمى عن رأيه في الحالة ،
وفي دفاع الانجليز ؟ فقال : ان الانجليز ينوون الدفاع
عن مصر الى آخر رمق وان خطتهم وخطوط دفاعهم هي :

١ - مرسى مطروح ..

٢ - الضبعة ..

٣ - الخطاطبة « في مديرية البحيرة » ..

٤ - من الاهرام الى الزمالك ..

٥ - قناة السويس ..

قلت : والاسكندرية .. والقاهرة ؟ ..

قال : لم يتخذ بشأنهما بعد أى قرار ..

قلت : على أى حال اذا كانت هذه هي خطة الانجليز

فانها تعنى خراب مصر ..

قالت السيدة حرم محمود عزمى :

- نعم .. الدفاع شبرا شبرا كما فعل الروس في

مدينة سياستبول ..

وانقل عن مذكراتى بتاريخ ٢٩ يونية عام ١٩٤٢ :

الحالة تزداد خطورة ، واشاعات مزعجة تملأ البلد ..

وسمعت اليوم من مصادر مختلفة ان الانجليز استطاعوا

ان يردوا قوات المحور عند مرسى مطروح وان يرغموها على التقهقر مسافة عشرة كيلومترات وأن يأخذوا منها خمسة عشر ألف أسير ..

ثم اعلنت وكالات الانباء في المساء ان شيئاً من هذا لم يحدث ، وان الذى حدث فعلاً هو سقوط مرسى مطروح فى ايدى قوات المحور من الالمان ..

ومررت بجريدة الاهرام ودخلت غرفة رئيس التحرير الاستاذ انطون الجميل ، وكان بين الموجودين الاستاذ توفيق اليازجى «المعروف بميوله المحورية» وكان الحديث بينهم عما عسى ان يفعل الملك فاروق وهل هو يحاول الهرب من مصر خوفاً من ان يرغمه الانجليز على الخروج معهم عند انسحابهم ؟

وقلت للحاضرين ما اعرفه وهو ان الانجليز اقاموا حول الملك مراقبة شديدة دقيقة حتى لا يكاد ينتقل من قصر الى قصر الا وعندهم الخبر ..

وكان الاستاذ توفيق اليازجى يتسم ابتسامة هادئة ناعمة .. وقالت سيدة من الموجودين ان الامبراطورية البريطانية قد شاخت ودب الانحلال فى عظامها تماماً مثل روما فى آخر عهدها بالمجد والسلطان .. فقد كانت روما عندما اشرفت على نهايتها .. كانت تحارب بأبناء جميع أمم الارض الا أبناء روما .. وكذلك الحال اليوم مع بريطانيا التى تخوض المعارك وتحارب بجنود من استراليا ونيوزيلندا والهند وبورما وجنوب افريقيا وفلسطين ، بل ولبنان « وكان فريق من أبنائه قد التحق بقوات ديجول الحرة » .. ولكنك تبحث عن جنود الانجليز فلا تجدهم ..

وحدثت مساء اليوم فى مجلس النواب فضيحة ، ولا أعنى ان الاستثناءات كانت فضيحة .. وهى قد كانت

كذلك . . ولكننى اقصد أن نظرها والمناقشة فيها في هذا اليوم وهذه الظروف بالذات هي التي كانت فصيحة . .
فبينما الجيوش تتطاحن على أبواب مصر، ودوى المدافع والقنابل يسمع بوضوح في الاسكندرية وطائرات جيوش المحور تحلق فوق الاراضى المصرية . . أصر رئيس الوزراء النحاس باشا عند افتتاح جلسة مجلس النواب على نظر الاستجوابات المقدمة عن الاستثناءات وغيرها رغم أن أصحاب هذه الاستجوابات طلبوا تأجيل النظر فيها مراعاة للحالة وتقديرا منها لخطورة الموقف . .

ولكن « رفعة الرئيس » أصر على نظرها . .
وقامت « خناقة » حامية بينه وبين مكرم عبيد . .
وأعلن النحاس باشا في الجلسة أمام النواب ان مكرم لم يعد سكرتيرا للوفد . .
٣. يونية عام ١٩٤٢ :

وكان للأقاويل والاشاعات التي ينشرها في القاهرة المهاجرون القادمون من الاسكندرية والبحيرة ، أثرها في الجمهور ، فقد انتشر الدعر بين سكان القاهرة . .

وكلمت النحاس باشا بالتليفون وتحدثت اليه عن جلسة أمس وأبدت رأى في الطريقة التي نشرت بها جريدة « المصرى » ما دار في الجلسة المذكورة . .

ثم سألته عن الحالة ، فقال : انها مطمئنة وليس فيها ما يدعو للدعر والقلق . .

وكلمت فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون وعرفت منه انه لم يكن في نية الانجليز أن يدافعوا عن مرسى مطروح وان قرار التخلي عنها والانسحاب منها كان معروفا للوزراء منذ أربعة أيام . . وان خط دفاع الانجليز هو عند العلمين « وقد كتبتها في مذكراتي بالألف «العالمين» لأننى لم أكن قد سمعت بهذا الاسم من قبل . . »

وعرفت في المساء من الاستاذ انطون الجميل ان قوات
المحور قد اجتازت مرسى مطروح وجاوزت فوكة والضبعة
وأمتت أمام العلمين ..

أول يولية عام ١٩٤٢ :

الذعر شديد .. والإشاعات كثيرة ..
والجمهور يحاصر محال البقالة ومواد التموين لكي
يشترى منها حاجته ويخزنها للطوارئ .. واضطر محل
بقالة «لاباس» في شارع قصر النيل ان يغلق أبوابه بسبب
شدة الزحام ..

ونفذت في يومين اثنين جميع الدراجات والبسكليتات
من محال بيعها في القاهرة فقد أقبل الجمهور على شرائها
بسبب اشاعة تقول ان الانجليز سوف يحرقون مستودعات
البنزين قبل انسحابهم حتى لا تقع في ايدي الالمان ..
ومعنى هذا أنه سوف يستحيل استعمال السيارات في الانتقال

ومن اشاعات اليوم ان الانجليز طلبوا من الملك الانتقال
الى فلسطين .. بل الى أسيوط .. بل الى السودان
ومعه الوزارة .. اشاعات كثيرة مختلفة ..

ولكن هناك خبرا أكيدا واحدا وهو ان الانجليز
رفضوا ان يعلنوا ان القاهرة مدينة مفتوحة .. وكنت
سمعت هذا الخبر من احدى اذاعات راديو برلين منذ
يومين ..

ومعنى هذا انهم سيدافعون عن القاهرة وسيدور
القتال في القاهرة من حي الى حي ، ومن شارع الى شارع
بل ومن عمارة الى عمارة .. وسمعت كذلك ان الانجليز
نصبوا اوكار المدافع على طول شارع الهرم ، وبعض اوكار
المدافع هذه قد أقيم خلف بعض الدور والفيلات في
الشارع المذكور ..

وكانت النتيجة ان هجرها أصحابها .. الى مساكن

أخرى فى القاهرة أو فى الريف .
وذاع اليوم أن مسيو كابسييس أوزير المفروض لحكومة
اليونان الحرة قد غادر مصر هربا من قوات المحور . .
وكذلك مسيو جاكيه وزير بلجيكا المفوض . . ثم عدت
وسمعت أنهما لم يهربا بل أعدا فقط جوازات سفرهما .
وذاع فى المساء أن قوات الاحتلال قد وصلت الى
العامرية والمكس ، وأن شركة مصر للطيران قد أوقفت
سفر طائراتها الى الاسكندرية . .
وأن مستر كازى وزير الدولة فى الشرق الاوسط غادر مصر
عقد البرلمان بمجلسيه : مجلس الشيوخ ، ومجلس
النواب ، جلسة سرية أعلن فيها النحاس باشا :

- ١ - مصر حصلت على فطاء الذهب . .
- ٢ - فى كل بلد مؤونة تكفيها لمدة شهر واحد . .
- ٣ - الانجليز رفضوا الموافقة على جعل القاهرة
مدينة مفتوحة . . ولكن الوزارة اتخذت كافة الاجراءات
وقامت بجميع اللازم لتأمين المدنيين وحمائهم . .
- ٤ - كذب « رفعتة » الاشاعات الخاصة بانتقال الملك
والحكومة الى أى بلد آخر . .
وأقف هنا قليلا - وأترك مذكراتى - وأروى حديثا
قصيرا سمعته من أمين عثمان باشا بعد ذلك بعام أو
نحو ذلك . . فى عام ١٩٤٣ . .
وكان المرض قد اشتد على رفعة النحاس باشا فى عام
١٩٤٣ حتى خيف على حياته وزارنى ذات يوم صديق
لى كان يومئذ مديرا لمكتب أمين عثمان وزير المالية وقال
لى أن أمين باشا يهमे أن يعرف رأى فيمن سوف يتولى
زعامة الوفد بعد النحاس باشا . . اذا أصابه مكروه
لاسمح الله . . وأن أمين باشا يريد أن يزورنى ويتحدث
الى فى هذا الموضوع . .

وذا رنى فعلا أمين عثمان فى مكتبى بمجلة «آخر ساعة»
ولكنه لم يعرض فى حديثه لموضوع الزعامة ورئاسة الوفد
والى من تؤول بعد النحاس باشا . .
ولعله كان عرف رابى مما كنت قلته لصديقى مدير
مكتبه ، بل جلس يتحدث عن العام الماضى وحوادثه ،
وأزماته - عام ١٩٤٢ - وأيام العلمين . . وكان مما قاله
- وهو ما يخالف قول النحاس باشا أمام مجلس البرلمان
- ان الانجليز طلبوا فعلا من النحاس باشا مغادرة مصر .

قال أمين عثمان باشا : ان السفير البريطانى مايلز
لامبسون زار النحاس باشا أيام اشتداد الخطر وقال له
ان الحكومة البريطانية تنصح لحكومة جلالة ملك مصر
بالانتقال الى الخرطوم . . خصوصا ان السودان أرض
مصرية « كذا ! » فلن يضرها فى شىء أمام الشعب ان
تنتقل من جزء من مصر الى جزء آخر من مصر . .

ومضى المرحوم أمين عثمان فى روايته يقول : ان النحاس
باشا استطاع ان يتخلص بلباقة من هذا الاحراج اذ قال
للسفير انه وأعضاء الوزارة رهن مشيئة الملك فاذا قرر
جلالته مغادرة مصر الى السودان فانهم سوف ينتقلون
معه . . واذا قرر البقاء فى مصر فانهم باقون معه . .
وكان النحاس باشا قد اتفق سرا مع فاروق على
البقاء وعدم مغادرة البلاد . .

هذه رواية المرحوم أمين عثمان . . وأنا أصدقها . .
بل لعل اتفاق النحاس مع فاروق على البقاء فى مصر
وعدم الهرب . . لعله يفسر سر الخطاب العجيب الذى
أمر النحاس باشا باعداده . . وارساله الى المارشال
روميل مؤكدا فيه ان مصر لا ناقة لها فى الحرب ولا جمل
. . وانه وزملاءه كانوا مكرهين مرغمين على التعاون مع
الانجليز ! . .

وأعود الآن الى مذكراتي .. وانقل منها :

يوم ٢ يولية عام ١٩٤٢ :

خف اللعز قليلا في الصباح ، ثم عاد واشتد في المساء
فقد اذاعت محطات الاذاعة في برلين وروما وانقرة «وكانت
تركيا يومئذ محورية تشيد بانتصارات هتلر ثم عادت
وانقلبت عليه وامست امريكانية بريطانية » ..
اذاعت المحطات المذكورة ان قوات المحور اخترقت
استحكامات العلمين وانها تطارد الجيش البريطاني في
انحاء الدلتا ..

ثم نفت شركة روتر الخبر المذكور ..

وعرف اليوم ان السفير البريطاني قابل الملك .. وانه
طلب من جلالتة مفادرة القاهرة .. ولكن الى أين ؟ ..

ثم قابل السفير النحاس باشا وطالت المقابلة اربع
ساعات وانعقد بعدها مجلس الوزراء ودام الاجتماع الى
الساعة الواحدة صباحا .. وسمعنا في نفس المساء ان
النحاس باشا هائج ساخط على الانجليز لانهم لم يفوا
بعهودهم ووعودهم له ومنها مثلا عدم تدمير المنشآت ،
مثل القناطر الخيرية والكبارى ومستودعات البترول ..
الى آخره ..

وكان «رفعته» أعلن في الجلسة السرية التي عقدها
البرلمان انه أخذ وعدا بذلك من الانجليز ولكن يبدو أن
السفير مايلز لامبسون عاد وراوغ في الوعود التي كان
اعطاها ولهذا السبب هاج النحاس وثار ..

ومررت في المساء بجريدة الاهرام جريا على عادتي
في الايام الاخيرة .. وبينما نحن نتحدث في الحالة دخل
أحمد الالفى عطية وقطع علينا حديثنا لكي يسألنا :

— أنا طول عمري محسوبكم .. ترجمتها ايه باللفة
الامانية ؟ ..

وضحكنا .. وقال انه كان كتب خطابا مفتوحا الى هتلر ونشرته « الازهرام » .. وكان خطابا قليل الادب ..
وانه نادم الآن .. وهل ينفع الندم ؟ ..
وكان النحاس باشا دعانى لمقابلته فى الساعة العاشرة مساء فى دار فؤاد سراج الدين بجاردن سيتى ، ولكنى لم اذهب بسبب طول اجتماع الوزراء ، وقد دامت الجلسة الى الساعة الاولى صباحا ..
وعرفنا اليوم ان ذهب مصر لايزال فى البنك الاهلى ..
مع ان النحاس باشا كان اعلن فى جلسة البرلمان ان ذهب مصر فى ايد مصرية وحراسة مصرية ..
« هذا ما وجدته مسجلا فى مذكراتى ، ولا اذكر اليوم ماذا كنت اقصد بالبنك الاهلى ؟ هل البنك الموجود بشارع قصر النيل بالقاهرة ؟ .. ام مركز البنك الاهلى القائم فى لندن ؟ » ..

وعرفنا كذلك ان الجنود البريطانية هى التى تتولى حراسة القناطر الخيرية ابتداء من اليوم .. لماذا ؟ لا بد ان الغرض هو نسفها وتدميرها عند انسحابهم لكى يفرقوا دلتا النيل او يحيلوها الى بحر من الوحل ..

وانقل عن مذكراتى بتاريخ ٣ يولية عام ١٩٤٢ :
كنت انوى السفر اليوم الى رأس البر ، وقد أعددت فعلا حقيبتي .. ثم كلمت وزير التجارة الاستاذ محمود سليمان غنام بالتليفون وسألته عن « الحالة » فقال انها « وحشة » وان الانجليز انما تولوا حراسة القناطر الخيرية لكى يدلوا سياراتهم التى تمر هناك على الطريق ! لا بد انه يعتقد اننى ساذج ابله حتى اصدق مثل هذا التفسير ..

وكلمت زميله وزير التموين الاستاذ احمد حمزة ، فقال : « الحالة وحشة » وربنا يلفظ ولما سألته عن

سبب حراسة الجنود للقناطر الخيرية قال انهم يتولون حراستها لكي يقاوموا جنود «الباراشوت» - المظلات - الالمان في حالة ما اذا حاول هذا السلاح الاستيلاء على المنشآت المصرية ، لأن جنود الجيش المصرى مشغولون الآن بحفظ الامن في الاقاليم ..

ومضى الاستاذ احمد خمزة يقول :

- هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فانه اذا هبط جنود المظلات وقاومهم الجيش المصرى اشتبكت مصر في حرب مع دولتى المحور.. ولهذا السبب رأى الانجليز أن يتولوا حراسة القناطر الخيرية بأنفسهم .. انتهى كلام الوزير.. ومعناه أن الانجليز يشفقون من اشتباك مصر في حرب مع المانيا ، ويحرصون على تجنب مصر خطر دخول الحرب ضد المانيا ..

ولكن من الذى يصدق هذا الكلام ؟ وهل قبل وزراؤنا هذا السبب وصدقوه ؟

ثم كلمت فؤاد سراج الدين بالتليفون فطلب منى أن أمر عليه ..

ومررت عليه ودار بيننا حديث طويل الخصة فيما يلى : قلت له : ان الملك يود ان ينحى النحاس باشا عن رئاسة الوزارة لكي يتولاها من هو أقدر منه على التفاهم مع الالمان ولكنه يخشى أن ينتقم منه الانجليز لأنه نحى « رجلهم » عن الحكم .. فهل فكر النحاس فى تأليف وزارة قومية قادرة على مواجهة الموقف ؟ أو فكر فى التنحى من تلقاء نفسه عن الحكم لكي يفسح الطريق أمام سواه من الدين - كما يقول الملك - لم يتورطوا فى تأييد الانجليز ؟

وقال فؤاد سراج الدين ان النحاس باشا يطلع الملك الآن أولاً بأول على تطورات الموقف وكل شىء ولا يخفى عنه شيئاً ..

أما الوزارة القومية فان رفعته لا يفكر فيها ولا يقبلها ولا يوافق عليها مطلقا لأنه يرى ان قبوله لها يناقض ما سبق أن قاله ضدها ..

ولقد دار البحث أمس في اجتماع مجلس الوزراء في دعوة الجبهة الوطنية « وهي الهيئة الممثل فيها زعماء جميع الأحزاب السياسية في مصر وجماعة المستقلين والتي تولت المفاوضات مع إنجلترا في عام ١٩٣٦ وانتهت الى عقد المعاهدة المعروفة » .. ولكن اعترض على دعوة الجبهة المذكورة بما يأتي :

١ - في دعوة الجبهة انتقاص من قدر ومكانة البرلمان القائم ، لأن دعوتها تعنى ان هذا البرلمان لا يمثل الأمة التمثيل الكافي ..

٢ - جميع أعضاء الجبهة الوطنية موجودون فعلا اما في مجلس الشيوخ واما في مجلس النواب ما عدا أربعة أو خمسة ، منهم : اسماعيل صدقي ، واحمد ماهر ، والنقراشي . وهذان الاخيران لهما ممثلو حزبيهما السعدى في البرلمان ويستطيعون مناقشة الحكومة في كل شيء ..

٣ - نفرض ان البرلمان قرر أمرا ، وقررت الجبهة أمرا آخر ضده ، فماذا يكون الحل والرأى ؟

مضى فؤاد سراج الدين في كلامه أو في بيانه فقال :

- ان النحاس باشا لن يستقيل ولن يتنحى من تلقاء نفسه عن الحكم ، واذا شاء الملك فليقله .. ولو انهم جميعا يتمنون ترك الحكم من كل قلوبهم ، أو على الاقل أن يشترك معهم سواهم في تحمل المسؤولية .. « وبدل ما تبقى ١٤ وزيراً تبقى حتى ١٤ » .. ولقد قال محمود غنام أمس في اجتماع مجلس الوزراء : « ياريت يا اخواننا يريحونا من مسؤولية الحكم .. أو حتى يعتقلونا .. »

وأما لماذا يرفض النحاس باشا أن يستقيل ، فذلك لأنه ظل ثلاثة أعوام أى منذ قيام الحرب يطالب بالحكم للأغلبية - أى له وللوفديين - بحجة أن البلد في ظروف حرب خطيرة وأن الأغلبية هي التي يجب أن تتولى الحكم وتمسك بالدفة وتقوم السفينة إلى بر الأمان . . فهل إذا جد الجدد وحل الخطر يتنحى الربان ويترك السفينة وسط الأنواء ويهرب ؟ . .

واستطرد فؤاد سراج الدين يقول : أنه إذا دخل الألمان مصر فإن النحاس باشا سوف يقول لهم أننا دولة غير محاربة . وأنه إنما نفذ المعاهدة التي كان أمضاها منذ ست سنوات مع الإنجليز وأنه بذلك حفظ كلمة مصر وشرف أمضاها فهو لم يفعل إلا ما يفعله كل سياسي شريف

وسوف يقول لهم كذلك أنه قاوم كثيراً من المطالب الإنجليزية وأبى عليهم أن يجر مصر إلى الحرب مهما كانت الظروف بعكس على ماهر الذي كان يريد غداة قيام الحرب أن تعلن مصر الحرب ضد ألمانيا . . والذي وعد الإنجليز بعد ذلك بدخول مصر الحرب ضد دولتي المحور «إذا توغلت قوات المحور في الأراضي المصرية مبتدئة» . .

وهذا الشرط قد تحقق وبناء عليه كانت مصر قد دخلت الحرب الآن ضد دولتي المحور لو كان على ماهر بقى حتى اليوم رئيساً للوزارة . .

ثم قال أنه متعب من العمل وأنه لم يستطع أمس حضور حفلة قران شقيقه ، بسبب انهماكه في العمل وطول جلسة مجلس الوزراء التي لم تنته إلا في الساعة الثانية صباحاً . .

ولما ذهب بعدها إلى « بيت الفرج » وجد أن المصابيح قد أطفئت وكل شيء قد انتهى . .

وانه ينام الآن والتليفون الى جانبه ، لأن الحالة خطيرة خالص .. ثم نصحني بأن أسحب أموالى من البنوك ..
وضحكت وقلت ان جيب «جاكتى» يتسع لأموالى كلها وهنا قال :

— والله الواحد مش عارف يعمل ايه بفلوسه الللى فى البنوك ؟ فأشرت عليه بما كنت سمعته فى حجرة رئيس تحرير الاهرام انطون الجميل وهو انه يحسن بأصحاب الاموال «السائلة» أن يشتروا بأموالهم هذه أسهم شركات صناعية أو أراضى لأنه اذا نجح الانجليز فى صد الالمان ارتفعت قيمة الاسهم .. واذا دخل الالمان مصر هبط سعر الجنيه الاسترلينى — والجنيه المصرى .. بالتبعية — الى الحضيض .. وارتفعت أسعار الاسهم بطبيعة الحال وبنسبة هذا الهبوط ..

وهز فؤاد سراج الدين رأسه ، وبدأ عليه انه لم يفهم هذه النظرية الاقتصادية .. ولا أنا .. فهمتها ..

ألقى مستر تشرشل فى مجلس العموم خطبة طويلة نقلها البرق الى مصر .. حوالى منتصف الليل .. وكان مجلس الوزراء مجتمعاً فى تلك الساعة ولكن الوزراء لم يطلعوا على الخطبة ولم يسمعوا بما جاء فيها مع ان فى غرفة سكرتيرية الدكتور محمد صلاح الدين جهازاً خاصاً لنقل برقيات روتر ..

ولو ان تشرشل كان اعلن مثلاً عزم بريطانيا على الانسحاب من مصر لما كان وزراءنا سمعوا بالنبا ، ولظلوا يتناقشون فى الحالة وهم فى جهل تام بما يدور ..

وجاء فى خطبة تشرشل المذكورة :

- ١ — ان هذه المعركة بدأت فى يوم ٢٦ مايو ..
- ٢ — كان الانجليز على أتم استعداد ، وكانوا ينوون

البدء بالهجوم ولكن الالمان سبقوهم بأيام معدودة، الى الهجوم ..

٣ - كانت قوة سلاح الطيران أقوى من قوة سلاح الطيران الالمانى بنسبة ٨ الى ٥ ، وقوة دبابتهم أقوى من دبابت الالمان بنسبة ٧ الى ٥ ومع ذلك خسروا المعركة وهزموا امام الالمان ..

والنتيجة ان الالمان لم ينتصروا بسبب تفوقهم في السلاح او في العدد ، وانما انتصروا بسبب علو الروح المعنوية عندهم .. وبفضل قيادتهم البارعة الحكيمة ..

وكانت قيادة الجيش البريطانى فى يد جنرال ريتشى الذى كان يدير المعركة بالتليفون تارة من القاهرة وتارة من الاسكندرية والى جواره صديقتة المصرية الحسنة ا

وسمعت من الاستاذ انطون الجميل ان تدهور الروح المعنوية وانعدام النظام فى صفوف جنود بريطانيا كانا بدون شك من أسباب الهزيمة وخسارة المعركة ..

وقص على طرائف ومنها :

- نقلنا عن الاستاذ توفيق دياب - وقد اقسام صديقنا الكاتب الكبير على صحة الرواية - ان أحد الفلاحين فى مركز منيا القمح اشترى مدفعا رشاشا من الجنود البريطانيين

- نقلنا عن الاستاذ مصطفى أمين - ان جنديا هنديا كان يسير فى الشارع وهو يدفع امامه فردتى «كاوتش» للسيارة وقد عرضهما على صديقنا بدولارين اثنين ..

- نقلنا عن الاستاذ حسين أبو الفتح - ان بعض الضباط البريطانيين أبدى استعداده لأن يورد له أى عدد يشاء من سيارات الجيش البريطانى بسعر مائتى جنيه للسيارة الواحدة ..

- نقلنا عن الاستاذ حفى محمود - ان سيارة حربية

حضرت مرة من السويس الى القاهرة لكي تشتري ورق
ابر و « جلاس وجاتو » من جروبي . .

— ان جنود البوليس الحربى البريطانى — اثناء طوافهم
بالمحال العامة — طلبوا من بعض الجنود الذين كانوا
يرقصون فى قاعة الرقص «بجروبي» أن ينصرفوا الى
تكناتهم لأن الساعة جاوزت التاسعة مساء ، ولكنهم
رفضوا واستمروا فى الرقص . . !

وكلمت حسنين باشا بالتليفون وقلت له اننى انوى
السفر الى رأس البر لأستريح فيها بضعة أيام ، ولكنه
صرخ فى وقال : انت اتجننت والا ايه ؟ . .

ثم نصحنى بعدم السفر الآن الى أن ينجلي الموقف ،
وقال :

— يظهر أن العلمين كمان سقطت فى أيدي الالمان . .
والانجليز ينوون تنفيذ خطة التدمير الشامل التام ومنها
نسف الكبارى وقد تقطع خطوط المواصلات فى ساعات
معدودة . . فكيف تسافر ياسى محمد الى رأس البر ؟
عدلت عن السفر الى رأس البر . .

ولما كان مسكنى فى الزمالك ، وقد يدمر الانجليز الكبارى
وهكذا تقطع المواصلات بين الجزيرة والقاهرة فقد رأيت
أن من الخطر العودة الى مسكنى ، ومن ثم ذهبت
بحقائبي الى فندق فى المدينة وحجزت لى غرفة فيه . .

مررت على جريدة الاهرام وقابلت مصطفى أمين الذى
قال لى ان مسستر كيرك وزير امريكا المفوض ورجال
المفوضية غادروا القاهرة . . وان اشاعة سفر أمين عثمان
باشا صحيحة لأنه صحب أسرته الى فلسطين ثم عاد اليوم

وانه — اى مصطفى أمين — قابل جنرال ستون أمس
وان ستون قال له ان النحاس باشا أعصابه تعبانة . .

فقد اجتمع به أمس وكان معهما السفير مايلز لامبسون
ومستشار السفارة سمارت . وقد تكلم السفير ربع
ساعة ، وتكلم هو - أي ستون خمس دقائق - وتكلم
سمارت دقيقتين - أما النحاس باشا فقد تكلم ثلاث
ساعات ..

وقال جنرال ستون ان تدمير المنشآت أو عدم تدميرها
مسألة تبت فيها وزارة الحرب وان القيادة هنا لا تملك
حق اتخاذ قرار فيها .. ثم قال انهم اذا كانوا وعدوا
النحاس باشا بشيء ما منذ يومين فان الأمور تتطور من
يوم الى يوم ، والوعد الذي يعطى في ضوء حالة ما في
يوم ما قد يجوز نقضه في ضوء حالة جديدة ..

وقال لى مصطفى أمين كذلك : ان سفيرنا في لندن
حسن نشأت باشا أرسل تلغرافا يقول فيه : انه نظرا
لاحتمال دخول قوات المحور مصر وانقطاع الاتصال بينه
وبين مصر ، فانه يطالب بإرسال خمسين ألف جنيه
لتغطية نفقات السفارة لمدة عامين .. وقد أرسل اليه
المبلغ المطلوب ..

وساد الذعر في الأوساط المالية ، وهرع الناس الى
البنوك يسحبون أموالهم المودعة فيها . ويظهر ان البنك
الأهلى تأثر أكثر من سواه وقد لجأ مديره الى وزير المالية
ليجد له مخرجا من هذا المأزق ..

وقال لى أحد موظفى وزارة المالية ان وزيرها كامل
صدقى باشا أشار على مدير البنك الأهلى - ولكن بصفة
غير رسمية - أن يوعز الى بعض موظفى البنك بالاتقطاع
عن العمل .. أو بالتغيب بسبب المرض .. أو حتى
بالإضراب عن العمل .. لكى يتخذ من غيابهم وقلة عدد
الموظفين الموجودين علرا يبرر به عدم استطاعته صرف
جميع المبالغ المطلوبة سحبها من البنك ..

وأنتقل عن مذكراتي بتاريخ السبت ٤ يولية ١٩٤٣ :
قابلت أحمد الوكيل صباح اليوم في «جروبي» وقلت
له : « قل لي بقى ايه الاخبار اللى ما قالهاش مصطفى
باشا للوزراء ؟ »

فقال : الانجليز طلبوا منه أن ينتقل معهم هو والوزارة
ولكنه رفض وقال لهم : انه قاعد في البلد واللى يجرى
على البلد يجرى عليه .. فتضايق الانجليز منه وبدأوا
معه سياسة « القريفة » ..

وذهبت الى مكتبي في محلة « آخر ساعة » فوجدت
انطون الجميل ينتظرني ، ورويت له ما سمعته فقال :
ان الخبر صحيح وان الوزراء الذين تصدوا لنفى الخبر
اما انهم كاذبون واما انهم لا يعرفون الحقيقة لأن مصطفى
النحاس اخفاها عنهم ، والحقيقة هي ان السفير البريطانى
عرض الأمر بلباقة على الملك فاروق فقال له : ان الخطر
محتمل وان الالمان قد يدخلون مصر وفي هذه الحالة ،
ربما فكر جلالة الملك في الانتقال الى مكان آخر ، فاذا
استقر رأى جلالتة على هذا فانهم - أى الانجليز -
مستعدون لأن يقدموا لجلالتة جميع التسهيلات ويضعوا
خدماتهم تحت تصرفه ولجلالتة أن يختار المكان الذى
يشاء .. وقد رد فاروق شاكرا ، ولكنه قال : انه
لا ينوى مفادرة مصر ..

وقاطع السفير البريطانى النحاس باشا فى نفس الموضوع
فقال له النحاس : لا .. لن تخرج الوزارة من مصر ..
وعلى كل حال فانها تحت أمر جلالة الملك وما يريد
سوف أنفذه ..

وهو رد بارع من النحاس باشا لأنه أولا أثبت ولاءه
واخلاصه للملك .. وثانيا القى المسئولية على الملك فاروق

ثم تحدثنا - انطون الجميل وأنا - عن عساه يكون
«رجل الساعة» الذي يستطيع مواجهة الموقف بأخطاره
واحتمالاته والذي يمكنه أعداد العدة لكل احتمال . .

وقال انطون بك : انه يعتقد ان اسماعيل صدقي باشا
هو أقدر الزعماء جميعا على مواجهة الموقف وانه «رجل
الساعة» لأنه أولا معروف بصداقته الطويلة للسياسة
الانجليزية ومع السياسة الانجليزية . .

ولكنه لم يتورط معهم اثناء الحرب . . ولأنه ثانيا
ابدى نوعا من الميل أو الصداقة لالمانيا في بداية الحرب .
وهو ما أكسبه ثناء الاذاعة الالمانية دون أن يفقده حسن
ظن الانجليز به . .

ومضى انطون الجميل يقول : انه لو كان اسماعيل
صدقي على رأس الحكومة الآن لاستطاع أن يجلو الموقف
من كل الوجوه ولكن أرسل بصفته رئيس الحكومة
المصرية رسالة الى روميل يشرح فيها موقف مصر المستقلة
من هذه الحرب ومن الواجهة الدولية ، ثم يطلب منه
أن يحدد موقفه ونوايا حكومته - ألمانيا - تجاه مصر .

وكان النحاس باشا قد صرح في البرلمان وفي مجالسه
وأمام أنصاره أكثر من مرة ان الحالة مطمئنة ، ثم تبين
بعد ذلك ان الحالة ليست مرضية ولا هي تدعو الى
الاطمئنان ، وهذا من وجهة النظر الانجليزية . وظن
كثيرون ان النحاس باشا كذب على الأمة وخدعها وخدع
البرلمان ، أو على الأقل انه ضحية الانجليز الذين كذبوا
عليه وخدعوه . ولكني بت اعتقد ان الامر ليس كذلك .
وان الانجليز لم يكذبوا على النحاس ولم يخدعوه . .
وان الحقيقة هي أنهم أنفسهم كانوا مخدوعين . .
وهذه هي الحقيقة كما وضحت من خطبة مستر

تشرشل التي قال فيها بصراحة : ان السرعة الخاطفة التي زحف بها جنرال روميل افسدت على القيادة البريطانية خططها فقد كان الانجليز يحسبون انهم بانسحابهم مسافة مائة وخمسين ميلا سوف يكسبون اسبوعين او ثلاثة اسابيع يرتاحون فيها ويجمعون قواهم ويعيدون تنظيم قواتهم ثم يعودون ويكروا على قوات روميل . .

ولكن روميل دفع قواته ورائهم بسرعة خاطفة ولم يترك لهم يوما واحدا للراحة . . ثم فوجئوا بوجوده امامهم عند العلمين بعد خمسة ايام فقط من بدء انسحابهم . . اى انه استطاع ان ينقل جيشه وجميع معداته وأسلحته مسافة مائة وخمسين ميلا في خمسة ايام

هذا ما أعلنه تشرشل في خطبته ، ومن هنا نفهم لماذا كان الانجليز متفائلين ومطمئنين الى الحالة . ولكن تطور الموقف بسرعة زحف روميل . . قلب خططهم واطمئنانهم رأسا على عقب . . وهنا اضطروا ان يطلعوا النحاس باشا على الحقيقة او على جانب منها وان يصارحوه بأن الحالة ليست مرضية ولا تدعو الى الاطمئنان . . وان الخطر المحتمل هو دخول قوات المحور الاراضى المصرية وكانت نقطة التحول من الاطمئنان الى القلق هى طلبهم من النحاس الخروج معهم هو ووزرائه . .

وقد لاحظ كثيرون انه بينما جميع طبقات الشعب حتى أولئك الذين عرفوا بميولهم نحو المحور - المانيا وايطاليا - فى حالة فزع وقلق من المستقبل المجهول . . ومن الاخطار التي سوف تتعرض لها مصر فى فترة الانتقال من احتلال بريطانيا الى احتلال المانيا ايطالى . . ومن انسحاب جيوش مدحورة ودخول جيوش طاغرة . . فان بعض المواطنين الشرقيين فرحون لا يخفون سرورهم . .

وسر فرحهم ان الفرصة قد حانت أخيرا للتخلص من منافسيهم في أسواق المسال والتجارة والسمره في البورصة .. وهم اليهود ..

ولقد استغل هؤلاء الشرقيون حالة اللعر والهلع التي أصبح فيها اليهود واشتروا منهم بضائع كثيرة بأسعار لا تزيد كثيرا على سعر التراب .. وبعد أن كانت أسعار بضائع كثيرة بدأت تهبط بسبب كثرة البضائع التي أخرجها اليهود من مخازنهم وطرحوها في السوق عادت الأسعار وارتفعت من جديد بعد أن انتقلت هذه البضائع الى أيدي اخواننا الشرقيين هؤلاء ..

أما المصريون أبناء البلد فقد أضاعوا الفرصة وأمضوا الوقت في تبادل الاخبار والاشاعات والنكات على حساب الانجليز تارة .. وتارة على حساب الالمان ..

وفي المساء قابلت مصطفى أمين في جريدة الاهرام ، ودار الحديث عما عسى أن يحدث للوزارة اذا دخل الالمان مصر ؟ ..

وقلت ان النحاس باشا يرفض أن يستقيل لانه يعد استقالته الآن فرارا من الميدان .. وان الملك لا يريد أن يأخذ على نفسه مسئولية اقالة النحاس باشا لانه يخشى الانجليز في حالة ما اذا نجحوا في وقف زحف الالمان ، وردوهم عن مصر .. كذلك لا أظن ان الملك في حالة دخول الالمان سوف يختار من تلقاء نفسه على ماهر باشا رئيسا للوزارة لانه سوف يؤيد بهذا الاختيار صحة ماشاع عنه وهو انه - فاروق - ضالع مع الايطاليين والالمان .. وقد يحاسبه الانجليز على هذا اذا قدر لهم النصر وعادوا وطردهوا الالمان من مصر .. ولهذا الاسباب كلها أصبحت أرى رأى انطون الجميل وهو ان الملك سوف يختار

اسماعيل صدقى رئيسا للوزارة بعد دخول الالمان ..

ولكن مصطفى امين لم يوافقنى على هذا الراى ، وقال - بل اكد - ان على ماهر هو رئيس الوزارة القادمة ، وان الأمر متفق عليه منذ أسابيع وان التصريح المشترك الذى اذاعته سلطات الاذاعة فى برلين وروما وبارى ، وأعلنت فيه ان قوات المحور - المانيا وايطاليا - التى تدخل مصر سوف تدخل لكى تحرر مصر من استعمار بريطانيا وتعطينا استقلالنا كاملا وانه ليس عند المانيا او ايطاليا اية نية للانتقاص من استقلالنا ..

وقال مصطفى امين ان هذا التصريح الذى اشتركت فى صياغته واعلانه حكومتا المانيا وايطاليا قد تم بفضل مساعى مراد سيد احمد باشا الصديق الحميم لعلى ماهر باشا والذى يقيم منذ بداية الحرب فى مدينة جنيف فى سويسرا « وكان سعاداته وزيرا مفوضا لمصر فى روما عند اعلان الحرب وقد طلبت منه الحكومة ان يعود الى مصر ولكنه رفض العودة وآثر ان يقيم فى أوروبا متنقلا بين ايطاليا وسويسرا ومانيا .. »

ثم قال مصطفى امين ان على ماهر باشا ثائر هائج فى المعتقل وانه يقول انه عندما يتولى الحكم سوف يشنق مصطفى النحاس .. وفى هذا يقول : « ولن أحاكمه أمام محكمة عسكرية ، بل سوف أحاكمه أمام محكمة مشكلة من مستشارى النقض والابرام ، وتهمته الخيانة العظمى » ثم يصرخ - وكان رفعتة مريضا بأسنانه - يصرخ : « أسناني ، أسناني يا عالم ، بس ابن الـ .. حابسنى ليه ! »

وكان فريق من الراى العام يعطف يومئذ على ماهر باشا ويعد اعتقاله عملا غير قانونى .. وان النحاس باشا اعتقله نزولا على ارادة الانجليز ..

والواقع ان السلطات البريطانية كانت طلبت من كل حكومة مصرية تولت الحكم بعد يونية عام ١٩٤٠ اعتقال على ماهر باشا . بسبب ميوله المحورية ونشاطه ونشاط بعض أصدقائه العدائي ضد الحلفاء . . وقد تقدمت بهذا الطلب في وزارة حسن صبرى باشا . . وفي وزارة حسين سرى باشا . . ولكن حسن صبرى وحسين سرى رفضا أن يعتقلا على ماهر ، واستطاع الاثنان في كل مرة أن يسويا الأمر وأن يقنعا على ماهر باشا بمفادرة القاهرة بالإقامة في قصره الأخضر في الريف . . ولكن رفعتة كان يعود دائما الى القاهرة بعد بضعة أيام أو بضعة أسابيع أما صديقه اللواء صالح حرب باشا فقد عمل بنصيحة الحكومة وترك القاهرة وأقام في أسوان . .

زرت حسنين باشا في داره ، وبدأت الحديث فقلت :
أما ان الوزراء يكذبون ، وأما ان النحاس باشا لا يطلعهم على الحقائق وذلك ان اثنين منهم أكدا لى انه ليس صحيحا ان الانجليز طلبوا من النحاس باشا انتقال الوزارة معهم الى بلد آخر ، بينما سمعت من مصدر موثوق بصدق اخباره ان الخير صحيح . . فما هى الحقيقة ؟

وقال حسنين باشا : ان الخير صحيح . وقص على تفاصيل كثيرة ومنها الحديث الذى دار بين الملك فاروق والسفير البريطانى مايلز لامبسون فى هذا الموضوع وكيف ان فاروق رفض أن يفادر الاراضى المصرية . . الخ . . ومضى حسنين يقول :

— ولما عرض النحاس باشا الموضوع على الملك قال :
أولا انه رفض طلب الانجليز وانه قال للسفير ان الوزارة لن تغادر مصر وانهم «قاعدين» مهما حدث . . ثم عاد وقال ثانيا : « وعلى كل حال لا أريد أن أوثر على جلالتم

اقل تأثير فيما اذا رأيتم رأيا آخر . .

وتساءل حسنين ما معنى هذا ؟ ثم أليس النحاس باشا رئيس الحكومة وكبير مستشاري الملك ومن واجبه أن يقول رأيه صريحا واضحا في مثل هذه المواقف الخطيرة فما معنى تردده وتراجعه . . مع انه سبق الاتفاق مع « رفعتة » على عدم خروج الملك والوزارة من مصر . . اللهم الا أن يكون رفعتة يريد جسي نبض الملك و«توقيعه» ليرى هل هو لا يزال مصمما حقيقة على البقاء في مصر أو هو يفكر في الهرب من الانجليز ومفادرة مصر سرا الى بلد آخر . . ولمصلحة من هذا المكر من جانب النحاس باشا؟

وهنا قلت لحسين باشا : اننى لم افهم أين هو « مكر » النحاس باشا ؟

وازداد حسنين حدة وانفعالا وقال :

— المكر ياسى محمد فى قوله للملك انه لا يريد أن يؤثر عليه فى حالة ما اذا كان له رأى آخر . . يعنى يا جلالة الملك أنا زى أبوك . . قل لى ولا تخبيش على . . اذا كنت عايز تهرب من الانجليز وتخرج من البلد قل لى وأنا اساعدك . . أهو ده «المكر» ياسيدى . . عاوز يعرف علشان يجرى للانجليز ويقول لهم : الحقوا الملك فاروق راح يهرب من مصر . .

وانكرت على حسنين باشا رأيه هذا فى النحاس باشا وقلت له : « مش للدرجة دى يا باشا حرام عليك . . »

وقال : حرام على ؟ يظهر انك عبيط . . ان النحاس باشا أصبح اليوم فى قبضة الانجليز تماما . . ولقد قاوم فى اول الأمر شيئا ما ولكنه انتهى بالاسستسلام لهم استسلاما تاما والفضل فى ذلك لأمين عثمان باشا . . ثم قال حسنين :

— حدث مرة في إحدى جلسات مجلس الوزراء وكانت المعارك الحربية بدأت تتطور من سييء الى أسوأ ، أن قال النحاس باشا للوزراء : « يظهر ان الانجليز ينوون عمل شيء خفيف من التدمير » وصرخ الوزراء وصاحوا في وجهه : « كيف؟ » وهنا تراجع رفعتة وقال : ده اللي فهمه وجايز يكون غلطان. لكن الوزراء قالوا له : « لازم تستدعى بكره السفير والجنرال ستون وتناقشهما وتأخذ منهما وعدا صريحا بعدم تدمير أى شيء . . »

واستطرد حسنين يقول :

— وكان في وسع النحاس باشا أن يذهب الى البرلمان ويواجهه بالحقيقة ويطلعه على كل ما يعرفه عن نوايا الانجليز . . او على الأقل لا يكتم البرلمان ولا يخدعه ولا يضلله بالأكاذيب بل يتركه يتكلم ويثور ويحتج . . ويتخذ من ثورة البرلمان سندا له يستند اليه في أحاديثه ومفاوضاته مع السلطات البريطانية فيقول لها مثلا ان البرلمان وهو من أنصار الوفديين — هائج نائر ضده ، فكيف يحكم ونفس أنصاره وشيوخه ونوابه نائرون ضده . . وكان في وسعه أن يطلب منهم ضمانات مطمئنة يواجه بها البرلمان ويهدىء بها من ثورة البرلمان . . ولكن رفعتة لم يفعل بل فعل العكس فقد ذهب الى البرلمان وألقى بتصريحات مطمئنة وهو يعلم انها غير صحيحة . . وان الانجليز ينوون تنفيذ خطة التدمير التام . . وعلى أساس هذه التصريحات الكاذبة المطمئنة نال رفعتة ثقة البرلمان بينما كانت المصلحة كل المصلحة هي في أن يخرج من البرلمان مدحورا لكي يستطيع أن يوقف الانجليز عند حدهم . . ولكن يظهر ان أمين عثمان سحر النحاس وخدره تماما وأصبح يفعل به ما يشاء . .

ثم قال حسنين ان بين ما ينوى الانجليز عمله - عند انسحابهم - اطلاق الماء المالح في ترعة المحمودية لكي تفرق جميع الاراضي الزراعية الواقعة على ضفتيها . وهذه العملية اذا اريد اصلاح الضرر الناشئ عنها تكلف مصر اربعين مليوناً من الجنيهات . .

ووصف حسنين باشا مقابلة له مع النحاس وروى الحديث الذي دار بينهما ، قال :

- قال النحاس باشا : ان الانجليز خانوه وكذبوا عليه وحنثوا في عهودهم معه ، وارادت ان أستدرجه في الحديث ، فقلت له : اننى أستبعد يا رفعة الباشا صحة هذه الاشاعات ، وان في نية الانجليز تدمير كذا وكيت . . ولكنه صاح في وجهي : « بل هي الحقيقة يا حسنين باشا . . التدمير التام والخراب التام . . »

فقلت له : سوف نسجل احتجاجنا . .
ثم سألته : وبعدين ؟ . .

قال : وبعدها يفعل الله بنا ما يشاء . .
والهم حسنين باشا وزير الاشغال عثمان محرم بأنه أمر رجاله سرا بمساعدة الانجليز في تنفيذ خططهم . .

ثم قال حسنين : انه لم يأت يوم على مصر كانت فيه محتلة احتلالاً تاماً كما هي الآن . فقد كان الانجليز يحاولون منذ شهور الحصول على نصيب في حق حراسة بعض الطرق والمنشآت ولكن طلباتهم في هذا الشأن كانت ترفض دائماً . . ولكنهم الآن وبموافقة النحاس باشا قد تغفلوا في صميم الريف وأصبح كل شيء في مصر في قبضة يدهم فاذا أزفت الساعة التي يتبينون فيها انهم خسروا المعركة فانهم سوف يدمرون كل شيء . . وكل شيء الآن تحت أيديهم وفي حراستهم . . وليس لمصر يومئذ ان

تعرض لأنهم سوف يقولون أن ما تم قد تم بالاتفاق مع
رئيس الحكومة ..

وقال حسنين : انه تحدث مع بعض أصدقائه من
الانجليز في هذا الموضوع فقال لهم : « ثقوا اذا دمرتم
كل هذا فسوف أكون أنا اول من يهب لقتالكم لأنكم
تكونون قد خربتم بلدى خرابا تاما . واذا دخل الالمان
مصر فسوف يهرع كل مصرى لاستقبالهم ، وليطلب منهم
أن يسمحوا له بالقتال في صفوفهم ضدكم أنتم الذين
دمرتم بلده . . واذا قدر لكم أن تعودوا الى مصر فسوف
يهب المصريون لصدكم وقتالكم » ..

ومضى حسنين يقول : انه اذا نفذ الانجليز خططهم
فان النتيجة هي خراب الدلتا أى الوجه البحرى . ولقد
قال لهم قائد من خيرة قواد الجيش الفرنسى وهو الجنرال
كاترو : أن كل ما يهمهم فى مصر هو قناة السويس ..
وان خط الدفاع عن قناة السويس ليس فى الصحراء .
بل على ضفاف النيل وفى الدلتا .. ذلك لأن الدلتا تعد
من الوجهة الحربية هبة لا تقدر للقائد الذى يدافع عنها
اذ انها بعشرات القنوات والمصارف التى تشقها وتخرقها
طولا وعرضا .. وبأرضها الهشة الطرية وبقناطرها التى
يمكن تدميرها عند الحاجة .. تعطل وتعوق سير الجيش
الذى يهاجم ويحاول التقدم .. وهكذا تصبح الدلتا
ميدانا للمعارك .. ويحل الخراب وويلات الحرب من
كر وفر بكل بلدة .. وكل قرية فيها ..

وهنا قلت لحسين باشا :

— اذن ليس هناك أمل الا فى ثورة تنفجر فى البرلمان
ويقوم معها الشعب فيضطر النحاس باشا والانجليز أن
يتمهلوا ويراجعوا موقفهم ويترددوا فى هذه الخطة ..

قال : ربما كان هذا ممكنا منذ عشرة ايام قبل ان يضع الانجليز ايديهم على كل شيء . . كان هناك امل في ان يتمهل الانجليز وان يحجموا عن التدمير او لو ان الجيش المصرى كان هو الذى تولى حراسة المنشآت . . لان الانجليز كانوا يفكرون ساعتها طويلا قبل تدمير هذه المنشآت والمجازفة بوقوع تصادم بينهم وبين الجيش المصرى . اما الآن فقد ضاعت الفرصة ولم يبق هناك ما يخشاه الانجليز لانهم هم الذين يحرسون ويتحكمون في جميع المنشآت . .

وقال حسنين :

— لقد قال لى النحاس باشا اثناء حديثى معه : « تصور يا حسنين باشا ان الانجليز عاوزين يدافعوا عن القاهرة . . من النوافذ والبلكونات والسطوح ، بالمداغ الرشاشة والقنابل اليدوية ، وانا قلت لهم : وفايدة ده ايه؟

وتنهذ حسنين وهو يقول :

— اذا قدر لك ان تكتب يوما عن هذه الايام فاكتب وقل ان شيوخ البلد ونوابها قيل لهم ان هناك خطرا يهدد بيوتهم بالحرق ، ويهدد اراضيهم بالفرق ويهدد ريف مصر وقرى مصر بالدمار . . ولكنهم سكتوا خوفا على الاربعين جنيها التى تصرف لهم من البرلمان . .

ووقفت اتهيا للخروج ، وهنا سألنى حسنين باشا وهو يسير معى الى الباب :

— هل تظن ان هناك خطرا على الملك ، ان ياخذه الانجليز معهم رغم انفه ؟ . .

قلت : لا اظن ان القباوة تصل الى هذا الحد بهم ، ما الفائدة التى تعود عليهم ؟ . .

قال : ليس الخطر فى انه ملك ، ولكن الخطر فى ان

مصر وملكها لهما مكانة في العالم العربي والعالم الاسلامي
وقد يخشى الانجليز من أن يستغل الالمان هذه المكانة
وينوا عليها دعاية واسعة في مصلحتهم وضد الانجليز .
ولهذا قد يفكر الانجليز في أن يأخذوا الملك معهم . . ولو
بالقوة لا ليفيدوا منه ، ولكن لكي يحرموا الالمان منه . .
ومن استغلاله في دعائهم . .

وأنتقل من مذكراتي بتاريخ ٦ يولية عام ١٩٤٢ :

عقد مجلس النواب جلسة سرية ، وبعد انقضاؤها
اجتمع الوفد وأصدر قرارا بفصل مكرم باشا وراغب
حنا بك من الوفد ومن الهيئة الوفدية . .
وقال لي فؤاد سراج الدين انه قرار حكيم وعادل وان
الرأي العام يؤيده بل كان يطالب به ، وان المعارضة نفسها
استهجنّت موقف مكرم عبيد باشا ، فبينما الحرب على
أبواب مصر والحالة تزداد خطورة ساعة بعد ساعة . .
والمعارضة نفسها تنسى خلافاتها مع الوزارة وتؤيدها في
موقفها في الدفاع عن البلاد . . يقف مكرم باشا في مجلس
النواب يطلب المناقشة في الاستثناءات وفي سوء استعمال
سيارات الحكومة ويقول ان أسبوع البر «مشروع زينب
هانم الوكيل» ضريبة من غير قانون . . ثم يتهم الوزارة
بالتفريط في حقوق البلاد . .

عن مذكراتي بتاريخ الثلاثاء ٧ يولية عام ١٩٤٢ :
قابلت في جريدة الاهرام الاستاذ عبد الحميد عبد
الحق وزير الشؤون الاجتماعية . . وعند انصرافنا دعاني
للركوب معه في سيارته لأنه يريد أن يحدثني في أمر ما .
ولقد تحدثت عن حيرته وأي موقف ينبغي له أن يتخذ
بين صديقه القديم مكرم عبيد وبين زعيمه ورئيسه
مصطفى التحاسي .

وأفاض طويلا في الحديث عن صداقته القوية لمكرم
عبيد وكيف ان ضميره غير مستريح وقال ان كثيرين كانوا
ينتظرون منه أن يقف بجانب مكرم عبيد باشا وأن يؤيده
ضد النحاس ولكنه اختار موقف الحياد بين الاثنين . .
ودلل على حياده بأنه منذ خروج مكرم من الوزارة لم
يزر النحاس باشا في داره أو في مكتبه وأنه اعتذر عن
عدم حضور جميع الحفلات التي اقامها الشيوخ والتواب
للنحاس باشا وذلك لكيلا يسمع طعنا أو سبابا في صديقه
مكرم عبيد . .

وأنه انقطع كذلك عن زيارة مكرم باشا حتى لا يسمع
أى طعن أو سباب في مصطفى النحاس . .

وأنه منصرف الآن الى تادية عمله كوزير ليس الا ولا
شان له بالخلاف وأسباب الخلاف بين النحاس ومكرم .
ثم سألنى : هل انصح له بالاستقالة من الوزارة ؟
قلت : كلا . .

ثم سألته : اية فائدة بل أى معنى يكون لاستقالتك ؟
هل تريد ان تستقيل تضامنا مع مكرم باشا لأنه خرج من
الوزارة ومن الوفد . . ولكنك قبلت ان تدخل الوزارة
بعد ان خرج منها مكرم عبيد . . ثم انت دخلت الوزارة
وانت تدرك تماما خطورة الخلاف بين النحاس ومكرم ،
وان الانفجار لا بد ان يقع . . ومع ذلك قبلت المنصب
ودخلت الوزارة وقبولك معناه انك كنت تنوى البقاء مع
مصطفى النحاس حتى ولو خرج مكرم عبيد . . واذا
استقلت اليوم فان الناس ستقول انك دخلت الوزارة
لكى تحصل على لقب «وزير سابق» ثم تخرج منها فى
اول فرصة . . وهذا ما لا يرضاه أصدقاؤك ، ونصيحتي
أن تبقى فى الوزارة تؤدي . . كما قلت . . عملك كوزير
ليس الا . . ثم ان للنحاس باشا حقا عليك فقد وثق بك

واختارك وزيرا معه وانت قبلت فلا «تخلو» به هكذا . .

قال : انت غلطان ، فالنحاس باشا لا يحبني . . وهو
أدخلني الوزارة لكي يبعدني عن مكرم . .

سألته : ولماذا قبلت المنصب اذن مادام هذا هو رأيك؟

قال بعد تردد ، وبابتسامة باهتة فيها استحياء :
- الحقيقة انني لم اكن أريد دخول الوزارة ولكن بعض
من يهمني أمرهم من أقرب الناس الى الحوا على بقبول
المنصب لانهم يريدون أن يروني وزيرا . .

وقال الاستاذ عبد الحميد عبد الحق انه لا يستطيع
كسب ثقة او حب النحاس باشا لأن النحاس باشا يحب
التملق وهو - عبد الحميد - يكره ان يتملق احدا . .
ثم قال : ان صبرى ابوعلم ، ومحمود غنام ، يزوران
النحاس باشا دائما ويتملقانه ، ومن هنا استطاعا ان
يكسبا ثقته وحيه . .

ثم قال ان صبرى ابوعلم لا يجيد الخطابة كما يجيدها
هو ، وان نواد سراج الدين لا يعرف كيف يتكلم ، ومثله
محمود غنام . . اما هو - عبد الحميد عبد الحق - فانه
برلماني متمرن كما أثبت في مجلس النواب أيام كان زعيما
للمعارضة «ما بين عامي ١٩٢٨ و١٩٤٢» وان في امكانه ان
يعرض في البرلمان وجهات نظر الوزارة على افضل وجه
ولكنه مضرب عن هذا اكراما لخاطر مكرم باشا . . كما
انه تغيب عمدا عن حضور جلسات البرلمان التي كان
يتوقع فيها اصطداما بين النحاس ومكرم . .

وأوصلني بسيارته الى مسكني وقال وانا أفاد بالسيارة :

- فكر كمان ، وابقى قل لي أعمل ايه ؟ . .
ويظهر أن النحاس باشا أصبح يخاف أو يفار على
رجالته من الملك فاروق ، فقد قابلت «رفعتة» اليوم في

مكتبه برياسة مجلس الوزراء لكي أشكو اليه من عنق
الرقابة .. وقبل أن أدخل عليه جلس معي الأستاذ
ابراهيم فرج وتحدثت اليه في موضوع الرقابة وكيف ان
بين الاخبار التي منعت الرقابة نشرها خبرا عن «عطف
جلالة الملك على وزير التجارة الأستاذ محمود غنام» ..

وهنا ابتسم ابراهيم فرج وقال : ان النحاس باشا
نفسه هو الذي أمر بمنع نشر الخبر المذكور ..

وابديت دهشتي ... وسألته : لماذا ؟ !
وتردد طويلا، ثم قال كلاما ملفوفا غامضا ولكنني فهمت
منه ان النحاس باشا غير راض تماما عن محمود غنام ،
وألححت على ابراهيم فرج ان يطلعني على السبب ..

واخيرا قال : انه لما ذهب محمود غنام وقابل الملك
فازوق ليرفع اليه فروض الشكر على تعيينه وكيل الوزارة
الداخلية استبقاه الملك في حضرته ثلاثة ارباع الساعة ..
وذكرت الصحف ان الأستاذ غنام كان موضع عطف الملك
وسكت ..

قلت : وماذا في هذا ؟ ..
قال : ان مصطفى النحاس اصبح يشك في كل شيء
ويتوجس سرا من كل شيء بعد خلافه مع مكرم باشا ..
وما قيل وما نشر يومئذ عن عطفه على مكرم باشا ، ثم
ما حدث بعد ذلك وكيف كتب مكرم باشا في الاهرام مقالا
رفع فيه الملك الى السماء ..

ولهذا السبب اصبح مصطفى باشا يخاف من تأثير
هذا العطف الملكي على رجاله .. وهو لا يريد ان يخسر
محمود غنام كما خسر من قبله مكرم عبيد ..

وضحك الأستاذ ابراهيم فرج .. وضحكت معه ..
ولكن النحاس باشا عاد بعد ذلك وعين محمود غنام

وزيرا للتجارة .. لا حبا ولا ثقة فيه .. ولكن لكى
يبعده عن مكرم عبيد ..
تماما كما فعل مع عيد الحميد عيد الحق ..

قابلت في ميدان سليمان باشا مستر نايبير الملحق
بإدارة النشر والصحافة بالسفارة البريطانية وبعد تبادل
التحية انطلق يتكلم ضد النحاس باشا وزينب هانم بنفس
اللهجة التي يتكلم بها واحد من خصوم الوفد .. وأفاض
في الحديث عن فضائح أقارب النحاس وأصحابه ،
واستفلالهم لنفوذه في الحصول على امتيازات وعقد
صفقات .. ثم قال :

— لماذا لا يسلح الوفديون النحاس باشا من زعامة
الوفد ؟ ولماذا لا يعود أحمد ماهر وأصحابه إلى الوفد
وينتخبون أحمد ماهر رئيسا للوفد ؟ ..

ثم قال انه يسلم بأن مكرم عبيد لا يستطيع أن يجمع
حوله كلمة الأمة ولكن أحمد ماهر يستطيع وأن النحاس
باشا أخذ يفقد نفوذه ..

وسألته : هل هذا هو رايه الشخصي أو رأى السفارة ؟
ونظر الى طويلا ، ثم هز كتفيه .. وسار في طريقه ،
وأثناء حديثه معى كانت رائحة الخمر تفوح من فمه ..

كلمت فؤاد سراج الدين بالتليفون وقلت له اننى أسافر
اليوم الى رأس البر ورجوته اذا تطور الموقف الى أسوأ
وأصبحت الحالة خطيرة حقيقة أو خيف من تدمير
المواصلات أن يكلمنى بالتليفون فى رأس البر ..

ولكنه قال : لا .. بلاش الكلام فى التليفون وسوف
أرسل لك فى هذه الحالة تلفرافا بامضاء جميل أقول لك
فيه : « احضر بحالا بسبب القضية » . وانت تفهم ..

وسافرت بالسيارة الى رأس البر . .
« نقلا عن مذكراتي بتاريخ الاثنين ٢٠ يولية » :
كنت كلمت حسنين باشا بالتليفون من رأس البر لكى
اسأله عن تطورات الموقف وسألنى هو متى أعود الى
القاهرة . وفهمت من لهجته ان عنده شيئا يريد أن يقوله
لى ، وعدت أمس من رأس البر ، وكلمته بالتليفون
صباح اليوم ، فدعانى لمقابلته فورا . .

وقابلته فى داره وبقيت معه نحو ساعة . .
بدأ حديثه معى بالانجليزية بسبب وجود أحد الخدم
معنا فى حجرة الاستقبال ، فقال ما معناه : ان الانجليز
قد لعبوا أوراقهم بمهارة . . وعرفوا كيف يلعبونها . .
ثم مضى يقول انهم لم يكونوا يستطيعون أن يحصلوا
من أى رئيس وزارة مهما كان ضالعا معهم على أكثر مما
حصلوا عليه من مصطفى النحاس . . وتبدو مهارتهم فى
انهم حصلوا من النحاس باشا على كل ما يريدون وفى نفس
الوقت جعلوه يعتقد انه هو الذى «دحلبهم» ومكر بهم
وحصل منهم على ما يريد . . اوعلى الاقل لم يعطهم شيئا
واستطرد حسنين يقول :

— وهكذا اذا قدر لهم أن ينتصروا على الالمان ، فانهم
سوف يمكنهم أن يقسموا للنحاس بالطلاق «كدا» على
انهم لم يفكروا أبدا فى القيام بأى تدمير بوادى النيل . .
أما اذا قدرت عليهم الهزيمة فانهم سوف يكونون فى حل
من تدمير كل ما يريدون بحجة الضرورات العسكرية ،
وكذلك بحجة انهم قد اتفقوا على ذلك مع رئيس الحكومة
مصطفى النحاس . . اوعلى الاقل بحجة انهم لم يعدوه
بشئ مخالف أى لم يتفقوا معه على عدم التدمير . .

وبومها سوف يقول النحاس ان الانجليز قد خانوا
كلمتهم معه وحلثوا بوعدهم له . . ولكن ما الفائدة ؟ . .

ثم مضى يقول :

- ولقد كان المفهوم ان دفاعهم ينتهى عند العلمين اى عند الحدود ، ولكنهم استطاعوا ان «يجرجروا» النحاس الى الحديث فى الدفاع عن الاسكندرية والقاهرة والدلتا وقناة السويس .. وهذا هو الخطر وهنا بدت مهارتهم ثم قال :

- ولم يفتحوا الملك مرة اخرى فى امر مفادرة البلاد ، ولكن مادام فى نيتهم الدفاع عن القاهرة ورفض الموافقة على اعلانها مدينة مفتوحة فانه سوف يكفى ان تسقط قنبلة المانية فى ميدان عابدين اوعلى مقربة من قصر القبة لكى يقولوا يومئذ للملك - ومعهم حق - ان هناك خطرا على «حياته الغالية» فيجب ان يتعد عن موطن الخطر . اى عن القاهرة ، وسوف يشتركون معه فى اختيار المكان الامين الذى يحسن به ان يلجأ اليه ..

ثم قال حسنين وهو يضحك :

- وفى يوم ٢ يولية كانت العلمين على وشك السقوط فى ايدى الالمان .. بل لقد اذاع الالمان يومها انهم اخترقوا الخطوط وانهم يطاردون الانجليز فى اتجاه دلتا النيل .. ويومها كاد النحاس يوشك ان يرمى عليه ولكن الله سلم «وعبارة يرمى عليه من عندى انا ، اما العبارة المدونة فى مذكراتى والتي استعملها المرحوم حسنين باشا فى حديثه فان الحياء يحول دون نشرها » ..

واستمر حسنين يقول وهو لايزال يضحك :

- ست ساعات فقط وكان النحاس « اغمى عليه » ولكن الله سلم فقد قال له الانجليز فى المساء ان الحالة خطيرة جدا ولكنه تجلد طول الليل وتماسك .. فلما اصبح الصباح قالوا له : ان الحالة اقل خطورة نوعا ما ، فاطمان ولم « يغم عليه » .. ولكنه اطلق لسانه يومها

في الانجليز ، فقال انهم كذبوا عليه وأخفوا حقيقة الخالة
وظل لسانه ملفوتا ضدّهم الى أن عاد أمين عثمان من
فلسطين وكان سافر اليها مع زوجته التي تركها هناك . .
وبعودة أمين عثمان عاد نفوذ الانجليز من جديد على رفة
النحاس باشا . . الذي عاد واطمان واستكان الى الانجليز
ثم قال حسنين ان تصرفات الانجليز لا تبعث على
الاطمئنان والا لو كانوا واثقين من قوة مراكزهم وخطوط
دفاعهم في العلمين فلماذا طلبوا اخلاء الاسكندرية ؟ . .
واخلائها سوف يتم قريبا . .

ثم قال :

— لقد سمعت من احد كبار ضباطهم وكان صديقا وزميلا
لى أيام الدراسة في اكسفورد ان عندهم أوامر سرية تقضى
بترحيل جميع البريطانيين المدنيين وخروجهم فورا من
الاسكندرية والقاهرة متى وصل الالمان الى نقطة معينة
لم يذكرها لى طبعا صديقى الضابط المذكور . .

ثم قال :

وقد قابلنى هذا الضابط منذ ثلاثة أيام وقال لى :
— وانا اترجم هنا عن الانجليزية — « راقب الموقف بدقة
وامعان اثناء العشرة أو الخمسة عشر يوما القادمة . .
فقد يحدث شيء ما فجأة ويجب أن تكون مستعدا » . .

ومضى حسنين يقول :

— ان الانجليز تلقوا امدادات من الطائرات ومن الاسلحة
الاخرى بقدر كاف لابأس به . . ما عدا الدبابات وهذا
هو السبب في عجزهم عن القيام بأى هجوم وكان احد
ضباطهم قال لى يوم اشتداد الخطر على العلمين « فى ٢٠
يولية » انه اذا استطاع الجيش الثامن البريطانى أن
يصمد أسبوعا واحدا فانهم سوف يكرون بعد ذلك ،
ويشنون هجوما على الالمان . . ولقد مر أسبوع وأسبوعان

ودخلنا في الاسبوع الثالث ولم يهجموا .. فما السبب
الا انهم غير مستعدين !

وبعد ...

هذه هي الايام الخطيرة المليئة بالاحداث والاحتمالات
التي مرت بمصر في صيف عام ١٩٤٢م وأحسب اني
وفيتها حقها من الوصف .. وأعطيت صورة صادقة
لحالة الفوضى والذعر التي تخبطت فيها. الوزارة القائمة
بالحكم يومئذ ..

ولقد تمت المعجزة واستطاع الجيش الثامن أن يصمد
أمام الالمان خلال بقية الصيف .. ثم شن موثجمرى هجوما في
الخريف « اكتوبر - نوفمبر » وحصل الحلفاء على أول
انتصار لهم ذي قيمة في الحرب العالمية الاخرة ..

ويومئذ - ولأول مرة - أمر ونستون تشرشل رئيس
الوزارة البريطانية بأن تقرر كنائس إنجلترا وسكوتلاندة
اجراسها احتفالا بهذا النصر العظيم ..

ويغد المؤرخون معركة العلمين نقطة التحول في الحرب
الاخرة .. تحول النصر والحظ من الالمان الى الانجليز
وحلفائهم الروس والامريكان ..

حرب التدعاية

انتهت الحرب في أوروبا في ٨ مايو ١٩٤٥ ، وكنت يومئذ في انقره «تركيا» ، وعدت الى مصر ثم غادرتها في يوم ٣ نوفمبر ١٩٤٦ الى أوروبا وزرت فرنسا وإيطاليا وسويسرا والنمسا وألمانيا . وطالت رحلتى هذه نحو تسعة شهور ، وفي باريس في شهر نوفمبر عام ١٩٤٦ تناولت العشاء مع صديقة قديمة وهى طبيبة فرنسية من أصل برازيلي وزوجها الموسيقار وهو فرنسى الجنسية اسباني الاصل . .

وقد تناولت العشاء في مطعم اسباني كان افتتح حديثا في شارع فيكتور هيغو «باريس» . . واسم المطعم «ايبيريا» وهو في حجم بطاقة البريد . . وأما بار المطعم ففي حجم طابع البريد . . وفي المطعم المذكور نحو عشر مواثد ليس الا . . وفي صدره منصة مرتفعة بضعة أقدام وهى المسرح ومساحته مع المبالغة متران في متر . .

ومن هنا فان مطعم «ايبيريا» لا يتسع الا لعدد محدود جدا من الزبائن هواة الطعام الاسباني والرقص الاسباني ومن هنا كذلك كانت أسعار الطعام فيه تبلغ ثلاثة أضعاف أمثالها في أى مطعم آخر في باريس وأصحاب المطعم فريق من نجوم اسبانيا في الرقص والغناء . . وتناولنا طعامنا وكان من لحم الدجاج المخلوط بالارز

والطماطم والجبن والشطة والفلفل الاحمر وبهارات
اخرى ! هذا بينما كان يتوالى على المسرح الوان من
الرقص والغناء وكان في هذا الغناء ما يشبه الى حد كبير
الغاني الصعيد وحرزها الدفين العميق ..

وقال صاحبي الموسيقار الاسباني الاصل الفرنسي
الجنسية .. قال مازحا :

انظروا ايها العرب .. ماذا فعلتم بأوروبا ؟ مشيرا
الى الرقص والغناء وكلاهما لا يزال يحمل الطابع العربي
الاصيل ..

قلت : ماذا فعلنا ؟ لقد اعطينا اسبانيا فنا جميلا
رفيعا .. عاش وما زال يعيش حتى اليوم بعد اثني
عشر قرنا ..

قال : كذلك اثينا وروما ..

قلت : واين هو اثر الفن الاغريقي او فن روما .. هل
تجد لهما اثرا اليوم على مسسارح لندن وباريس او
واشنطن ؟ ولكن هذا الرقص والغناء العربي الاسباني
تلقاه في عواصم العالم ويعجب به الناس في كل مكان ..
اما فنك الاغريقي او الروماني فلم يبق له اثر الا في
المتاحف وقاعات المحاضرات ..

وجرنا الحديث الى الغناء في مصر .. والى ام كلثوم
وعبد الوهاب .. وكان صديقي الموسيقار المذكور قد
زار مصر اثناء الحرب مع جنود الجنرال ديغول ، وكان
يعمل في اقسام المخابرات ..

وقص على هذه الحكاية التي سمعتها يومئذ لأول مرة
قال - ومعلوماته التي يرويها هنا مستقاة كما قال من
زملائه في اقسام المخابرات البريطانية - قال : انه عندما
لاح شبح الحرب في صيف عام ١٩٣٩ ، لاحظ رجال
المخابرات البريطانية في الشرق الاوسط ان وكلاء المحوز

— ألمانيا وإيطاليا — راحوا يجمعون من الاسواق في القاهرة وتل أبيب ويافا والقدس وبيروت ودمشق وحلب الخ .. جميع الاسطوانات العربية وخصوصا اسطوانات عبد الوهاب وأم كلثوم ..

وهنا فطن رجال المخابرات البريطانية الى ان المحور يستعد لحرب الدعاية .. ونشطوا هم كذلك الى شراء هذه الاسطوانات .. وكان سباقا حارا بين الفريقين ..

ومضى صديقى الموسيقى الاسبانى الاصل الفرنسى الجنسية .. مضى يقول :

— وسر هذه الدعاية هو ان الدعاية الالمانية او البريطانية سوف تضمن استماع البلدان العربية لها اذا هى بدأت بأغنية لعبد الوهاب .. ثم قال :

— وأقبل عام ١٩٤٢ وبدأ روميل هجومه في يناير ، واستخلص مدينة بنغازى من البريطانيين .. ثم توالى هجماته وتتابعت هزائم البريطانيين .. وسقطت طبرق .. وانطلق روميل والفيلق الافريقى صوب دلتا النيل .. ولعلك — وأنت صحفى مصرى — أدرى منى بالاجراءات التى كانت السلطات البريطانية تنوى اتخاذها وتنفيذها فى حالة اضطرارها الى الانسحاب من مصر الى فلسطين والسودان .. ولكن هناك اجراء واحدا لم يدع سره حتى اليوم ..

وسكت لحظة وهو يبتسم لكى يرى وقع كلامه فى نفسى ..

قلت : ارغام الحكومة المصرية على الخروج مع البريطانيين من مصر لكى تقوم فى الخارج « حكومة مصر الحرة ؟ »

قال : كلا .. فان البريطانيين لم يلجوا كثيرا فى هذا الشأن .. ولكن وزارة الاستعلامات البريطانية ألحت فى

امر واحد وامرت رجالها في مصر بالخاز هذا التدبير
مهما كان الثمن ومهما كانت العقبات ..
وسكت مرة أخرى ، ثم قال : خروج أم كلثوم وعبد
الوهاب من مصر بالرضا أو بالإكراه ..
وبدت الدهشة على وجهي ثم ضحكت .. وفهم هو
من ضحكي اننى أشك في روايته فقال بلهجة كلها جد :
- صدقنى هي الحقيقة ما أقول .. لقد كان في نية
السلطات البريطانية اذا ما اضطرت الى الانسحاب من
مصر أن تأخذ معها - طوعا أو كرها - عبد الوهاب ،
وأم كلثوم لأنها كانت تخشى أن تستغلها الدعاية الألمانية
الى أبعد حدود الاستغلال .. ولقد كان يكفي أن يعلن
راديو القاهرة التي يحتلها الالمان .. ان أم كلثوم أو عبد
الوهاب سوف يفنى هذا المساء لكي ينصت العالم العربي
كله الى اذاعة راديو القاهرة الذي يسيطر عليه الالمان .
وهذا هو الخطر في حرب الدعاية ..

قلت : ولكن من كان يضمن ان أم كلثوم وعبد الوهاب
سوف يوافقان على الفناء ؟ ..
ابتسم صديقي الفرنسي وقال :
- محال أن تكون جادا في سؤالك هذا .. والا فانت
لا تعرف النازيين .. لقد كان أمرا ممكنا جدا أن يجلس
عبد الوهاب وأمامه ميكروفون الاذاعة ، ووراءه يقف
جندي الماني «ينخزه» بطرف السونكى اذا توقف عن الفناء

ومن فرنسا ذهبت الى ايطاليا وزرت ميلانو وقلورنسا
وروما ..
ولم يكن من السهل أن أحمل القوم في ايطاليا على أن
يتحدثوا الى - الصحفي المصري - بصراحة عما كان
سيحدث لصر لو نجحت جيوش المحور في دخول مصر

في صيف عام ١٩٤٢ . .

ولكن كان من السهل ان يتحدثوا بمنتهى الصراحة ،
وبكثير من مرارة خيبة الامل عن سير الحرب وتطورها
لو كان غزو مصر قد نجح وتمكنت جيوش المحور من
اختراق استحكامات العلمين في يولية أو في سبتمبر عام
١٩٤٢ ، وكان روميل قام بهجومه الاول في أول يولية ،
ثم شن هجومه الثاني والآخر في شهر سبتمبر ، وبعدها
فقد القائد الالماني عامل المبادأة . . الى أن فاجأ القائد
البريطاني مونتجمري بالهجوم بعد شهر واحد . . اي
في اكتوبر من نفس العام . .

قال القوم في روما : لو ان روميل كان نجح في الوصول
الى الاسكندرية ودلتا النيل والقاهرة لكانت الحرب قد
انتهت بانتصار دول المحور بعد عام واحد ، أي في عام
١٩٤٣ ، ذلك انه كان مقررا طبقا للخطة العامة التي
وضعتها أركان الحرب المشتركة من الايطاليين والالمان
أن ينفصل قسم من الجيوش المحورية ويذهب جنوبا
الى صعيد مصر والسودان والحبشة . ويسترد اريتريا
والصومال . . الخ وهدفه الاخير الوصول الى جنوب
افريقيا وتطهير « القارة السوداء » - أي افريقيا من
البريطانيين وانشاء قواعد للفواصات الالمانية والايطالية في
موانئ افريقيا الجنوبية والشرقية . . والعمل على قطع
طريق بحار الجنوب أي طريق رأس الرجاء الصالح الى
الهند واستراليا . وهذا طبعاً بعد أن يكون طريق قناة
السويس قد أقفل هو أيضاً في وجه الأسطول البريطاني
ومعنى هذا خنق مواصلات بريطانيا مع استراليا
والشرق الاقصى والهند وبورما اللتين كانتا يومئذ تحت
التاج البريطاني . .
كانت هذه مهمة الجيش الذي ينفصل عن جسم جيوش

المحور الرئيسية . . وبقيت مهمة الجيش الرئيسي . . كانت مهمة هذا الجيش أولا القضاء على مقاومة البريطانيين في دلتا النيل . . وكانوا يقدرون صعوبة هذه المهمة بسبب اضطرارهم للهجوم أثناء فيضان النيل وتعدد قنوات شبك الري في الدلتا واستفادة الانجليز منها في دفاعهم و«تعويق» زحف المحور . . ولكنهم كانوا واثقين من طرد البريطانيين تماما من الدلتا وقناة السويس مع حلول الخريف . .

وبعدها كانت مهمة هذا الجيش الرئيسي أن ينطلق عبر قناة السويس الى فلسطين - التي كما يؤكدون كانت ستسقط في لحظة عين - ومن بعدها سوريا ولبنان والعراق وكان المحور يعتمد الى حد كبير على «صداقة العرب» وعلى انتفاضهم وقيامهم بثورات في مؤخرة البريطانيين ، تعرقل حركاتهم وتعوق انسحابهم . .

ولا اريد ان اسهب هنا في وصف خطة المحور ولا في الاحاطة بتطورات الحرب وسيرها لو كان روميل قد نجح في غزو مصر . .

وأكتفى بأن أذكر في عبارات وجيزة بعض التطورات الهاسمة في سير الحرب التي كان مقدرًا أن تقع . .

١ - الوصول الى ايران وقطع خط امداد وتموين روسيا بالدخائر والمهمات وهو الخط الذي انشأه الامريكيون والبريطانيون من خليج العجم الى القوقاز . .

٢ - انضمام تركيا الى المانيا وايطاليا ضد الحلفاء . وهذا امر كان مقطوعا به . فقد أبدت تركيا منذ اليوم الاول للحرب . . أبدت صداقتها لالمانيا . . وراحت تنتظر « الوقت المناسب » لكي تدخل الحرب الى جانب المانيا . وقد فسر فون بابن سفير المانيا يومئذ في انقره عبارة

« الوقت المناسب » هذه في أحد تقاريره السرية فقال :
ان الاتراك ما زالوا - حتى عام ١٩٤٢ - غير واثقين من
انتصار المانيا ، وانهم يفضلون ان يترثوا قبل ان ينجحوا
الى جانبها خوفا من سوء المصير ومن ان يصيبهم ما
اصابهم في الحرب السابقة « بعد هزيمة المانيا في عام
١٩١٨ » . . ولكن نجاح جيوش المحور في دخول مصر
وطرد البريطانيين منها ومن فلسطين وسوريا ولبنان
والعراق . . ثم الوصول الى ايران . . كل هذا كان كفيلا
باقناع الاتراك بأن « الوقت المناسب » قد حان . . وكان
دخول تركيا الحرب بعد قطع خط تموين روسيا من
الجنوب - كان كفيلا بقلب ميزان المعركة في الجبهة الشرقية
ضد روسيا . . ولقد كانت الجيوش الروسية تعاني
يومئذ من الشدائد في القوقاز . . وفي محاصرة ستالينجراد
وموسكو ولينينجراد . .

٣ - القيام بحركة كماشة من الجنوب الشرقى والغرب
ضد الجيوش الحمراء . . الى آخره . .
لهذا لم يكن كثيرا ان يؤمل المحور في النصر النهائي
ووضع حد للحرب في عام ١٩٤٣ . .

كان موسوليني يطمع في دخول الاسكندرية والقاهرة
في موكب يرد التاريخ القهقري الى عصر أمجاد روما
ومواكب قوادها الفزاة وعودتهم من ميادين القتال معقودة
حول رؤوسهم اكاليل الفار . .

وهنا عكف « الدوتشي » على وضع نظام وترتيب
« موكب النصر » الذي سوف يسير على رأسه . . في
شوارع الاسكندرية والقاهرة . .

وأصدر أوامره ان يرسل جواده الاصيل الابيض الملون

الى بنى غازى ، ومنها الى العلمين .. لسكى يمتطيه
الدوتشى فى اليوم الموعود . ووقفت طيارة حربية خاصة
على قدم الاستعداد فى مطار روما لكى تحمل موسولينى
- عند الساعة المرتقبة - الى ابواب الاسكندرية .. حيث
ينتظره موكب النصر وجواده الابيض الاصيل ..

حتى قائمة الطعام ، الذى سيقدم فى المائدة الكبرى
أعدھا الدوتشى بنفسه !

وكان فى نيته ان يقيم مأدبة عشاء وحفلة ساهرة فى
الاسكندرية .. ومأدبة أخرى وحفلة ساهرة فى القاهرة
وقد تم الاتفاق بينه وبين السلطات الالمانية على ان
يكون فندق مينا هاوس هو مقر القيادة الايطالية فى
القاهرة ..

وكانت قائمة الطعام الذى سيقدم فى مينا هاوس فى
اول يوم يصل فيه موسولينى وقواده الفزاة كما يلى :

حساء سمك النيل ..

دجاج الفيوم ..

حمل مشوى على الطريقة البدوية ..

وحلوى ألف ليلة ..

وفاكهة الموسم « بطيخ ، وعنب ، ومانجو » ..

قهوة شرقية ..

والى هذا الحد كانت الامال كبيرة والثقة فى النصر

لا ريب فيها ..

المنهاية

وانتقل الآن الى الفصل الاخير من حياة احمد محمد حسنين ..

كان حسنين باشا يعد حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ، لظمة اصابته هو بالذات .. لظمة لكرامته ولسياسته ولظمة لواجبه نحو العرش ونحو مصر ..

واقسم حسنين يومها على ان يثار لنفسه وللبلاد من رجلين عدهما مسئولين عن هذه اللظمة ، وهما : مايلز لامبسون سفير بريطانيا ، ومصطفى النحاس رئيس الوفد .. ورئيس الوزراء ولقد حاول حسنين باشا في عام ١٩٤٣ ، ان يقيل مصطفى النحاس ووزارته ، ولكن الانجليز لم يمكنوه .. فقد بادر يومئذ السفير البريطاني في مصر وأندرو فاروق ان الحكومة البريطانية تعلنه ان لا تغيير في الوزارة No change وفي الاوضاع القائمة فعلا . وكانت حجة الانجليز يومئذ انهم وحلفاءهم قادمون على فتح جبهة جديدة في جنوب أوروبا - او بطن أوروبا السفلى - حسب تعبير ونستون تشرشل ..

جبهة جديدة ينفذون منها الى قلعة هتلر في وسط أوروبا .. ومن هنا فانهم - اى الانجليز - لا يسمحون بأى تغيير في مصر مخافة وقوع رد فعل او قلقلة خلف خطوطهم .. اى في مصر ..

واستكان حسنين وتظاهر بالرضا والتسليم . . .
ولكنه لم يسكت . . . بل أخذ يراقب سير الحوادث
ويتحين الفرص . وانتهت معركة افريقيا باندحار الجيوش
الالمانية وأسر مئات الألوف منها في تونس والجزائر ومراكش
ولا أدخل في التفاصيل . . .

ونقل الحلفاء - بريطانيا وأمريكا - جيوشهم من افريقيا
الى جزيرة صقلية . . . ومن هذه الى ايطاليا . . .

واستسلمت ايطاليا في سبتمبر من نفس العام ١٩٤٣
وفي يونية ١٩٤٤ انزل الحلفاء جنودهم في نورماندى
بشمال فرنسا . . .

وبدا تحرير القارة . . . ودك قلعة هتلر من الجنوب
والشرق والغرب ، ودخل الحلفاء باريس في أغسطس .
وكانت الجيوش الروسية قد حررت دول البلطيق
وجزاء من بولنده وزحفنت نحو النمسا الى آخره . . .
الى آخره . . .

وكما قلت : ليس في نيتي أن أدخل في التفاصيل . . .
ولكن بدأ يومئذ واضحا كل الوضوح ان نصر الحلفاء أمر
مؤكد . . . وان الحرب قد دخلت في دورها الاخير وان
الحلفاء يمسون بزمام الموقف . . . وان البريطانيين لم
يعد أمامهم - أو وراءهم في مصر - ما يخشون منه على
سير الحرب . . .

وانتهز حسنين الفرصة وواتاه الحظ ان مايلازمبسون
سافر في اجازة قصيرة الى جنوب افريقيا . . .

وضرب حسنين ضربته المفاجئة وكانت مسرحية مثيرة
ومن فصولها :

تعليمات سرية الى الدكتور احمد ماهر بالأ يفادر داره
في يوم الاحد ٨ أكتوبر بل يبقى فيها ينتظر رسالة من
جلالة الملك فاروق ، وأوامر سرية الى حكمدار بوليس

القاهرة ومدير ادارة الامن العام بأن تكون قوات الامن على استعداد لحفظ النظام وقمع أية حركة تقوم للاخلال بالامن والنظام ..

وكانت هذه الاوامر السرية صادرة مباشرة من السراى لان السراى كانت مصدر جميع السلطات ..

جرى كل هذا والوزراء ورئيسهم - وكانوا فى رمل الاسكندرية - لا يعرفون شيئاً .. ثلاثة أو أربعة فقط من الصحفيين من خصوم الوفد هم الذين كانوا على علم بما يعده احمد محمد حسنين رئيس الديوان ..

وفى صباح يوم الاحد ٨ اكتوبر عام ١٩٤٤ استقل حسن يوسف بك وكيل الديوان الملكى قطار الصباح من الاسكندرية الى القاهرة ..

ودخل عربة البولمان فوجد امامه محرم باشا وزير الاشغال فابتسم وحياه ولكنه جلس الى مائدة بعيدة عن المائدة التى كان يجلس اليها وزير الاشغال ..

ولعله - حسن يوسف بك - خشى ان يقرأ عثمان محرم باشا شيئاً ما فى وجهه .. شيئاً ما يكشف سر سفره فى الصباح الباكر الى القاهرة .. ذلك ان وكيل الديوان كان يحمل فى جيبه امرا ملكيا صادرا الى الدكتور احمد ماهر بتشكيل الوزارة ..

وامرا ملكيا آخر الى مصطفى النحاس باقالة الوزارة ووصل حسن يوسف الى القاهرة وانهى مهمته فيها ثم هاد بالسيارة الى الاسكندرية ..

وفى الساعة الخامسة بعد ظهر نفس اليوم الاحد ٨ اكتوبر .. وحسب التعليمات والاوامر .. وطبقا للخطة المسرحية التى وضعها حسنين باشا ..

غادر الدكتور احمد ماهر داره ، الى دار رياسة مجلس الوزراء وصعد توا الى غرفة رئيس الوزراء وامر الساعة

والحجاب ان يفتحوا امامه الابواب . . وأعلنهم انه رئيس
الوزارة الجديد . .

وفي نفس اللحظة - وطبقا للأوامر والتعليمات - فتح
المعتقل أبوابه وخرج منه مكرم عبيد . .

خرج من المعتقل وذهب مباشرة الى وزارة المالية التي
عين وزيرا لها في الوزارة الجديدة . .

وفي نفس الساعة - الساعة الخامسة - كان حسن
يوسف يصعد الى الطابق الثاني بفندق سيسيل بالاسكندرية
حيث كان يقيم مصطفى النحاس . . ويسلم رفعتة خطاب
الاقالة ، وكان أمين عثمان قد أقبل على فندق سيسيل
لزيرة مصطفى النحاس . . فقبل له ان الوزارة أقيمت
وكانت في يده سلسلة ذهبية يعبث بها ويلفها على أصابعه
ثم يعود ويفردها . . وتوقف في طريقه وسقطت السلسلة
من يده . . ولكنه خرج وأرسل برقية الى احمد حسنين
يقول له فيها - باللغة الانجليزية - « أهنيك لقد ربحت
الجمولة الاخيرة » . .

ذلك لأنها كانت حربا أو مباراة بين الرجلين : رجل
الانجليز أمين عثمان ، ورجل القصر أحمد حسنين . .
وكانت المباراة حول مصطفى النحاس هل يبقى رئيسا
للوزارة كما يريد الانجليز ؟ أو يخرج كما يريد القصر ؟
وقد انتصر رجل القصر أحمد حسنين . .

وأمشي سريعا بين الحوادث الى ان اصل الى عام ١٩٤٦
وكانت الوزارة البريطانية يومئذ من حزب العمال . .
وكان وزير الخارجية أرنست بينن . .
وعرف حسنين كيف يوجه صديقه عبد الفتاح عمرو
سفير مصر في لندن الى استغلال صداقته مع مستر بينن
وكان ان استدعت وزارة الخارجية البريطانية سفيرها

مايلز لامبسون من مصر . .
وهكذا بر حسنين بوعدده أو يقسمه وثأر لنفسه من
الرجلين : مايلز لامبسون ، ومصطفى النحاس . .
ثم لقي منيته بعد ذلك بأسبوعين اثنين ، وكان موته
- رحمه الله - مفاجأة مثيرة كما كانت حياته سلسلة
من المفاجآت المثيرة . .

وكان أمضى سهرة يوم الاحد ١٧ فبراير عام ١٩٤٦ في
مسكنى مع بعض الاصدقاء ومنهم أم كلثوم . . وغنت
أم كلثوم « سلوا قلبى » وحمل حسنين مقعدا صغيرا
جلس فيه بين يدي أم كلثوم وكان ينصت لها بكل جوارحه
وامتدت السهرة حتى مطلع الفجر . . يوم الاثنين وشيعته
الى باب المصعد وكانت هذه آخر مرة أراه فيها . .

وفى يوم الثلاثاء ١٩ فبراير كان حسنين مدعوا لتناول
الغداء عند أسرة صديقة فى المطرية . . ولكن تراكم الأعمال
إبقاه فى مكتبه بقصر عابدين الى الساعة الثالثة بعد الظهر
ورأى - رحمه الله - أنه تأخر كثيرا عن الموعد فاعتذر
لأصحاب الدعوة بالتليفون . .

واستقل سيارته عائدا الى داره بالدقى وكانت السماء
تمطر ، وبينما كانت سيارته تجتاز كوبرى قصر النيل فى
طريقها الى الدقى أقبلت سيارة لورى بريطانية من الجهة
المضادة . . وانزلقت عجلات السيارة البريطانية بفعل
المطر . . ولقت اللورى نصف لفة على الكوبرى وصدمت
سيارة حسنين من الخلف صدمة شديدة . .

وسمع سائق السيارة صوت حسنين باشا خلفه وهو
يقول : « ياساتر . . ياساتر يارب . . »
والتفت السائق خلفه فرأى الدم يسيل من فم حسنين
باشا . . وأوقف السائق السيارة ، ونزل منها بصبح

ويطلب المساعدة .. ومرت مصادفة في نفس اللحظة
سيارة وزير الزراعة أحمد عبد الغفار باشا صديق حسنين
وزميله أيام الدراسة في اكسفورد ..

وأسرع أحمد عبد الغفار وحمل صديقه الى مستشفى
الانجلو أمريكيان القريب من مكان الحادث ..
ولكن حسنين كان أسلم الروح .. فنقلوه الى داره ..

وطار الخبر الى القصر .. وأسرع فاروق - وكان
يرتدى بيجامة وفوقها « روب دى شامبر » وفي قدميه
شبشب - أسرع بملابسه هذه واستقل إحدى سياراته
الى دار حسنين في الدقى ..

ووقف فاروق لحظة أمام جثمان حسنين ، رائده
وأستاذه ومربيه ثم رئيس ديوانه ..
ثم قال : « مسكين يا حسنين » وسأل بعدها عن مفاتيح
مكتب حسنين .. وتناولها ودخل غرفة المكتب وأغلق
وراءه الباب .. وكان فاروق يبحث عن أية مذكرات
يكون حسنين قد كتبها .. وعن عقد زواجه بأمه الملكة
نازلى .. وعن أية أوراق هامة أخرى قد يكون تركها
وراءه ..

وبعد وفاة حسنين بأسبوعين أو ثلاثة أسابيع ذهب
فاروق يزور أمه نازلى في قصرها الذى ورثته عن أبيها
في الدقى .. ودخل عليها في قاعة القصر الكبرى ..
وتسمرت قدماه عند الباب ..

فقد رأى أمامه في صدر القاعة صورة لأحمد محمد
حسнин بالحجم الطبيعى وقد جللت بالسواد ..
وأمام الصورة - وعلى الأرض - جلست أمه « الملكة »
نازلى وحولها سيدات حاشيتها وخادمات القصر ،

وجميعهن متشحات بالسواد ..

وعلى جانبي القاعة الكبيرة جلس نحو عشرين شيخا يتلون الأوراد ويدعون بالرحمة للراحل الكريم ..

توقف فاروق لحظة عند باب القاعة .. وقد عقدت الدهشة لسانه ، ثم مشى الى حيث كانت تجلس أمه وقال لها وهو يشير بيده الى الصورة والى السيدات ، والمشايخ قال : ايه ده كله ؟ وعلشان ايه ده كله ؟ مات .. خلاص مات .. فلزوم ده ايه ؟

وانتفضت نازلي واقفة على قدميها وانفجرت في ابنتها تصيح : ده ؟ .. ده اللي عمك راجل .. ده اللي حافظ لك على عرشك .. بكره راح تشوف يجرى لك ايه ؟ .. بعد موت حسنين .. الى آخره .. الى آخره .. وهز فاروق كتفيه ساخرا وانصرف ..

وان هي الا اسابيع معدودة حتى غادرت نازلي مصر الى أوروبا للعلاج والراحة كما زعمت ..

ولكنها غادرت مصر وفي نيتها الا تعود .. وكان منها ما يذكره القراء .. وكان كذلك ما كان من فاروق .. وكيف استهتز الى ابعد حدود الاستهتار وطغى وبغى .. ثم كانت الثورة التي طوحت به وحطمت عرشه ..

ولعله تذكر يومئذ وهو يوقع وثيقة تنازله عن العرش قول أمه : « بكره تشوف راح يجرى لك ايه بعد موت حسنين ؟ .. »

فهرس

صفحة

مقدمة : الامانة الصحفية .. وسر المهنة ٧

الكتاب الاول :

أحمد محمد حسنين فى الحياة الخاصة

هذا الرجل الفامض .. هل هو بطل؟ هل هو خائن ؟ ١٤

قصة نازلى ملكة مصر وأحمد محمد حسنين ... ٢٣

الكتاب الثانى :

أحمد محمد حسنين فى الحياة العامة

على ماهر والاعتداء على الدستور والحياة النيابية ١٧.

حادث { فبراير ٢٣.

الخلاف بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد ... ٢٦١

المارشال روميل على أبواب مصر ... ٣٠٥

حرب الدعاية ٣٦٣

النهاية ٣٧٠

وكلاء اشتراكات مجلات دارالمصطفى

**THE ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU**

**7, Bishopstrove Road
London S.E. 26
ENGLAND.**

انجلترا :

**M. Miguel Maccal Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo, BRASIL.**

البرازيل :

هذا الكتاب

يقدم الكاتب الكبير محمد التابعي في هذا الكتاب صفحات مجهولة ومثيرة في السياسة المصرية قبل ٢٣ يوليو . وقد عاش محمد التابعي هذه الحياة وعرف أسرارها ، حيث كان واحدا من أعم الصحفيين والكتاب المتصلين بهذه الحياة عن قرب

والصفحات التي يكشفها التابعي هنا هي جزء هام من تاريخنا ، ومن خلال هذه الصفحات نعرف كيف كانت مصر تحكم ، وكيف كان هناك طبقة سياسية تتصارع فيما بينها صراعا عنيفا محوره المصالح الشخصية لا المصالح العامة . ولقد كان النظام السياسي القديم كله يعاني من هذا المرض الأساسي ، مرض البعد عن الشعب ومشاكله ، والافتتال حول المناصب والثروات المختلفة حتى ولو كان الشعب غارقا في المحن الوطنية والاقتصادية والسياسية

ان هذا الكتاب يعتبر وثيقة تاريخية على غاية من الأهمية والقيمة . انه وثيقة للباحثين والدارسين يستطيعون ان يكتشفوا من خلالها تلك الخبايا التي لم يكن أحد يعرفها ، حيث انها كانت كلها تدور في اللام ومن وراء أستار كثيفة . وهذا الكتاب ايضا وثيقة بالنسبة للمواطنين جميعا يعرفون من خلالها صورة واضحة عن فترة تاريخية خطيرة مرت بها مصر . وقد أتبع للحقائق التي يكشفها هذا الكتاب فلم ساحر هو قلم الأستاذ التابعي ، عميد المدرسة اللاحقة في الكتابة الصحفية ، وهي المدرسة التي جعلت من الصحافة أدبا رفيعا قريبا من أسلوب الآلاف الذين عرفوا التابعي وأحبوا أسلوبه وتابَعوا رحلته الصحفية الرائدة